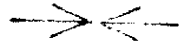


تاريخ الحضارة

تأليف

المسيو شارل سنيو بوس
أحد أساتذة كلية السوربون في باريس



لغريب
محمد كرد علي
مفتي القس

ادارة مطبعة الظاهر بالقاهرة

جملة للمعرب

بِسْمِ اللَّهِ وَبِهِ تَقِي

هذا هو الجزء الأول من تاريخ الحضارة لمؤلفه العلامة المسيو مارل سيونوس أحد
أسادة كلية اللغويات في باريس شرح فيه الحضارة التي أنتجت كل أمة من الأمم منذ
عرف التاريخ إلى يومنا هذا . وفي هذا الجزء كلام موجه على الشعوب الشرقية القديمة
كالمصريين والفيثقيين والهنديين والأتوريين والبرس واليهود وكلام مطول على مدنيه
اليونان والرومان صحح المؤلف مئات من الكتب حتى كتب كتابه ثانياً ردة الردد
وتوحي الأبحار والسهولة في معظم مصنفه وأنع في حسن تسيقه وتجويد أسلوبه فرأيت
أن أنقله من الفرنسية إلى العربية ليعم نفعه أوسعها وتنتفي في هذا الترتيب كما تنفي في العرب
والله أسأل أن ينفعه . وتم بالموثق التعريب الحريين الآخرين من الكتاب وهو من إهدائه
القاهرة في ٢٤ شعبان سنة ١٣٢٦هـ أو ٣ - شهر سبتمبر ١٩٠٨

البشر والشعوب

علم خصوصيات الشعوب — يعمر الارض ناس قلما يتشابهون ،
يختلفون بالطول وهيئة الاعضاء والرأس وسياء الوجه ولون العيون والشعور
ويتباينون باللغات والذكاء والاحساس . وبهذا التمايز ينقسم سكان المعمور
الى عدة أقوام تدعى أجناساً . فالجنس مجموع ناس يتماثلون ويباينون جنساً
آخر وما يمتاز به جنس عن غيره من العلامات العامة ويسمى طبائع وأخلاقاً
هو الذي يتألف منه مجموع خواصه . فيعرف الجنس الزنجي مثلاً بجلد
أسود، وشعور مجعدة، واسنان بيضاء، وأنف أفطس، وشفاه خدس، وفك
ضخم . ويدعى درس احوال الاجناس وما يتشعب عنها « ايتنوغرافيا »
أي علم خصوصيات الشعوب . وهو علم لم يرتق بعد لحدائه وضعه وما برح
مشوشاً منتشراً لكثرة مجموع خواص البشر وصعوبة التمييز بينها احياناً .

الاجناس — أخص الاجناس الجنس الابيض وهو يسكن أوروبا وشمال إفريقيا
وغربي آسيا . والجنس الاصفر ينزل في آسيا الشرقية ومنه الصينيون والمغول
والبرك والمجر . ومن دخل أوروبا منهم من الفاتحين فبشرته صفراء وعيونه
خرز مقطبة ووجنانه نائثة ولحينه خفيفة . والجنس الاسود يقطن أواسط
إفريقية وهم الممتازون باديم اسود وأنف أفطس ووفرة كالصوف . والجنس
الاحمر يستوطن أميركا ومنهم هنود تلك القارة حمر الاديم سبط الشعور

الشعوب المتحضرة — يُعدُّ أهل الجنس الابيض من المتحضرين
الا قليلاً أما سائر الاجناس فقد ظلوا على حاله الهمجية والبربرية كما كان الناس
قبل زمن التاريخ . فامت الشعوب المتمدنة على تخوم قارتي آسيا وإفريقية فقام

المصريون في وادي النيل والكلدان في سهل الفرات . وكلهم أهل فلاح وحرث أنما الإقامة وجنحوا للسلام . أديهم . شبع ، وشعرهم قصير أنيث ، وشفاههم مبرطمة ، ولا يعلم على التحقيق من أين منبعثهم . ولم تتفق آراء العلماء على تسميتهم فيدعوهم تارة كوشيين وأخرى ساميين . وقد انسلت من جبال آسيا بين القرن العشرين والخامس والعشرين ق . م عصابات من الرعاة أهل غارة وزمءاء فنة فانشروا في أطراف أوروبا كافة وفي غرب آسيا . ويقسمهم العلماء الى قسمين آريين وساميين .

الآريون والساميون - ايس بين هذين الجنسيتين من علامة خارجية جليلة فكلاهما من الجنس الابيض : اهليلجية سحناتهم ، متناسبة أعضاؤهم ، صافية جلودهم ، أنينة شعورهم ، أنجل عيونهم ، رقيقة شفاههم ، منتصبه أرنبتهم ، وهم في الاصل رعاة من سكان الجبال بأفون الارتحال والقتال . ساميتهم من أرمينية ، وآريتهم من وراء جبال حملايا ، وهم يمتازون بالعقل واللسان خاصة امتيازهم بالديانة قديماً . وقد وقع الانفاق على تسمية الشعوب التي تتكلم لغة آرية بالآريين وهم الهنود والدرس في آسيا . والروم والطيان والاسبان والجرمان والسكنداونون والسلافون (الروس والبولونيون والصر) والسلت (١) في أوروبا . والساميتون هم الشعوب التي تتكلم لغة سامية وهم العرب واليهود والسوربون ومما ينبغي ان يعلم ان بعض الشعوب تتكلم اية آرية او سامية وايست من الآريين والساميين في شيء كما ان الزنجي قد يتكلم الانكليزية وايس فيه عرق من الانكليز . وربما عدنا كثيراً من الاوريين في مصاف الآريين وليست اصولهم في الواقع الامن

جنس غلب عليه الآريون فاقتبس لغاتهم على نحو ما اقتبس الفرس لغة العرب
ايام غلبوهم على امرهم فهذان الاسمان الآري والسامي يطلمان اليوم على
فريقين من الشعوب وايسا جنسين حقبقيين . ولا بأس ان يقال بناء على
هذا المعنى ان الشعوب المرنقية كانت كلها سامية وآرية فنشأ من الساميين
الفينيقيون رجال البحار واليهود رجال الدين والعرب رجال الحرب . فسار
فريق من الآريين الى الهند وانصرف آخر الى اوربا فنشأت منهم تلك الامم
التي كانت ولا تزال في مقدمة العالم . واقد امتاز الهنود في القديم بآرائهم
العالية الفلسفية او الدينية واليونان بايجاد الصنائع والعلم والفرس والرومان
بتأسيسهم في الشرق والغرب مملكتين عظيمين من اضخم الممالك التي
نشأت في الايام الخالية

ويبدأ تاريخ الحضارة بالمصريين والكلدانيين حتى اذا كان القرن
الخامس والعشرون للميلاد يصير عبارة عن تاريخ الشعوب الآرية والسامية
التاريخ

الاساطير - نقلت اساطير الاواين عن روايات متسلسلة ظالماتحدث
الناس بها قبل ان يدونوها لذلك تراها مشوبة بحكايات وخرافات . فتحدث
اليونان ان اقدم ابطالهم ابادوا الغيلان وقالوا الجبابرة وكافحوا الآلهة وزعم
الرومان ان روماس ربه ذئبة ورفع الى السماء وقص جماع الشعوب عن
طفوليتهم اساطير من هذا القبيل لانه لا ثقة بها عند التمحيص مهما قدم غيرها
التاريخ - يبدأ التاريخ حقيقة لدن وجود اخبار صحيحة دونها اهل
ثقة وعلم وسماح . وليس هذا الدور واحداً في الكلام على الامم كلها فتاريخ
مصر يبدأ قبل ثلاثة آلاف سنة ق . م وتاريخ اليونان يكاد لا يتعدى

الثمانمائة سنة ق . م وليس لالمانيا تاريخ يعرف الا في القرن الاول
للميلاد ويعرف تاريخ روسيا منذ القرن الماشر وليس لبعض القبائل المتوحشة
الى اليوم تاريخ في نشأتها

تقسيم التاريخ الكبيرة — يبدأ تاريخ الحضارة باقدم شعب متمدن
وينتهي بايامنا فمعنى القرون الماضية الدور العريق في القدم جداً ومعنى القرون
الحديثة الدور الذي نحن فيه

التاريخ القديم — يبدأ التاريخ القديم بالامم القديمة المعروفة من
المصريين والكلدانيين أي من نحو ثلاثة آلاف سنة ق . م ويم شعوب
الشرق من هنود وفرس وفينيقيين ويهود ويونان ورومان وينتهي حوالى
القرن الخامس ب . م بسقوط المملكة الرومانية

التاريخ الحديث — يبدأ التاريخ الحديث باواخر القرن الخامس عشر
زمان اختراع الطباعة واكتشاف اميركا وبلاد الهندونهمضة العلوم والصنائع
ويلمُّ بذكر شعوب الغرب خاصة من اسبان واطليان وفرنسيس والمان
وروس وأميركان .

القرون الوسطى — هي عبارة عن عشرة قرون مضت بين القرون
القديمة والحديثة الا هي قديمة لما اعتور الحضارة القديمة من الاضمحلال ولا
هي حديثة لان تمدن الحديث لم يتكون بعد . وهذا ما يدعى بالجيل المتوسط .
مصادر تاريخ الحضارة القديمة — ليس في الوجود اليوم اشوريون ولا
يونان ولا رومان فقد بادت الشعوب القديمة كافة وما خلنوه من العاديات
هي فهرست نستفتيه للبحث عن اديانهم وأخلاقهم وصنائعهم . والعاديات
هي الكتب والرسوم والآثار واللغات . هذه عدتنا في دراسة الحضارة

القديمة وهي تدعى مصادر لانا نستقي منها معلوماتنا . والتاريخ القديم يتفرع من هذه الاصول .

الكتب - وضع القدماء الكتب أيام عرفوا الكتابة فكان لبعضهم مثل الفرس واليهود والهنود كتب مقدسة وخلف الرومان واليونان تواريخ وقصائد وخطباً ومقالات فلسفية . وقلما نجد في الكتب المواد اللازمة لمباحثنا اذ ليس لدينا كتاب اشوري ولا فينيقي أما ما بقي من أسفار الشعوب الأخرى فتأفه جداً . واتقد كان القدماء يكتبون ولكن أقل منا ولذلك كانت نأليفهم اندر ولم يكن لهم من كل مصنف إلا نسخ قليلة لما ان الحال كانت تقضي باستنساخها كلها باليد وقد دثر غالب هذه النسخ أوضاع أو تعذرت قراءة ما بقي منه ويسمى علم حلها «باليوغرافيا» أي علم الخطوط والكتابات القديمة .

المعاهد - أقامت الشعوب القديمة لانفسها معاهد مثلنا من مثل معابد لاربابها وقصور الموكها وقبور لموتاهما وقلاع وجسور وقنوات وأقواس نصر . ولقد تهدم كثير من هذه المعاهد واستؤصل وتجزأ بيد العدو أو بيد سكان البلاد ومنها ما لم تقو الغير على تقويض دعائمه وما فتئت ماثلة للعيان متداعية مثل القصور العتيقة لانتطاع الايدي عن تعهداها . وقد بقيت بقية يعلم منها ما كانت عليه سالفاً . وما زال بعض هذه المعاهد فوق التراب كالأهرام في مصر ومعابد ثيبة وجزيرة فيلا وقصور البرسبوليس في فارس والبارتينون في اليونان والكوايزة في رومية والبيت المربع وجسر الحرس في فرنسا . وان السائح لمهدنا لينظر الى هذه الآثار نظره لاثر حديث . وقد ردم أغلب هذه المعاهد على التدرج بتراب أو رمل أو فتات أرضية وانقاض فينبغي

تخليصها من هذا الساف الكثيف أو حفر أرضها وكثيراً ما تكون عمقة للغاية . ولم يعثر على القصور الاشورية الا بنحرق آ كام وتلال . وقد حفرت حفرة عمقها اثنا عشر متراً للوصول الى قبور ملوك ميسينا

وبعد فان عفاء هذه الخرائب لم يكن بصنع الدهر وحده فللبشر اليد الطولى في ذلك . ولم يكن القدماء ليتعبون مثلنا في التقدير والقياس لاقامة البناء . وما عنوا بنزع الردم من أماكنه بل كانوا يركون الاتقاض ويبنون عليها ولا ينزعونها حتى اذا أشرف البناء الجديد على السقوط تنضم انقاضه الى اطلال اخواتها القديمة وهكذا تتألف طبقات عديدة من الاتقاض . وقد جاز أحد السياح المدعو شيلمان بحفرة في مكان مدينة تروادة خمس طبقات من الاطلال اذ كان ثمت خمس مدن خربة كلها واعنتها على عمق خمسة عشر متراً . وما برحوا يعثرون في رومية في الاحابن على ثلاث بنايات منضدة بعضها فوق بعض وقد تراكت عليها الاطلال فعلا التراب في سفع النلال بضعة أمتار

بقيت مدينة بومبها لم تمسها طوارق الحدثان وذلك بحادث طبيعي جرى عام ٧٩ للمسيح وهو ان بركان فيزوف في ايطاليا قذف سيلاً من اللحم مائة أمطرت رماداً فانكشنت للجال مدينان رومائنان كانتا مدفونتين وهما هيركولانوم ويومبيه . كانت الاولى تحت اللحم السائلة والثانية تحت الرماد . وقد أحرقت اللحم المتاع وغشاها الرماد وحفظها من الهواء فبقيت سالمة . وكلما أزيح الرماد تظاهر مدينة يومبيه للاعين على نحو ما كانت عليه منذ ثمانية عشر قرناً . وانك لترى في بلاطها بعد مجرات العجلات وآثار سير المركبات وصوراً خُطت بالنحوم في الحيطان ونقشاً واثاناً وماعوناً

وخبزاً وجوزاً وزيتوناً في الدور والمساكن وهياكل عظام من دهمتهم الكارثة مبعثرة مبددة. وبهذا عرف القاري أن الآثار والمعاهد تفيدنا كثيراً في الوقوف على حالة الشعوب القديمة. ويدعى علم الأزمنة القديمة «أركيولوجيا» الرسوم - نعني بالرسوم كل ما يشمل الخطوط عدا الكتب فمعظم الرسوم زبرت على الحجر وحفر بعضها في صنائح من القلتر ووجد منها في مدينة پومييه مازبر على الجدران بالأصباغ أو بالنحوم. وإن بعض هذه الرسوم لتمثل تذكارات وفائع أو رجال كما هو جار الآن عند الافرنج فيما يقيمونه من تماثيلهم وبنياتهم. هكذا نرى الامبراطور اغسطس دون حياته على معهد انسير ومعظم هذه الرسوم عبارة عن كتابات زبرت على القبور ويمائل بعضها الاعلانات لمهدنا فتحتوي على قانون أو نظام تراد إداغته بين القوم. ويدعى علم الرسوم «إيكرافيا»

اللغات - تفيد اللغات التي نطقت بها الشعوب القديمة في بيان تاريخهم فاذا فهم الباحث كلمات من لغتين مختلفتين ينجلي له أحياناً أن أصل هذين اللسانين واحد ويسجل بان الشعوب التي تتكلم بها خرجت من نبتة واحدة. ويدعى علم اللغات «اينكستيك»

النواقص - لا يذهبن ذاهب الى ان الكتب والمعاهد والاطلال واللغات تكفي للاحاطة بتاريخ القرون السالفة فان فيها تفاصيل جمة يمكن الاستغناء عنها وما ترغب نفوس الباحثين في استبطان حقيقته قد يعز عليها ويفر منها. وما برح العلماء يحفرون ويحلون ويظفرون كل يوم باطلال ومعاهد لم تعرف من قبل وقد بقيت مع هذا نواقص وسيبقى كذلك أبداً الدهر

مصر

بلادها - مصر عبارة عن وادي النيل وهي في مضطرب ضيق خصيب ممتد على ضفتي النهر بين سلسلتين من الصخور طولها ٢٤٠ فرسخاً ويكاد عرضها لا يتجاوز خمسة فراسخ وعند منقطع الصخور تبدأ الدلتا . وهناك سهل واسع تتخلله شعب النيل وترعه . فمصر كما قال هيردوتس أبو التاريخ هبة من النيل .

النيل - يزخر النيل كل سنة في الانقلاب الصيفي بعصارات ثلوج بلاد الحبشة فيفيض على أراضي مصر العطشى يرتفع ثمانية أمتار وأحياناً عشرة فتصبح البلاد كالبحيرة وتبرز القرى المشيدة على الآكام كأنها جزيرات ثم تنخفض المياه في أيلول (سبتمبر) ويعود النهر في كانون الأول (ديسمبر) الى مجراه الأصلي وقد ترك في كل مكان طبقة من الطين خصبة وهي الاء بلز وتسمى الطمي . هذه الرواسب تقوم مقام السماد ويكاد يزرع في التربة الدية بدون حرث . فالنيل اذا يأتي مصر بالماء والتربة واذا تحول عنها تعود مصر كالبلاد المحيطة بها قاعاً صفصفاً، ورمالاً مجدبة، ما امطرتها السماء وابلا ولا رذاذاً . ولم يجهل المصريون فيما مضى ما يجود به نيلهم من الخيرات الحسان وهاك نشيداً كانوا ينشدونه تظيماً له : « سلام عليك أيها النيل أنت الذي تتجلى على هذه الارض وتأتي بسلام فتحي موت مصر . أنت اذا انجلت تملأ الارض طرباً ، والقلوب بشراً ، فينال كل مخلوق قوته ، وكل سن ماتقضمه ، رحمك انك تأتي بالارزاق الطيبة وتنتج كل خير ومير وتنبت للبهائم مرعاها

غنى هذه البلاد - مصر على التحقيق واحة في قفر إفريقية تلبت تربتها البر والفول والعدس وأنواع البقل . والنخيل فيها عابيات وآجام . وفي تلك المروج التي يرويها النيل بمائه ترعى قطعان الغنم والثيران والعنز والاوز وتكاد مساحتها تساوي بلاد البلجيك (٢٩٤٠٠ كيلو متر مربع) ومصر اليوم تقوم بأود ١١ مليوناً (١) من السكان وهي نسبة لاتعمد في أوربا على ان مصر كانت آهلة بالسكان قديماً أكثر منها اليوم روايات هيروdotس - عرف اليونان مصر أحسن من معرفتهم سائر الممالك الشرقية فزارها هيروdotس أبو التاريخ في القرن الخامس ق . م ووصف في تاريخه فيضان النيل واخلاق السكان وازياءهم ودينهم وذكر حوادث من تاريخهم وحكايات لقنها من أدلائه . ونكلم ديودور وسترابون على مصر أيضاً . بيد ان كل من ذكروها رأوها في انحطاط فلم يتيسر لهم ان يعرفوا شيئاً عن قدماء المصريين .

شامبوليون - دعت حملة الفرنسييس على مصر (١٧٩٨ - ١٨٠١) الى فتح أبواب الديار المصرية للعلماء فهرعوا اليها يزورون الاهرام وخرائب ثيبة عن أمم ويعودون منها وقد حزل وطابهم بالصور والآثار . ولم يكن لاحد ان يحل الخط المصري المسمى بالهيريوغلفي . وتوهم الناس ان كل خط من هذه الكتابة يقوم مقام كلمة حتى اذا كان عام ١٨٢١ خالفهم شامبوايون احد علماء الفرنسييس وعمد الى طريقة أخرى وجاء أحد الضباط من رشيد بأثر ذي خطوط ثلاثة كانت الخطوط الهيريوغلفية المسطورة بها مترجمة الى الرومية . وهذا الأثر يمثل الملك بطليموس محاطاً بدائرة . فتوصل

(١) في الاصل زهاء خمسة ملايين نسمة ونصف مليون

شامبوليون بهذا الاسم الى الاطلاع على حروف PTOLMIS ولدى مقابلتها باسماء ملوك آخر وكانت ايضاً محاطة بدائرة اكتشف حروف الهجاء . ولما تيسرت له قراءة الخطوط الهيروغليفية ظهر له انها كتبت بلغة تشبه القبطية وهي اللغة التي شاعت بمصر على عهد الرومان وعرفت حق معرفتها .

علماء الآثار المصرية - جاء بعد شامبوليون زمرة من العلماء توفروا على دراسة أحوال مصر واكتشاف جايها وخفيها وتدعى هذه الفئة من العلماء اجبتولوك أي المشتغلون بالآثار المصرية ولهم رصفاء في ممالك أوروبا كافة . وقد أجرى مارتن (١٨٢١ - ١٨٨١) من المشتغلين بالآثار المصرية على نفقة خديوي مصر . ما يقتضي من الحفريات وأحدث متحف بولاق . وانشأت فرنسا في القاهرة مدرسة لتعليم الآثار المصرية ناطت ادارتها بالمسيو ماسبرو .

الاكتشافات الحديثة - لا يعثر في بلد من بلدان الارض على خبايا ثمينة كخبايا مصر ودفائها لان المصريين كانوا يبنون قبورهم أشبه بدور يضعون فيها ما يقتضي للميت من ضرور الامتعة والاثاث والرياش والسلاح والطعام وقد غصت البلاد بالقبور الطافحة بهذه الذخائر والاعلاق . وساعد اقليم مصر الجاف الهواء على حفظ هذه الامتعة سالمة بعد مضي اربعة او خمسة آلاف سنة . فلم يترك شعب من الشعوب القديمة أثراً كآثار قدماء المصريين وما عرفنا شعباً معرفتنا له .

المملكة المصرية

قدم الشعب المصري - قال كاهن مصري لهيرودتس : انتم معاشر اليونان اطفال . كلام يفهم منه ان المصريين كانوا يرون انفسهم أقدم أمم العالم فقد قامت ست وعشرون سلالة ملكية الى عهد الفتح الفارسي سنة ٥٢٠ ق . م ترتقي اولها الى أربعة آلاف سنة . وكانت مصر دولة في خلال هذه الاربعين قرناً فجعلت منفيس في بلاد الصعيد عاصمتها اولاً الى عهد السلالة العاشرة (وهو دور الدولة القديمة) ثم صارت مدينة ثيبة في مصر العليا (وهو دور الدولة الحديثة)

منفيس والاهرام - بنى مدينة منفيس أول من ملك مصر وسورها بسور منيع فبقيت سالمة من بوائق الايام زهاء خمسة آلاف سنة ثم أخذ السكان أحجار انقاضها في القرن الثالث عشر وبنوا بها مساكن القاهرة وما تركوه منها أنى عليه النيل وسدل دونه حجاًباً أما الأهرام فلا تبعد كثيراً عن منفيس ويرد عهدا أيضاً الى الدور القديم وهي قبور ثلاثة ملوك من السلالة الرابعة وعلو اعظمها ١٤٧ مترًا عمل في بنائه مئة الف عامل مدة ثلاثين سنة . وقد اقيمت سدود منحدرة قليلاً لرفع الاحجار الى شاهق ثم خربت المدن المصري - يدل ما يتخرج من قبور تلك الاعصر من هياكل وصور وأدوات على أن هناك شعباً متمدناً . فقد عرف المصريون قبل ثلاثة آلاف وخمسة مائة سنة للميلاد حراثة الارض ونسج الثياب وتطريق المعادن والنقش والرسم والخط وكانت لهم ديانة منظمة وملك وادارة . على حين كانت الامم النبية وهم الهنود والفرس واليهود واليونان والرومان في

حالة من الحمجية مأثورة مذكورة .

ثيبة - خلفت ثيبة مدينة منفيس فصارت عاصمة البلاد على عهد السلالة الحادية عشرة ولم تزل خرائبها المدهشة في لوح الوجود وهي ممتدة على ضفتي النيل ومحيطها نحو اثني عشر كيلو متراً . وعلى الشاطئ الشمالي صف من القصور وهي اقصر والكرنك تبعد بعضها عن بعض نصف ساعة بنيت كلتاهما وسط الخرائب وجمع بينهما شارع ذو صفين من تماثيل أبي الهول وكان هناك قديماً أكثر من ألف أبي الهول . وأعظم هذه المعابد الخربة معبد عمون في الكرنك أحيط به سور محيطه ٢٣٠٠ متر . وان طول اشهر قصر (ايبوستيل) وأعظمه في العالم مئة و متران وعمقه ٥٣ متراً وهو حجم عمود فاندوم . وكانت ثيبة عاصمة ومدينة مقدسة ومقر الملوك ومسكن الكهنة نحو ألف وخمسة مائة سنة

فرعون - يعتبر ملك مصر المعروف بفرعون ابن رب الشمس ومثاله على الارض وبزعمون انه كان هوربا . وقد شوهدت صورة الملك رعحمسيس الثاني جالساً بين ملكين . فالملك يتعبد انساناً ويعبد ملكاً . وفرعون ساطة مطلقة على البشر لربوبيته فبحكم حكم المولى على كبار سادات عصره وعلى المقاتلة ورعاياه كافة والكهنة في عبادتهم إياه يلبفون من حوله ويحرسونه فيكون رئيسهم الكاهن الاعظم للرب عمون المسأثر بالحول والطول دونه وقد يحكم باسم الملك ويخلفه في الاحاين

الرعايا - يملك مصر من أعلاها الى أسفلها الملك والكهنة والجنود والموالي وما عداهم فوصفاء استخدمه ونهم في حرب الارض وعمال الملك يلاحظونهم ويقبضون ثمار عملهم بضرب المعنى أحياناً واليك ما كتبه

أحد هؤلاء الموظفين الى صدق له : ألا تذكر حالة الفلاح الذي يحرق الارض فان جابي الاموال يقف على الرصيف المعد لجباية عشر الغلات وثلاثة من العمال بمصيدهم يتبعونه وزنوج ماسكون بأيديهم سعفات النخل يصرخون بصوت واحد . البدار البدار الى تسليم الحبوب . واذالم يكن للفلاح ما يؤديه من الغلات ليقونه على الارض ويشدون وثاقه ويجرونه في التربة رأسه الى تحت وقدماه الى فوق

كيفية حكم مصر كان الشعب المصري أبداً ولم يزل بعد فرحا لا يهتم خاضعاً خاضعاً أشبه بالطفل المستسلم الى ظالمه . وكانت العصافي هذه البلاد أداة التربية والحكومة حتى كان أعوان الملك يقولون : (خلق ظهر الفتى ليضرب فهو لا يمتثل الأمر الا اذا ضرب) ذكر أحد سياح النمريسيس انه كان واقفاذات يوم أمام خرائب ثيدة فهتف قائلاً : ليت شعري كيف بنوا كل هذا . فاستضحك دليلاً وقال ماسكا بيده مشيراً الى نخلة : « بهذه بنوا هذا اجمع » اعلم يا وولاي انه اذا كسرت مئة ألمسعة من سعف النخل على ظهر من اكسافهم عربانة أبداً تبنى قصور كثيرة ومعابد اعزال المصريين - قلما خرج المصريون من بلادهم لما انهم حاذروا ركوب البحر ولذلك لم يكن لهم ملاحه وما اتجروا والشعوب الاخرى ولم تعرف لهم بحرية الا على عهد الدولة السادسة والعشرين وما كانوا أمة حربية قط . وافد قادم ملوكهم الجنود في حروبهم واتخذوا القنال ديدنهم فبعنوا البعوث الى زنوج الحبش نارة والى القبائل السورية أخرى فاذا غلبوا صوروا صورة النصر على جدران قصورهم ومتى قتلوا راجعين من غزاتهم يأتون

بالاسارى فيستخدمونهم في بناء المعاهد على انهم ما احرزوا قط نصراً مؤزراً
ولا فتحوا فتحاً مييناً فدهم الاغيار مصر اكثر مما حمل المصريون على الاغيار

ديانة المصريين

يقول هيرودتس ان المصريين من أشد البشر تديناً ولا يعرف شعب
بلغ في التقوى درجاتهم فيها فان صورهم بجملتها تمثل ناساً يصلون أمام رب
وكتبهم على الجملة أسفار عبادة وتنسك .

الارباب المصرية - رب الشمس رأس الارباب (الآلهة) عندهم
وهو الخالق المحسن العليم الكائن منذ البدء له امرأة وابن عريقان مثله في
الربوبية وكان المصريون يتعبدون بهذا التثليث الذي تختلف اسماؤه وان
اتحدت مسمياته فكان اهل كل إقليم يسمي كلاً من هذه الاسماء الثلاثة باسم
يختلف عن الآخر . ففي منفيس سمي الاب فتاح والام سيخت والابن
اموتس وفي أيدوس سموها أوزيريس ، ايريس ، وهوروس ، وفي ثيبة
عمون ، وموت ، وشونس . ثم اختار أهل كل إقليم أرباب الاقاليم الأخرى
وقد يشتقون من كل رب تثليث أرباب أخرى وهكذا تعدد الارباب
وتشوش الدين

اوزريس - لهذه الارباب تاريخ وهو تاريخ الشمس فكان ذالكوكب
يتراءى للمصريين كما يتراءى لغالب الشعوب الاصلية انه أقدم المخلوقات
وبعبارة أخرى انه من الارباب فاوزيريس أي الشمس قتلها سيت رب الليل
وايزيس القمر امرأته تبكيه وتدفعه وهوروس ابنه الشمس الساطعة يأخذ
ناره قاتلاً قاتله

عمون را - هو رب ثيبة عندهم صور مجتازاً السماء كل يوم في قارب

وأرواح الموتى تقذف به بمجازيف طويلة فالرب يقف في المقدم مستعداً لضرب العدو برمح. وهالك الذئيد الذي كان يتغنى به تعظيماً له. «السلام عليك انت تهب محسناً انت تهب صادقاً يا مولى الافقين انت تطوف السماء من عل وأعداؤك هالكون. السماء في أنس والارض في فرح والارباب والناس في عيد وكلها اجتمعت لتمجد «را» يشاهدونه في قاربه وقد كسر العدى . يارا هب فرعون حياة طيبة وامنحه ما يقوته من خبز ويرويه من ماء وطيب شعره وعطره اردانه .»

أرباب رأسها رأس حيوان — مثل المصريون أربابهم في صورة آدمية تارة وعلى مثال البهيمة أخرى . ولكل رب حيوانه فيتجسد فتاح في الجمل . وهوروس في الباشق . وازوريس في النور . وتختلط الصورتان طوراً في انسان رأسه رأس حيوان او في حيوان رأسه رأس انسان . وللرب عندهم أن يكون ذا أربع صور وأشكال فيكون هوروس مثلاً باشقاً او انساناً برأس باشق أو باشق برأس انسان

حيوانات مقدسة — لا يعلم لماذا كان يعنى المصريون بهذه الاشارة من اتخاذ الحيوانات التي تشبه الارباب مقدسة مباركة مثل الثور والجمل وايبس (طائر طويل الرجل) والباشق والقط والتمساح فيتوفرون على إطعامهم وحمايتهم . فقد قتل أحد الرومانيين في القرن الاول قبل الميلاد قطعاً في الاسكندرية فثار الشعب وقبض عليه فذبحوه رغم ارادة الملك وشفاعته فيه فعلوا ذلك علي حين يرهب المصريون بأس الرومانيين كثيراً وكان المصريون رب يعبدونه في كل معبد وقد قص سترابون كيفية زيارته تمساحاً مقدساً في ثيبة فقال : كان هذا الحيوان رابضاً على شط غدير فاقرب منه الكهنة

وتقدم اثنان منهم ففتحاه فمه وجاء ثالث وحشاه حلويات وسعكاً مشوباً
وشراباً من عسل مصفى

الثور ايبس — اجل هذه الحيوانات المربوبة او المؤلمة الثور ايبس فانه
كان يمثل اوزيريس وفتح معاً ويعيش في منفيس في مصلى له يخدمه الكهنة
فيه حتى اذا مات هذا الثور يكون حاله حال اوزيريس (رب الشمس)
فيحنط وتجعل موميأؤه في ناووس اما قبر أوسارهابي فهو من المعاهد الهائلة
وقد فتح ماربت الفرزناوي مقبرة السرايوم عام ١٨٥١

عبادة الموتى — عبد المصريون أيضاً أرواح الموتى ويظهر انهم كانوا
يعتقدون أولاً ان لكل انسان قريناً (كا) فاذا مات يخلفه قرينه في حياته
وهو اعتقاد اعتقده كثير من الشعوب المتوحشة وكان القبر المصري يدعى
قديماً « بيت القرين » وهو عبارة عن مكان منخفض منظم كالغرفة يزين من
اجل القرين بضروب الآثار من كراسي ومناضد وسرر وصناديق وأصونة
واغشية وأقمشة والبسة وادوات زينة واسلحة ويضعون تارة مركبة حربية
وما شاء للذته من تماثيل وصور وكتب واطعامه من بر وكل ما احل بالعين
وحلي بالنم ويضعون فيه طوراً قرين الميت وهو تمثال من خشب او حجر صنع
على صورته ومثاله ثم يسور مدخل الناووس فيبقى فيه القرين ومعنى الاحياء
بامره فيجابون له طعاماً او يتوسلون الى أحد الارباب ان يرزقه طعاماً على
نحو ما اراد في هذا الرسم المزبور: على الحجر (قربان لا زوريس ليعطي زاداً من خبز
وشراب وثيران وأوزولبن وخمر وجمعة ولباس وعطور وكل ما طاب وصفا
الى المتوفى فلان)

حشر الارواح — انشأ المصريون منذ السلالة الحادية عشرة يعتقدون

ان الروح تنفصل عن الجسد وتلحق باوزيريس تحت الارض حيث تغيب الشمس كل يوم فيما يظهر . هناك بتصدر اوزيريس في محكمته وقد أحاط به اربعة وعشرون محكماً فيؤتى بالروح امامهم فتحاسب عما قدمته بين يدي نجواها في الحياة فنوزن اعمالها بميزان الحق وتطلب شهادة القاب . فيهتف الميت قائلاً . « يا قاب اني ورثتك عن أمي منذ درجت على الارض فلا تقم علي شاهداً تتجني علي أمام الرب المنعال » فالنفس الشريرة تعذب قرونًا ثم تهلك والنفس الطيبة تطير احقاباً وبعد عن كثيرة تنضم الى زمرة الارباب ونفنى فيهم

الموميات - تستطيع الروح في خلال هذه الزيارة الدخول في الجسد لتستريح ولذا اقتضى ان يظل الجسد سليماً . ومن اجل ذلك تعلم المصريون طريقة تحنيط الجثث فيملاًون الجثة عنبراً وينفطسونها في مستحم من النطرون ويعصبونها بعصيات فتصير مومياً . هكذا توضع الموميا في تابوت من خشب اوجبس وتودع في القبر مصحوبة بما يقتضي لها من ضروريات الحياة

كتاب الاموات - كان بوضع بجانب الموميا كتاب صغير اسمه كتاب الموتى يذكر فيه ما ينبغي للنفس ان تقوله في العالم الثاني دفاعاً عن نفسها امام محكمة اوزيريس وهو : « ما ارتكبت خيانة وما عذبت ايماً وما ارتكبت محرماً ولا ألفت البطالة ولا وشيت بالعبد الى مولاه ولا حبست الخبز عن المعابد ولا سرقت عصيات الموتى ولا طعامهم ولا طففت مكاييل الحبوب ولا صدت الحيوانات المقدسة ولا قبضت الاسماك المقدسة . اطعمت الجوعان واسقيت العطشان وكسوت العريان وقدمت الضحايا

للارباب وصنعت الوضائم للموتى اه» وهنا تستبان حكمة المصريين وهي الاحفاظ بالرسوم والتكاليف واحترام ماله علاقة بالارباب وان يكون المرء مخاصماً محتشماً محسناً

الصنائع

الصناعة - المصريون أول من مارس الصنائع التي تمس حاجة الشعب المنحضر اليها وكانت الصور في القبور من عهد السلائل الاولى أي من نحو ثلاثة آلاف سنة قبل الميلاد تمثل ناساً يحرثون ويزرعون ويحصدون ويدرسون ويذرون الحبوب وقطعاناً من ثيران وخرافاً واوزاً وخنازير واعياناً حسنة ثيابهم واحنقالات واعياداً يحتفل فيها بضرب العيدان أي كما كانت حياة هذه الامة بعد ثلاثة آلاف سنة حذو القذة بالقذة . وقد عرف المصريون لذلك العهد صنع الذهب والفضة والقلز والاسلحة والحلي والزجاج والخزف والابنا ونسج الثياب من صوف وكتان وانسجة شفافة او وشاة بالذهب

عقود الابنية - كان المصريون اقدر البنائين القدماء في العالم اقاموا المعاهد العظيمة حتى صارت كأنها خلدة بحيث لم يقو الزمن لعهدنا على تقويضها وتبيدها ولم يبذوا مئاناً يوتاً اسكن الاحياء بل كانت مبانيم خاصة بالارباب والموتى فيبنون لهذا الغرض المعابد والمقابر . ولم يبق من مساكنهم الارسوم محيلة أما تصور الملوك فلم تكن على قول اليونان غير خانات بالنسبة للقبور . ذلك لان المسكن يبنى ليأوي اليه الانسان في حياته والقبر يبقى خالداً على الدهر القبور - أصل الهرم الكبير قبر ملوكي والقبور القديمة هي من هذا النوع . وترى في مصر السفلى الى اليوم اهراماً مصطفة كالشوارع أو

مبددة هنا وهناك تختلف في الكبر والصغر . ثم صارت تقام القبور تحت الارض يعمر بعضها تحت التراب وينحت الآخر من حجر الصوان « الكرانيت » في الجبال ولكل جبل قبور جديدة . وكانت مدينة الموتى أي مدافنهم على مقربة من مساكن الاحياء ولكنها ازهى وأوسع المعابد - يتطاب الارباب كذلك مساكن طيبة خالدة وتتألف معابدهم من هبكل جميل وهو مأوى الرب نكتنزه القصور والحدائق وغرف الكهنة وحاشيتهم ودروج جواهرهم وأدواتهم وملابسهم وقد صنع مجموع هذه الابنية المسورة في عصور كبيرة . فاشترك ملوك من جماع السلالات المصرية في تشييد معبد عمون في نوبة من السلالة الحادية عشرة الى السلالة الاخيرة ومن العادة ان يفتح في أول المعبد باب عظيم محني الجوانب وتقام على طرفيه مسلمان مبنيتان بشعاف الصخر مذهبة الاطراف أو تمثالان من الحجر على مثال جبار جالس . وقد يوصل الى المعبد من طريق طويل نصبت في جوانبه تماثيل ابي الهول مصنوعاً من الحجر على صفيين . هذه الاهرام والمنحنيات والتماثيل وأبو الهول والمسلات نذبي بما بلغه المصريون من العناية بعقود الابنية وكلها نخينة قصيرة عميقة بحيث تبدو هذه المعاهد ضخمة لا يلبها الدهر ولا تفننها الغير

صناعة النحت - حاكي النحاتون من المصريين الطبيعة بنقوشهم . وان الناظر ليدعش من أقدم التماثيل لما فيها من الحياة والبساطة ولا شك انها كانت صور الموتى . ومن هذا الجنس صورة ذاك العامل الجاني المحفوظة في متحف اللوفر بفرنسا . وعلى عهد السلالة الحادية عشرة نقيت النحات بقاعدة مقررة دينية فلم يعد يمكنه تمثيل الجسم الانساني على حسب ما يظهر

له وأخذت النمايل منذ ذاك العهد تتشا كل وغدت السوق متأزقة والارجل ملتفة والاذرع مشتبكة على الصدور والهيئة غير متحركة لكنها مهيبه وابدأ ذات جلال و متحدة في النوال فانقطعت هذه الصناعة عن محاكاة الطبيعة وغدت رمزاً متفقاً عليه

الرسم - استعمل المصريون اصباغاً لاتنصل بقيت باهية زاهرة بمد مضي خمسة آلاف سنة عليها . على انهم لم يعرفوا غير تلوين الرسم وظلوا ولا خبرة لهم بتوزيع الالوان ولا رسم الظلال والاشباح البعيدة . وكان للرسم كما للنقش قواعد دينية مطردة فاذا عرض على صانع ان يرسم خمسين شخصاً يصورهم على هندام واحد ونظام واحد

الآداب - للمصريين آداب خاصة بهم فقد عثر في النواويس على كتب طب وسحر وزهد كما عثر على قصائد ورسائل ورحلات وروايات مصير التمدن المصري' - احتفظ المصريون باربابهم ودينهم وصنائعهم الى ما بعد سقوط مملكتهم فخضعوا للفرس ثم لليونان ثم للرومان ولم يطرخوا شيئاً من عاداتهم القديمة ولا نسوا خطهم ومومياءهم وحيواناتهم ثم دثر التمدن المصري ببطء بين القرن الثالث والثاني ب م

الاشوريون والبابليون

بلاد الكلدان

وصفها — ينبجس من قم جبال أرمينية المغطاة بالشلوج نهران سريع جريهما بعيد غورهما وهما الرافدان دجلة والفرات الاول من الشرق والثاني من الغرب . يتقاربان أولاً ثم يتباعدان عند بلوغهما السهل فيستقيم دجلة في جريته وينعطف الفرات في صحاري الرمال ثم يجتمع النهران قبل أن يصلا الى البحر . فالبلاد التي يجتازها هذان النهران هي بلاد الكلدان . وهي سبب من صلصال تمطره السماء قليلا وتشتد فيه الحرارة والقيظ بيد أن الانهار تسقي بجداولها هذه الارض الصاصالية فنصيرها من أخصب بقاع الارض وابت قيعانها . وان حبة القمح والشعير لتأتي مثنين وفي أعوام الرخاء ثلثمائة والنخيل في تلك البلاد غابات غيباء يستخرج منه الخمر والعسل والطحين

الامة الكلدانية — باكرت الحضارة بلاد الكلدان في العهد الذي باكرت فيه مصر فسكنها شعوب متمدنة . وتدها جريا لها عدد من الاجناس من أصفاع كثيرة فاجتمعوا وامتزجوا في هذه السهول الفسيحة الارجاء . جاءها من الشمال الشرقي ناس من النورانيين أهل اللون الاصفر وهم يشبهون الصينيين وأتاهم من الشرق طائفة من الكوشيين ولونهم أسمر قائم وهم أنسباء المصريين ونزل اليها من الشمال فئة من الساميين وألوانهم صافية وهم أقرباء العرب فتألف الشعب الكلداني من هذا المزيج

مدنها — زعم كهنة الكلدان ان ملوكهم تبسطوا في مناحي الساطة منذ مائه وخمسين الف عام وهو زعم خرافي يعذرون عليه لان الحامل لهم عليه توغل مملكة الكلدانيين في القدم . هذه الارض تتخللها هضاب وآكام

كلها كومة أنقاض من بقايا بلد غفته طوارق الدهر. وقد فتح كثير منها
واخرجت منه عدة دفائن مثل «أور» و «لارسام» و «بال ايلو» وظفر
الباحثون بعدة آثار. وما برح أمر هذه الشعوب مستورا عن الانظار مجهولة
حقيقتهم على أرباب الافكار على انه من المأمول أن يظفروا بكتابات جديدة
في الاماكن الكثيرة التي لم تتناولها الايدي بالحفر واستخراج الدفائن. وبعد
فقد دعت هذه الامم نفسها بالسوميريين والاكاديين وانقرض ملكهم
حوالى سنة ٢٣٠٠ قبل المسيح وربما كانت اذ ذاك في اiban قدمها فيرد
عهدا اذا الى ثلاثين قرناً قبل الميلاد على الاقل

الاشوريون

أشور — هذه البلاد واقعة وراء بلاد الكلدان على شاطيء دجلة
وهي مخصبة التربة قائمة على تلعات كثيرة فيها واحادير. تحترقها هضاب
وتتخللها صخور. تثلج فيها السماء في الشتاء لقربها من الجبال وتهب عليها
الاعاصير في الصيف

أصولهم — زخر بحر العمران في بلاد الكلدان فكان فيها امصار
عاش فيها الاشوريون خاملين في جبالهم وقد أغار ملوكهم بجيوشهم
الجرارة في القرن الثالث عشر على السباسب والقداد فاسسوا مملكة ضخمة
عاصمتها نينوى

أساطير قديمة — لم نكد نعرف عن الاشوريين منذ اربعمين سنة الا
قصة ذكرها ديودورس الرومي من أهل جزيرة صقلية وقيل أن نينوس
بنى مدينة نينوى وافتتح آسيا الصغرى جملة واستخضعت امرأته سميراميس
بلاد مصر وكانت من الارباب فاستحالت بمد حماة فخلفها ملوك خاملون

مدة ١٣٠٠ سنة . حوصر آخرهم في عاصمته واسمه ساردانا بال فحرق نفسه
ونساءه الى ما شاكل ذلك من الاقاصيص التي قل فيها الصدق واعوزت
كلمة الحق

ينوى - هذا ما عرف عن مملكة اشور القديمة الى ان اكتشف المسيو
بوثا قنصل فرنسا في الموصل سنة ١٨٤٢ اطلال قصر عظيم بالقرب من
قرية خراساباد الحقيرة وقد غشيتها رمال صيرتها رابية . وهذه هي المرة
الاولى التي شوهدت فيها الصناعة الاشورية بمظهرها ووجدت الثيران
المجنحة بالاحجار سالمة مائة على باب القصر . وقد جيء بها الى باريز فجعلت
في متحف اللوفر . واتخذت بوثا بحضرياته أنظار أوروبا فانفذت بمئات
كثيرة وخصوصاً الانكليز . توفر بالاس ويارد على الحفر في آكام أخرى
فاكتشفت قصور غير هذه . سلمت هذه الخرائب لجفاف الهواء في تلك
الارحاء وبما غشيتها من طبقات التراب . ثم انه عثر على جدران مغطاة
بنقوش بارزة وصور وتماثيل وكتابات كثيرة فتسنى درس حال تلك العمارات
في اماكنها وأخذت عنها صور المعاهد والنقوش . وأول ما اكتشف
قصر خراساباد وهو الذي بناه الملك سراغون مكان نينوى عاصمة ملوك
اشور وهي قائمة على عدة هضاب يحيط بها سور ذو ابراج مربع الاضلاع
ذرعه ٢٦٠ غلوة (نحو ٤٣ كيلو متراً) وقد بني خارج الجدران بالقرم مدود داخله
تراب مهيل . أما دور المدينة فقد دثرت ولم يبق منها أثر ضئيل ولا رسم
محيل . بيد انه ظهرت عدة قصور شادها غير واحد من ملوك اشور . وقد
ظلت نينوى عاصمة الملوك الى ان اوغل الماديون والكلدانيون في احشاء
مملكة اشور ومزقوها شذر مذر .

كتابات القرمد - يتألف كل حرف في الكتابات الاشورية من مجموع علامات على شكل سهم او زاوية ولذلك دعي هذا الخط بالخط المسماري وكانوا يستعملونه خنجراً مثلث النصل في آخره حد مثلث الاضلاع لرسم هذه العلامات يبلونه في صحيفة من الخبز الرطب ثم يدخلونه التنور فيصير صلباً لا ينمجي أثره . وقد كشفت في قصر اسوربانيال مكتبة تامة من الصفائح قام فيها القرمد مقام الورق

الخط المسماري - غالى جملة من رجال العلم في حل هذا الخط أعواماً كثيرة فتمذرت عليهم قراءته اذ كان لاول عهده يستعمل في كتابة خمس لغات متباينة وهي الاشورية والسوسية والمادية والكلدانية والارمنية . دع عنك الفارسية القديمة . وكانت تلك اللغات مجهولة فدامت اللغة التي نتكلم عليها الآن مشوشة كل التشويش لاسباب عديدة أهمها تركيبها من خطوط رمزية ينوب كل منها مناب كلمة مثل «شمس» «رب» «سمك» ومن خطوط ذات مقاطع . ولان لهذه اللغة مائتي خط ذي مقاطع يتشا كل بعضها مع بعض ويسهل التباسها وإشكالها ولان الخط الواحد كثيراً ما ينوب عن كلمة وعن مقطع ولان الخط الواحد يقوم مقام مقاطع مختلفة بمعنى أن خطأ واحداً يقرأ «ايلو» تارة «وآن» طوراً وهو أصعب هذه الصور وأشكلها .

كان هذا الخط عسراً حتى على من يكتبونه . ونصف مالدنيا من الآثار المسمارية هو كتب إرشادات من نحو ولغة وصور مما ساعد على حل النصف الآخر فتأتى الرجوع اليها في حل المشكلات على ما كان عليه شأن المتعلمين في مملكة آشور منذ ٢٥٠٠ سنة وقد أفلح العلماء في حل الكتابات الاشورية

كما أفلحوا في حل الكتابات المصرية . فكانت لهم كتابة مستطيلة في لغات ثلاث آشورية ومادية وفارسية ونفعت الفارسية في حل غيرها

الشعب الاشوري — فطر الاشوريون على حب الصيد والحرب وان نقوشهم لتمثلهم مدججين بالاقواس والرماح راكبين صهوات الخيول بحيث ساغ أن يوصفوا بانهم كحمة مجال وأبطال يحسنون الكر والفر . وان استوى في أعينهم رواحهم الى مناوشة ومغداهم في حرب زبون . ولقد عرفوا بالخيانة وسفك الدماء فوطئوا آسياسة قرون وخرجوا من جباههم يغيرون على جيرانهم . ولطالما آباؤنا من غزواتهم وقد أسروا شعوباً باجمعها والظاهر أنهم يناشون غيرهم القتال لمحض حب السفك والتدمير والنهب فانهم أشد خلق الله بأساً وأقساهم قلوباً

الملك — رأى الاشوريون لملكهم الخلافة عن الله في الارض جرياً على العادة الآسيوية فاطاعوه طاعة عمياء وبدلوا في حبه مهجهم . فكان الملك عندهم سيداً مطلقاً في حكمه رعاياه مهما اختلفت طبقاتهم يدعومهم الى حمل السلاح تحت لوائه فيقاتل بهم شعوب آسيا حتى اذا قفل منصوراً يصور ما آثره على جدران قصره ذا كراً انتصاراته وما ناله من الغنائم وحرقة من المدن وذبحه من الاسرى وساخه من احيائهم

الحملات — اليك بعض فقرات من نشرات الحروب قال اسورنازيرهابال عام ٨٨٢ : انني عمرت جداراً امام ابواب المدينة العظيمة وساخت جلود زعماء الثورة وغطيت هذا الجدار بجلودهم وقد دفن بعضهم احياء في اساس البناء وصلب فريق آخر وجعلوا على أوتاد في الحائط وساخت جلود

كثيرين في حضرتي وكسوت الحائط بها وجمعت رؤوسهم على هيئة التيجان وضممت جنثهم الى أشكال الا كاييل

وكتب توكلابالازار عام ٧٤٥ ما نصه : حبست الملك في عاصمته ورفعت كوراً من الجثث أمام الابواب . هدمت مدنها كلها ودمرتها وأحرقها وأقمرت البلاد وصيرتها آكاماً وقاعاً نصفاً ينعق فيها يوم الخراب . وقال سنجاريب في القرن السابع : « انطلقت كالعاصفة المدمرة فسبحت السروج والاساحة في دماء الاعداء كلها في نهر والتراب مبلل وجمعت جثث جندهم كما تجمع الغنائم وبترت أطرافهم وقضت عظام من أخذتهم أحياء على نحو ما نقصن التبنة وقطعت أيديهم عتقاً لهم بما جنت أيديهم » هذا وقد صورت في إحدى النفوش التي تمثل مدينة سوس وهي ترد الى عهد اسوربانيبال وشوهدت فيها رؤوس المغلوبين يعذبهم الاشوريون وقد صلمت آذان بعضهم وسمت أعين آخرين ومنتقت لحاهم . وهناك رجل يسلخ جلد وهو حي مما دل على ان أولئك الملوك كانوا يرتاحون الي ما يتم على أيديهم من الحرائق والمذابح والعذاب

خراب المملكة الاشورية — بدأت هذه الطريقة في الحكم في القرن الثالث عشر زمن الاستلاء على بابل وذلك نحو عام ١٠٧٠ وظل الاشوريون منذ القرن التاسع يسرحون الحملات ويشنون الغارات حتى أخضعوا وان شئت فقل خربوا بلاد بابل وسورية وفلسطين ومصر وكان المغلوبون يثورون في غضون تلك المدة بلا انقطاع والمذابح قائمة على ساق وقدم . ثم ضعفت قوى الاشوريين واتحد البابليون والماديون فقلبوا عرش مملكتهم نينوى عاصمة بلادهم سنة ٦٢٥ وهي المدينة التي سماها أنبياء بني اسرائيل « عرين

الاسد» ومدبنة الدم والغنيمة فتيسر الاستيلاء عليها وخربت فلم تقم لها قائمة بعد . قال النبي ناحوم (خربت نينوى فمن يشفق عليها ياترى؟)

البابليون

المملكة الكلدانية - قامت مملكة اشورية جديدة مكان بلاد الكلدان القديمة الدائرة دعيت مملكة البابليين او المملكة الكلدانية الثانية . وقد تكلم احد انبياء اسرائيل على لسان الرب فقال : « انا احبي الكلدان تلك الامة الظالمة وسرعان ما تطوف الارض الاستيلاء على مساكن غيرها وان خيولها لا خف سيراً من النمر وفرسانها لينتشرون في الاطراف ويطيرون كاتسر ينتفض على قنيصته » وبالجملة فقد ألف الكلدانيون الفروسية والحرب والفتح وهم يمانلون الاشوريين كل الممالكة فاستولوا على بلاد الفرس والجزيرة وبلاد اليهود وسورية وكانت مدة حكمهم قصيرة فقد أنشئت المملكة البابلية سنة ٦٢٥ وابداهها الفرس سنة ٥٣١ ق م

بابل - كان بختنصر (٦٠٤ - ٥٦١) من اقدر ملوكها وهو الذي خرب بيت المقدس وساق اليهود اسرى واسس في بابل عاصمة بلاده كثيراً من المعابد والتصور . اقيمت هذه المعاهد بالآجر الفلد الحجر في سهل الفرات . ولما كتب عليها الدثور والعفاء لم يبق منها الا كوم من التراب والانتقاض وقد عثر في المكان الذي كانت فيه بابل على بعض كتابات فعرفت هيئة المدينة . بيد ان هيرودتس اليوناني وصف مدينة بابل وصفاً مسهباً وكان زارها في القرن الخامس ق م فاذا هي محاطة بسور مربع يشقه الفرات وكانت المدينة تشغل حيزاً من الارض مساحته ٥١٣ كيلومتراً مربعاً

(أي سبعة اضعاف مدينة باريز) ولم تكن كل هذه البقعة الفسيحة الارحاء عامرة بالدور والمساكن بل كان يتخللها حقول مزروعة تقوم باود السكان آونة الحصار . فكانت بابل من ثم اشبه بمعسكر حصين منها بمدينة . وفي جدرانها ابراج ولها مئة باب من النحاس الاصفر وكان سمكها صالحاً لمرور مركبة عليها وفي حيال السور خندق عريض عميق مليء ماء وسترت حافته بالقرمد . وكانت دورها ذات ثلاث طبقات او اربع والشوارع وسطها زوايا قائمة . وما اعجب بناء جسر الفرات وارصفته والقصر الحصين والجنان المعلقة احدي عجائب الدنيا السبع . وهذه الجنان سطوح مغروسة بالاشجار قائمة على عمد وقباب مصفوفة طبقات الاولى بعد الثانية .

برج بابل - بني بختنصر في طرف المدينة برج بابل وقال في احدي كتاباته «لقد جددت اعجوبة بوردسيبا (من ضواحي بابل) اعجب الناس منها وهو معبد السيارات السبع في الدنيا فاعدت تأسيسه على النحو الذي كان عليه في الازمان السالفة » . وهذا المعبد على شكل مربع مؤلف من سبعة ابراج بعضها على بعض وخص كل برج باحدى السيارات السبع وصور باللون الذي اختاره الدين لتلك السيارة . وهذه الالوان اذا بدئ بها من أسفل فهي : زحل (سواد) والزهرة (بياض) والمشتري (ارجوان) وعطارد (ازرق) والمريخ (قرمزي) والقمر (فضي) والشمس (ذهبي) . وكان في أعلى الابراج مصلى ومنضدة من ذهب وفراش وثير تسكن اليه كاهنة .

اخلاقهم وديانتهم

اخلاقهم — لا تعرف هذه الشعوب الا بماهدا ومعاهدا تكاد لا تتعدى اعمال ملوكها فلا ترى الاشوريين أبداً الا وهم مصورون في حرب او في صيد او في احتفالات وما صور نساؤهم قط اذ كنّ جلس بيوتهن لا يخرجن للناس . وعلى العكس في الكلدان فانهم كانوا اهل حراثة وتجارة والكننا لا تعرف شيئاً عن حياتهم . يقول هيرودتس ان هذه الامة كانت تجمع البنات في مدنها مرة واحدة في العام لتزويجهن فيبيعون الجميلات منهن ويؤخذ ثمنهن ليعطى جهازاً الى مشوهات الخلقه . قال وعندي ان هذا القانون من احكم ماوضع من القوانين والشرائع .

ديانتهم — دين هاتين الامتين واحد فالاشوريون تمذهبوا بمذهب الكلدانيين وقد التبس علينا هذا الدين لانه نشأ كدين الشعب الكلداني من مزيج ديانات متباينة مشوشه كلها . فكان التورانيون يعتقدون على نحو ماتوهمه قبائل سبيريا الصفر ان العالم غاص بالشياطين (مثل الطاعون والحمى والاشباح والنفاريت) دأبها تربص البشر بالشر والاخذ بمخنقهم ولذلك تراهم لا يلجأون الى السحرة ليطردوا عنهم هاته الشياطين برقياتهم . وكان الكوشيون يعبدون ريين ذوي اقنومين الذكر وكان القوة بزعمهم والانثى وهي المادة وكان الكهنة الكلدان وهم مجموع طوائف قوية من المنعة بحيث ساغ لهم ان يمنوا بتوحيد الدينين .

الارباب الرب المنعال هو ايلوفي بابل واسور في اشور وقلما يقيمون له معبداً ومنه يشتق ثلاثة ارباب وهم آنو رب الظلمة وصورته صورة رجل وذنوب نسر معصب رأسه برأس سمكة . وبعل ملك الارواح مصور

كالملك على عرشه . ونواح وهو العالم المنظور هيئته هيئة جبار ذي اربعة اجنحة
 منتشرة . ولكل من هذه الارباب ربة انثى اشارة الى كثرة الاولاد
 والذراري . ثم ترد من اسفل صور القمر والشمس والسيارات الخمس
 والكواكب وفي هواء بلاد الكلدان الشفاف يضي سناها اضاءة لم نعهدها
 فتتلاً كالأرباب . وقد اقام الكلدانيون معابدهم باسم هذه الارباب وما
 هي في الحقيقة الامراصد يتمكن منها المتعبدين من مراقبة سير الافلاك .
 علم التنجيم — ذهب الكهنة الى ان هذه الكواكب ارباب عظيمة
 تعمل عملها في حياة الانسان . فكل امرئ يولد في الدنيا في طالع كوكب
 من الكواكب فينأى النبوء بسعده اذا علم الكوكب الذي ولد في
 طالع . ومن هنا نشأ علم التنجيم والفأل فما يحدث في السماء علامة على
 ما سيحدث على الارض . فالنجمة المذنبه مثلاً تنبئ بحدوث ثورة .
 ويعتقد كهنة الكلدانيين انهم اذا رصدوا القبة الزرقاء وسباراهما يتنبأون
 بالحوادث وهذا أصل التنجيم .

علم السحر — للكلدان ضروب من الرقى والطلسمات يدمدمون بها
 لطرد الارواح أو استحضارها . وهذه العادة من بقايا ديانة التورانيين وهي
 أصل السحر . نشأ علم السحر والتنجيم في بلاد الكلدانيين وانتشر في أفق
 المملكة الرومانية ثم تعداها الى بلاد أوروبا . عرف ذلك من تتبع القوانين
 السحرية في القرن السادس عشر وكان فيها اذ ذاك كلمات آشورية محرفة .
 العلوم — نشأت علوم النجوم في بلاد الكلدان فنها عرفناه منطقة
 البروج وتألف الاسبوع من سبعة أيام اكراماً للسيارات السبع وتقسيم السنة
 الى اثني عشر شهراً واليوم الى اربعة وعشرين ساعة والساعة الى ستين

دقيقة والدقيقة الى ستين ثانية . وعندهم أخذنا طريقة الاوزان والمكاييل محسوبة على مقياس الطول مما ألف بالاستعمال عند الشعوب القديمة كافة

الصنائع

علم عقود الابنية — لا نعرف صنائع الكلدانيين حق معرفتها اذ قد سجل العفاء على معاهدتهم . وقد حذا أهل الصنائع من الاشوريين ممن رأينا صنائعهم حذو الكلدانيين فصيح الحكم على المملكتين جملة واحدة . كان الاشوريون يبنون كالكلدانيين بأجر مجنف بالشمس ويفشون ظواهر الابنية بالاحجار .

القصور — اقام الكلدانيون قصورهم على آكام صناعية جعلوها واطئة مسطحة تشبه سطوحاً كبيرة واقتضى جعل العلامي والغرف ضيقة واطئة واكتفي بتطويلها كثيراً لان الآجر لم يكن لينفع في بناء القباب المنبسطة العالية . فالقصر الاشوري يشبه سلسلة أروقة ودهاليز . والسقوف سطوح ممتدة ذات شرفات وفي الباب ثيران ضخمة مجنحة على هيئة الانسان . والجدران مغطاة من الداخل تارة بروافد من الخشب النفيس وطوراً من الآجر المزين بالمينا وأخرى بصفايح من الرخام الابيض المنقوش وآيات تزدان الغرف بالصور ويحلى الأثاث بالترصيع البديع

النقش — يعجب المرء من نقوش الصور الاشورية خاصة ومن المحقق ان التماثيل نادرة ولا اتقان فيها لان النحاتين يؤثرون نحت صفائح كبيرة من الرخام ونقوش ناشئة تشبه الصور ويرسمون مشاهد لانظام فيها احياناً وحروباً وصيوداً وحصارات مدن واحتفالات يخرج الملك بها في موكب حفل وهناك تتجلى التفاصيل الدقيقة . فترى بنات الخدام الموكلين بطعام

الملك وزمر العملة يبنون له بلاطه والحدائق والحقول والغدران والاسماك في الماء والطيور ترفرف على وكناتها أو تتطاير من شجرة الى أخرى . وترى صور الكبراء من جوانب وجوههم لان أهل الصناعة ما عرفوا تصويرها من الامام . ولكنك تقرأ في سحناتهم الحياة والشرف . وتظهر الحيوانات في الاحابين وخصوصاً في الرسوم البارزة في الصيد وفي العادة أن تنقل نقلاً حقيقياً مذهشاً . وكان الاشوريون يتأملون الطبيعة ويرسومونها أصبح رسم وبهذا تعرف قيمة صنائعهم حتى ان اليونان اقتدوا بمذهبهم في الصنائع بان قلدوا النقوش الاشورية ففاقوا مقلديهم وليس في الامم حتى ولا اليونان أنفسهم من أحسنوا تصوير الحيوانات كالاشوريين

الفينيقيون

صور وقرطاجنة

وصفها — فبنيقية من بقاع الارض الضيقة طولها خمسون فرسخاً وعرضها من ثمانية فراسخ الى عشرة وهي بين بحر سورية واعلى سلسلة في جبل لبنان . بل هي على التحقيق عبارة عن سلاسل أودية ضيقة ومجار حرجة متخللة بين هضاب وعرة ممتدة الى البحر ومسائل من الثلوج . تعبت بها العواصف الى آخر الربيع اما في الصيف فينضب ماؤها الا ما خزن منه في الآبار والصحاريج . ولقد كسيت جبال هذه الناحية بالاشجار فكان في القمم ارز لبنان المشهور وفي المنحدرات الصنوبر والسرو وفي السفوح اشجار النخيل بالغة شاطئ البحر وفي الاودية ينمو الزيتون والكرم والتين والرمان .

مدنها - تتألف عن بعد على طول الشاطئ الصخري رؤوس من البحر
 أو جزر منه تكون منها مرافئ طبيعية ففي هذه الموانئ أقام الفينيقيون مدنهم.
 فقامت صور وارواد في جزيرة يزدحم فيها السكان في المنازل وكانت ذات
 طبقات ست وسبع وثمان. ويجلبون الماء لشفاهم في القوارب. أما مدينة
 جبيل ويروت وصيدا فكانت في اليبس. ولم تكن أرض هذه البلاد لتقوم
 باود هذا العدد الدثر من الناس ولذلك مال الفينيقيون الى الملاحة والتجارة.
 الخرائب الفينيقية - لم يحفظ عن الفينيقين كتاب فقد ضاعت حتى
 كتبهم المقدسة. ولقد جرى الحفر في مواضع مدنهم ولكن الخرائب على ما
 قال العالم المندوب الى ذلك لم تسلم إلا في البلاد المهملة المتروكة. على ان
 السوريين عنوا كثيراً بالخرائب فأنهكوا حرمة القبور واخذوا حلي الموتى
 وهدموا العمارات ليسنعينوا باحجارها على البناء وحطموا النقوش وذلك لكراهة
 المسلم الصور المنحوتة بحبث لم يبق اليوم سوى شقيف من الرخام المحطم
 واحواض ومعاصر نحتت في الصخر وبضعة نواويس من الحجر. اطلال قلما
 تجدي نقماً وتأتي العلم بفوائد وليس ما عرف عن الفينيقين إلا ما علمناه
 كتاب اليونان وانبياء اسرائيل

حكومة الفينيقين - لم تكن فينيقية مملكة قائمة برأسها بل كان لكل
 مدينة ناحية صغيرة تستقل بها ولها مجالس وملك يحكم نفسها بنفسها وتبعث
 بمندوبيها الى أعظم مدينة فينيقية لهض المصالح المشتركة وكانت صور محط
 رحال المندوبين منذ القرن الثالث عشر. واذ لم يكن الفينيقيون أمة حربية
 خضعوا لسطوة جماع التانحين من مصريين واشوريين وبابليين وفرس وادوا
 لهم الجزية عن يد وهم صاغرون.

صور - كانت هذه المدينة منذ القرن الثالث عشر من أهم المدن الفينيقية ضاقت على أهلها فاقامت اذ ذاك مدينة جديدة قبالتها . ولقد أسس تجار صور مستعمرات في البحر الابيض كله يصيدون الفضة من مناجم اسبانيا و سلع العالم القديم أجمع . دعاهم أشعيا النبي الامراء ووصف حزقيال النبي تلك القوافل التي كانت تأتيهم من كل صوب وأوب وطلب سليمان النبي الى هيرام احد ملوك صور عملة يشغلهم في بناء القصر والمعبد في بيت المقدس .

قرطاجنة - كانت هذه المدينة مستعمرة صور فقاقت هذه بالعظمة وذلك ان الصوريين نبذتهم احدى الثورات فاسسوا مدينة قرطاجنة على شاطيء افريقية بالقرب من تونس بعثهم على ذلك امرأة اسمها ايليسار ونحن ندعوها ديدون (الفارة) ويحكى ان سكان البلاد ابوا ان يبيعوها إلا مسافة تكفي لتغطية جلد ثور ففصلت جلد الثور سيوراً رقيقة بحيث اقتضت مكاناً واسعاً يستوعبها فبنت القلعة اذ ذاك . ولقد اتسعت قرطاجنة لموقعها في منتصف البحر الرومي ولان فيها مرفأين فافامت مي أيضاً مستعمرات وفتحت فتوحاً حتى آل امرها الى ان حكمت شاطيء افريقية باجمعه واسبانيا وسردينيا وكان لها في كل مكان مكاتب لتجارتها ورعايا يؤدون لها الجزية

الجيش القرطاجني اقتضى لقرطاجنة ان تدرب لها جيشاً لتصون مكاتبها التجارية من حيف الوطنيين وتربأ برعاياها عن الانتقاض . ومن ثم كانت حياة القرطاجني ثمينة لا يخاطر بها إلا عند الضرورة . آثرت قرطاجنة اكتراء الجند فجندت لها جنداً من البربر سكان بلادها ومن متشردى كل صقع وناحية فصارت صبغة جيشها مبرقشة ملونة يتكلم اللغات كلها ويدين بالاديان كافة . ولكل جندي بزته واسلحته الخاصة به يخالف بزة رصيفه

واساحته . فترى فيهم النوميدين يلبسون جلد الاسد يتخذونه وطاء كما يتخذونه غطاء يركبون خيلاً سريعة صغيرة بدون نظام ويطلقون القوس وخيولهم تعدو عدواً كما كنت ترى فيهم الليبين وجلودهم سوداء مسلحين بحراب . وطائفة من الايبيريين في اسبانيا لباسهم بياض مزين بحمرة وسلاحهم سيف طويل محدد وغالين عراة الى الزنار يحملون تروساً كبيرة وسيفاً محدياً يسكونه بكثا يديهم . وجماعة من البالياريين مدرين من طفوليتهم على رمي الحجارة او كرات الرصاص بالمقاليع أما القواد فكانوا قرطاجنيين تخافهم الحكومة فترقبهم عن أمم وربما صلبتهم اذا غلبوا ولم يحرزوا نصراً مؤزراً

القرطاجنيون - كان في قرطاجنة ملكان والامر والنهي لمجلس الشيوخ وهو مؤلف من أغنى تجار المدينة ولذلك كانت كل قضية بنهي بها الى الحكومة مسأله تجارية . كره الناس القرطاجنيين لقسوتهم وطمعهم وغدرهم ولما كان لهم أسطول منظم وعندهم مال يستأجرون به جنداً وحكومة باطشة تهباً لهم توطيد دعائم ملكهم في غرب البحر المتوسط مدة ثلاثة قرون (من القرن السادس الى الثالث) بين ظهراي شعوب بربرية منشقة على نفسها مخلطة كلتها الديانة الفينيقية - للفينيقيين والقرطاجنيين دين يشبه الديانة الكلدانية فالرب الذكر ويسمى عندهم بعل هو الشمس والربة الانثى وتدعى بعلت هي القمر والشمر والقمر في نظر المينبقيين قوى هائلة نحي وتميت . ولكل من المدائن المينيقية ربان . فالصيدا بعل صيدون (الشمس) وعشروت (القمر) ولقرطاجنة بعل عمون ونانيت وجبيل بعل تور وباليت . ويختلف اسم الارباب في الاعبارات ايجاداً وعدماء وهكذا يعبد بعل مثلاً في قرطاجنة باسم واوش ويعتبر عدماء . وقد تنوب عن هذه الارباب أصنام ولها معابد ومذابح وكهنة

يعظمون من شأنهم ويقيمون لهم المآدب والاعياد الحافلة باعتبار كونهم
 موجدين ويقدمون لهم ضحايا بشرية باعتبار كونهم مخربين وتعبد عشروت
 ربة الصبد العظيمة في الغابات المقدسة ويصورونها على شكل هلال القمر
 والحمامة ويرسم بهل مولوش في قرطاجنة تمثالاً عظيماً من القنز باسطاً ذراعيه
 ومدليهما واذا ارادوا تسكين غضبه يرفعون على يديه اطفالا تسقط للحال في
 هاوية من نار. وقد قدم اعبان مدينة قرطاجنة مائتي طفل من اولادهم ضحايا
 للربة مولوش في خلال حصار اغانوكل لقرطاجنة

هذا وان تلك الديانة على ما نشأت عليه من الشهوات وسفك الدماء
 لترهب الشعوب الاخرى ولكنهم يحاكونها ويأتمون بها فكان يذبح اليهود
 لبعل على الجبال ويعبد اليونان استارتيه وصيدون باسم افروديت وبعل لمخارت
 من صور تحت اسم هيراكليس

التجارة الفينيقية

استغال الفينيقيين -- عاش الفينيقيون بالتجارة لآزدحام أقدامهم في بقعة
 ضيقة من الارض ولم يكن لسائر شعوب الشرق من مصريين وكلدانيين
 واشوريين ولا قبائل الغرب البربرية (الاسبان والغالين والاطليان) عهد
 بركوب البحار وفتح العباب والفينيقيون وخدم جرأوا في تلك الايام على
 تجشم البحر فصيح ان يدعوا من اجل هذا عملاء تجارة العالم القديم وقادة
 البيع والشراء يبناعون من كل شعب سلعه ويتقايضون معه على غلات البلاد
 الاخرى تجارة كانت مستحكمة الصلات مع الشرق براً والغرب بحراً
 القوافل -- اعناد الفينيقيون ان يرسلوا في البر قوافل تتجه وجهات ثلاث
 احداها الى بلاد العرب لتأتي منها بالذهب والعقيق اليماني والبخور والصبر

وعطور بلاد العرب واللؤلؤ والابازير والعاج والابنوس وريش النعام وقرود الهند. والقافلة الثانية ترحل الى بلاد اشور لتعود منها بانسجة القطن والكتان والحمر والاحجار الكريمة والماء المعطر وحرير الصين . وتقصد القافلة الثالثة انحاء البحر الاسود لتستجلب منها الخليل والرقيق والاواني النحاسية من مصنوعات سكان جبال قافقاسيا « القوقاز »

بحريتهم -- بنى الفينيقيون بخشب ارز لبنان المتين قوارب باسرة ومجازيف حملوا عليها متاجرهم البحرية وما مست حاجتهم ان يكونوا ابداء على مقربة من الشواطئ في ركوبهم البحر اذ كانوا يتجهون حينما ارادوا بجعل نجمة القطب قيد نواظرهم وكانوا يستدلون بها على الشمال . ولقد فطر الفينيقيون على الاستخاف بركوب اليم فالفوا بانفسهم في مراكب صغيرة تغدو بهم وتروح في اطراف البحر الرومي بل جرأوا على اجتياز مضيق جبل طارق او كما دعاه القدماء « اعمدة هيركول » فيجتازون البحر المحيط الى شواطئ انكلترا وربما بلغوا بلاد النروج . سافرت عصابة منهم في خدمة احد ملوك مصر في القرن السابع وجازت البحر الرومي لتطوف حوالى افريقية ثم رجعت على ما قيل بعد ثلث سنين من البحر الاحمر وغادرت قرطاجنة حملة ضربت نحو شاطئ افريقية الى خليج غينة . وقد كسب القائد حانون قصة في هذه الرحلة

البضائع -- كان الفينيقيون يناعون محاصيل صناعات الشعوب المتمدنة ويبحثون في البلاد المتوحشة عما يقل الظفر به في المشرق من المحاميل . يصطادون الصدف من شاطئ بلاد اليونان ومنه يستخرجون صباغاً احمر وهو الارجوان . وكانت الالسجة الارجواية تستعمل عند الاقدمين كافة

ملابس للملوك والامراء ويجلبون الفضة التي يستخرجها أهل اسبانيا وسردينيا من مناجمهم وكان القصد من ضرورياتهم يستعملونه في صنع النحاس الاصفر وهو مركب من نحاس وقصدير لا أثر له في بلاد الشرق ولذا كان الفينيقيون يرحلون في طلبه وينشدونه حتى في شواطئ انكترا في جزائر القصدير المعروفة بجزائر كاسيتريد . وحيثما حلوا يتخذون الرقيق يتبعونه نارة كما كان يتبع النحاس العبيد في ساحل افريقية . اذ الشعوب القديمة كلها كانت تجر بالرقيق . وينزلون طورا في احدى السواحل فجأة فيختطفون النساء والاطفال وينقلون بهم الى بلادهم او يبعونهم في القاصية . واذا واتهم الحال ينقلون قرصانا ولا يحامون إطالة يد التعدي على الاغيار:

سرّ اختص به الفينيقيون — لم يقلق الفينيقيون إلا من قيام بحارة الامم الاخرى الى منازعتهم السلطة على البحار ومجاراتهم في الملاحة والاتجار فن ثم كانوا يكتفون الطريق التي يسلكونها لدن عودتهم من لاقطار النائية ولذا لم يعرف احد في القديم جهة جزر الكاسيتريد المشهورة التي جلبوا منها القصدير . وقد رأيت احدى المراكب بلاد اسبانيا التي كانت لها صلات تجارية مع فينيقية منذ قرون عرضاً بدون تعامل . وكانت قرطاجنة تغزو من تصادفهم من التجار الاجانب في سردينيا او في ناحية جبل طارق . حتى ان ربان احدى المراكب أغرق سفينته ذات يوم عندما رأى سفينة غريبة تطارده مخافة ان تطلع على خطة سيره

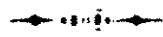
مستعمراتها — انشأ الفينيقيون مكاتب تجارية في البلاد التي اتجروا فيها وهي مراكز للبرد حصينة واقمة على شاطئ بحر على مرفأ طبيعي يخرجون اليها بضائعهم وهي في العادة انسجة ونثار وحلي واصنام فيأتي أهل تلك البلاد

بغلاتهم فيقايضونهم عليها كما يقايض اليوم تجار الاوربيين زنوج افريقية .
 نقام أمثال هذه الاسواق في قبرص ومصر وجميع بلاد البحر الرومي التي
 كانت على همجيتها مثل اقريطش (كريت) وبلاد اليونان وصقلية وافريقية
 ومالطة وسردينيا وشواطئ اسبانيا (مالقة وقادس) وربما أقاموها في بلاد
 الغول (موناكو) وكان اهل البلاد يبنون اكواخهم حول بنايات الفينيقيين
 فيصبح السوق مدينة ويقتبس السكان ارباب الفينيقيين وقد دامت عبادة ربه
 على صورة الحمامة حتى بعد ان صارت المدينة يونانية كما في سبتير والرب
 ملخارت كما في كورنت ورب ذو جهة ثور يفترس الضحايا البشرية كما في
 اقريطش

نفوذ الفينيقيين - لم يكن يخطر للفينيقيين شيء على بال لما أسسوا
 مكاتبهم التجارية إلا الاحتفاظ بمصالحهم الخاصة ولكن حدث ان نفعت
 مسعمراتهم التمدن فان برابرة الغرب اخذوا عن أمم الشرق وكانت أكثر
 منها تمدناً كيفية صنع الانسجة والحلي والماعون وتعلموا محاسنها مضي حين
 من الدهر واليونان لم يعرفوا غير الاواني والحلي والاصنام التي يأتيهم بها
 الفينيقيون وعلى منوال هذه البضائع نسجوا بعد فان الفينيقيين حملوا من
 مصر واشور الصناعة والبضائع معاً

الابجدية - حمل الفينيقيون ايضاً الى البلاد التي نزلوها ابجديتهم وحروف
 الهجاء ولم يخترعوا الخط اذ كان المصريون يعرفون الكتابة قبلهم بقرون وقد
 استعملوا حروفاً تدل كل منها على صوت كما هو الحال في حروف الافرنج .
 على ان خطهم كان مشوشاً بعلامات قديمة يدل بعضها على مقطع وآخر على
 كلمة برمتها . لا جرم انه اقتضى للفينيقيين اذ ذاك طريقة أبسط لكتابة

رسائلهم التجارية فاطرحوا العلامات كلها من مقاطع وصور ولم يبقوا سوى
 اثنين وعشرين حرفاً يدل كل منها على صوت او على لفظ باللسان فاقتبست
 الشعوب الاخرى هذه الابدادية المؤلفة من اثنين وعشرين حرفاً. فقد كتب
 اليهود من اليمين الى الشمال كما كتب الفينيقيون وكتب غيرهم كاليونان من
 الشمال الى اليمين وكلهم بدلوا شكل الحروف إلا قليلاً . والخط الفينيقي على
 التحقيق أصل الابدديات كلها من يهودي وليسي ويوناني وايتاليكي
 وابتروسكي وايبيرسكي وربما كان الخط النروجي ايضاً فالفينيقيون هم الذين
 علموا العالم الكتابة



الاسرائيليون

العبرانيون

التوراة - جمع اليهود أسفارهم المقدسة باسمها في سفر واحد دعوه
 التوراة وهو اسم يوناني معناه الكتاب هذا هو سفر اليهود الجليل وقد صار
 لاهل النصرانية ايضاً كتاباً مقدساً . وفي التوراة ايضاً تاريخ الامة اليهودية
 ولقد استفدنا كل ما اتصل بنا عن الشعب المقدس من الكتب المقدسة
 العبرانيون - لما نزل الساميون من جبال ارمينية الى سهول الفرات
 أخذت احدى قبائلهم على عهد مملكة الكلدان الاولى تضرب نحو الغرب .
 فجازت الفرات فالقفرسورية وبلغت بلاد الأردن وراء فينيقية وتعرف هذه
 القبائل بالعبرانيين يعني اهل ما وراء النهر وهم كعظم الساميين شعب من
 الرعاة الرحالة لم يحرثوا الارض ولا سكنوا الدور والمنازل بل كانوا يتنقلون

من مكان الى آخر في قطمان بقرهم وغنمهم وجمالهم منتجعين المراعي آوين الى الخيام على نحو ما يعيش العرب في البادية اليوم . وفي سفر التكوين وصف هذه العيشة البدوية

البطاركة - كان السبط منهم أسرة كبيرة مؤلفة من الرئيس ونسائه واولاده ومواليه وكان للرئيس على الجميع سلطة مطلقة فكان بهذا السبط أباً وkahناً وقاضياً وملكاً . من اجل هذا دعونا هؤلاء الرؤساء البطاركة واعظهم ابراهيم ويعقوب فالاول اب العبرانيين والآخروالد الاسرائيليين اظهرتهما التوراة في مظهر رجلين ارسلهما الله ليرأسا شعباً مقدساً وقد اعطى ابراهيم ربه ميثاقاً ووعدته الطاعة هو ومن يأتي بعده من قومه فبشر الله ابراهيم بذرية تفوق نجوم السماء عدداً واطمأنت نفس يعقوب بان تكون منه امة عظيمة وشعب جم

الاسرائيليون - سمي يعقوب باسم اسرائيل اي مدافع عن الله لرؤيا رآها ودعي سبطه بني اسرائيل او الاسرائيليون . وذكرت التوراة ان القحط حدا يعقوب ان يغادر بلاد الاردن ليسكن واهل بيته صغارهم وكبارهم على التخوم الشرقية من مصر وهي البلاد التي دعاه يوسف احد ابناؤه الى هبوطها وقد صار وزيراً لعزيرها احد الفراعنة . وظلّ بنو اسرائيل في تلك الارحاء قرناً كثيرة فجاءوا وعددهم سبعون نسمة ونموا على قول التوراة حتى صار عددهم ستمائة الف رجل . خل عنك النساء والاولاد

نزول الوحي على موسى - افتتح عزيز مصر يسوم الاسرائيليين ضروب المظالم ويضطرهم الى صنع الملاط والقرمد لا بتناء مدن حصينة فقام من بينهم اذ ذاك موسى احد ابناهم وقد اوحى اليه ربه وعهد اليه ان ينقذهم من الجور

والعسف وكان يرعى غنمه ذات يوم على الجبل فظهر له ملك وسط عليقة تتلظى ثم سمع هذه الكلمات : « انا رب ابراهيم واسحق ويعقوب رأيت مادهم شعبي في مصر من الحزن وسمعت شكواه ممن يظلمونه وعرفت مايناله من العذاب ولذا نزلت لخلاصه مما ينتابه من المصريين لانزله بلاداً من ارض كنعان تفيض لبناً وعسلاً فتعال اذاً ارسلك الى فرعون تخلص شعبي ابنا اسرائيل ونخرجهم من مصر » فقاد موسى الاسرائيليين وهاجروا من مصر وهذا مايدعى بالخروج اوسفر الخروج واجتازوا بسفح جبل طور سيناء وهناك تلقوا شريعة الرب وأخذوا يتيهون جيلاً كاملاً في القفار جنوبي سورية اسرائيل في القفر — وكثيراً ما كان الاسرائيليون يودون الرجوع الى البلاد التي تركوها فيقولون : « انا لنذكر ما كنا نطعمه في مصر من السمك والقثاء والبطيخ والكرات والبصل نخليق بنا أن نؤمر علينا زعيماً يقودنا الى بلادنا وكان موسى يدعوهم الى الطاعة ثم بلغوا الارض التي وعد الله بها ذريتهم الارض الموعودة — دعيت أرض كنعان أو فلسطين فدعاها اليهود بلاد اسرائيل ثم دعيت بعد بلاد اليهودية ودعاها أهل النصرانية الارض المقدسة وهي بلاد جافة قاحلة في الصيف ولكن فيها جبال وآكام وصفتها التوراة بما يلي : لقد ساقك ربك القيوم الى بلد طيب ذات أنهار وينابيع في الارض تنبجس من الوادي وعلى الجبل بلد البر والشعير والكرم والتين والرمان والزيتون والزيت والعسل بلاد تأكل فيها خبزك آمناً من القحط لا ترزأ في مال ولا ينقصك شيء من رفاهية الحال. وبلغ عدد الاسرائيليين بعد الاحصاء عندئذ ٦٠١٧٠٠ رجل يحمل السلاح منقسمين الى اثني عشر سبطاً عشر منها من نسل يعقوب واثنان من نسل يوسف هذا عدا عن اللاويين

أو الكهنة وعددهم ٢٣ ألف رجل . وكانت تسكن البلاد التي نزلوها عدة شعوب صغيرة تدعى الكنعانيين فبادهم الاسرائيليون واستولوا على بلادهم « ديانة الاسرائيليين »

الله الفرد - عبد سائر الشعوب القديمة اربابا كثيرة أما الاسرائيليون فاعتقدوا بوجود إلهٍ منزه عن الحيولى برأ العالم ودبره . ففي سفر التكوين ان الله خلق في البدء السموات والارض وقد خلق النبات والحيوان وخلق الانسان على صورته ومثاله فالبشر كلهم صنعة الله

شعب الله - بيد ان الله اختار من بين الناس جميعاً ابناء بني اسرائيل ليجعلهم شعبه وامته فدعا ابراهيم وقال له سأجعل بيني وبينك وبين ذريتك عهداً لا كون ربك ورب ذريتك من بعدك . وقد تمثل الله ليعقوب قائلاً له : انا الله القادر اله آباءك فلا تخام نزول مصر فساجعلك فيها امة عظيمة . ولما سأل موسى ربه عن اسمه اجابه : تقول لابناء اسرائيل اني انا الله السرمد اله آباءك ابراهيم واسحق ويعقوب ارسلني ربي اليكم هذا هو اسمي على الدهر

العهد - فبين الاسرائيليين والمولى تعالى اذاً اتحاد او عهد فالقيوم جلّ جلاله يحب الاسرائيليين ويدفع عنهم البوائق فهم والحالة هذه امة مقدسة « واعلى الشعوب كافة في نظره » وقد وعد ان يجعلهم سعداء اقوياء وتعهد الاسرائيليون ان يقابلوه على ذلك بان يعبدوه ويخدموه ويطيعوه فيما يريدون عليه كما يطاع المشرع والقاضي والمعلم

الوصايا العشر - أوحى القيوم الصمد عزّ شأنه مشرع بني اسرائيل بوصاياه الى موسى على جبل طور سيناء بين البرق والرعد وهي مسطورة في

لوحين وهما اللوحان اللذان كتب الله عليهما وصايا العشر بما نصه : لا يكن لك آلهة اخرى امامي لا تصنع لك تمثالا منحوتاً ولا صورة ما مما في السماء من فوق وما في الارض من تحت وما في الماء من تحت الارض لا تسجد لهن ولا تعبدهن لاني انا الرب الهك إله غيور افتقد ذنوب الآباء في الابداء في الجيل الثالث والرابع من مبغضي واصنع احساناً الى ألوف من محبي وحافظي وصاياي لا تنطق باسم الرب الهك باطلا لان الرب لا يبريء من نطق باسمه باطلا اذكر يوم السبت لتقدسه ستة ايام تعمل وتصنع جميع عملك واما اليوم السابع ففيه سبت للرب الهك لا تصنع عملاً ما أنت وابنتك وابنتك وعبدك وامتك وبهيمنتك ونزيبك الذي داخل ابوابك لان في ستة ايام صنع الرب السماء والارض والبحر وكل ما فيها واستراح في اليوم السابع لذلك بارك الرب يوم السبت وقده اكرم اباك وامك لكي تطول ايامك على الارض التي يعطيك الرب الهك لا تقتل لا تزني لا تسرق لا تشهد على قريبك شهادة زور لا تشته بيت قريبك لا تشته امرأة قريبك ولا عبده ولا امته ولا ثوره ولا حماره ولا شيئاً مما لقريبك

الشرية — على الاسرائيليين ما خلا هذه الوصايا العشر ان يعملوا بكثير من الاوامر الالهية مما ذكر في اسفار التوراة الخمسة الاولى وهي التي تتألف منها شرية اسرائيل . فالشرية تنظم عندهم احتفالات العبادة وتعين اعياد (السبت كل سبعة ايام والفصح ذكرى خروجهم من مصر وجمعة الحصاد وعيد المظال في موسم قطف العنب) والشرية هي التي ترتب الزواج والاسرة والتملك والحكومة وتعين العقوبات على الجرائم وتحدد الاطعمة والادوية فالشرية عندهم والامر على ما ذكر مجلة الاحكام الدينية والسياسية والمدنية

والجزائية ولمولى الاسرائيليين تعالى أن ينظم أعمال حياتهم جميعها
 (الديانة الفت الشعب اليهودي) لم يقبل الاسرائيليون بحكم الله قبول
 من خضع وخضع فقد قال موسى للاويين وهو على فراش الموت دافعاً اليهم
 كتاب الشريعة « خذوا هذا الكتاب ليكون شهادة عليكم يا اسرائيل لاني
 عارف بما أنتم عليه من شكاسة الخلق وقساوة القلب ولم تبرحوا طول حياتي
 تبدون نواجذ العصيان على المولى القيوم فليت شعري ماذا يكون من شأنكم
 بعد مماتي . وقد حدث أن مرت قرون ومن العبرانيين من يعبد الاصنام
 وربما كانت هذه الفئة هي السواد الاعظم من الامة على انهم أصبحوا أشبه
 بسائر الساميين في سورية وظل الاسرائيليون وخدم على قدم الاخلاص
 للمولى جل شأنه فتألف منهم الشعب اليهودي وخرج الشعب المبارك بدين
 الله المتعال من قبيلة مجهولة على التدرج . نعم انها لامة قليلة الحصى والعدد
 ولكنها من الامم التي لها الشأن الاعظم في تاريخ العالم

« ملكة القدس »

القضاة -- نزل العبرانيون أرض فلسطين ولكنهم ظلوا منشقين قرونًا
 كثيرة لم يكن لذلك العهد كما تقول التوراة ملك لاسرائيل بته بل كل يعمل
 على شاكلته ويحكم بما يوحى اليه رايه . وكثيراً ما كان الاسرائيليون ينسون
 ربهم ويعبدون أرباب القبائل المجاورة فاستشاط ربهم عندئذ غضباً من سيئات
 أعمالهم وأسلمهم الى أيدي أعدائهم يفعلون بهم الافاعيل حتى اذا ندموا على
 ما فرطوا في جنب الله وأصبحوا خاضعين خائعين يرسل ربهم اليهم قضاء
 يسمعون في خلاصهم من أعدائهم المباغتين وربما مات القاضي وعاد ديب
 الفساد يدب في نفوس الاسرائيليين فيسجدون لمعبودات أخرى . وكان

هؤلاء القضاة مثل جدعون ويفتاح وشمشون من الغزاة يحررون القبائل باسم القيوم الابدي ثم لا يلبث الشعب أن يعود الى عبادة الاوثان والتلطخ بحمأة العبودية

الملوك - سئم الاسرائيليون آخر الامر وطلبوا الى شمويل (سموأل) الكاهن العظيم أن يجعل لهم ملكاً فلما عليهم شاول على رضم ارادته وكان على هذا الملك أن يكون منفذاً خاضعاً لارادة الرب لكنه حاول الخروج عن الطاعة وشق عصا الجماعة فراح الكاهن العظيم يقول له : لقد نبذت كلام الله ظهرياً فسيبعدك ربك عن الحكومة وينزع السلطة من يدك . ثم ان داود وكان زعيماً جندياً خلفه وحمل على أعداء اسرائيل كافة واسترجع لهم جبل صهيون ونقل اليه عاصمته وهي القدس .

بيت المقدس - كانت القدس بالنسبة الى بابل وثيبة عاصمة بلاد فقيرة . وما كان العبرانيون يتعاطون البناء ويميلون الى العمران بل كانت ديانتهم تحظر عليهم اقامة المعابد وكان يقضى على مساكن الخاصة أن تشبه تلك المكعبات من الحجر التي لا تزال تشاهد الى اليوم في شواطئ لبنان وقد غشيتها الكروم والتين ولكن كانت القدس بلد اليهود المقدسة وكان فيها للملك قصر يسكنه ألا وهو قصر سليمان الذي دهش العبرانيون بعرشه المصنوع من العاج وهناك أقيم بيت الرب وهو أول معبد عبراني

المعبد - كان المعبد الذي أقيم على عهد سليمان كبيت القربان المقدس عند النصراري مقسوماً الى ثلاثة أقسام ففي داخله يقوم قديس القديسين حيث كان تابوت العهد ولم يكن يسمح لغير السكاهن العظيم أن يدخله مرة في السنة وفي وسطه المكان المقدس وكان فيه مذبح البخور ومسرحة ذات أغصان

سبعة ومائة الخبز يدخل اليه الكهنة لحرق الغالية ووضع القرابين وفي المقدمة ساحة البيعة مفتحة أبوابها للناس تنذر فيها الضحايا على المذبح الكبير. وعليه فقد صار معبد القدس بعدئذ واسطة عقد الامة يقصدونه من اقاصي فلسطين لحضور الاحتفالات وكان الكاهن الكبير الذي يرجع اليه أمر العبادة من أعظم الرجال وربما كان في الاحياء أكبر سلطة من الملك

الانبياء

نكبات اسرائيل - ان سليمان آخر ملك عرف بالحول والطول وانفصل بعده عشرة اسباط ألغوا مملكة اسرائيل تلك المملكة التي عبد سكانها عجول الذهب وأرباب الفينيقيين ولم يخلص منها الدين لله وحده أو لملك بيت المقدس سوى سبطين ومنها قامت مملكة يهوذا (٩٧٧) ولقد انتهكت قوى تينك المملكتين بما اضطررا الى دخوله من المعارك حتى اذا جاءتهما جيوش الفاتحين من الشرق خربت مملكة اسرائيل بأيدي بختنصر ملك الكلدان (٥٨٦)

احساس الاسرائيليين - رأى المؤمنون من الاسرائيليين هذه المصائب عقوبة لهم وان الله عذب شعبه لخروجه عن طاعته على نحو ماجرى قديماً على عهد القضاة وأسلمه للفاتحين يمزقونه كل ممزق . وركب ابناء اسرائيل هواهم واجترحوا الآثام في جانب مولاهم فبنوا علايا وقصوراً في المدن كافة وخذوا حذو الامم المحيطة بهم فخالفوا بذلك أمر ربهم وما حرمه عليهم فصنعوا صوراً مسبوكة وسجدوا للكواكب وعبدوا الصنم بعمل ولذا نبذ الله تعالى أصل اسرائيل وعاقبهم فجعلهم طعمة لمن يكتسح بلادهم ويسلب طارفهم وتلاذم الانبياء - على ذلك العهد ظهر الانبياء وهم الياس وأرميا وأشعيا وحزقييل وفي العادة أن يخرجوا من القفر بعد أن يقضوا زماناً في الصيام والصلاة

والاعتبار والتدبر يأتون باسم الله لا غزاة مثل القضاة بل منذرين وسبشرين يدعون الاسرائيليين الى الانابة وقلب الاصنام والتوبة الى باري النسم ويندرونهم بالخطوب التي يبعثها الله عليهم بعد اذا لم ينيبوا اليه فكانوا من ثم يدعون ويتنبأون التعليم الجديد - رأى هؤلاء الرجال المستمسكون بالامر الالهي أن العبادة الرسمية في القدس غثة باردة . وليت شعري لم يذبحون البقر ويحرقون البخور اجلالاً لله على نحو ما يفعل الوثنيون . يقول عيسو : « أصيخوا إليّ باسماعكم وعوا ما يقوله تعالى : ما ذا أعمل بجموع قرايبتكم فقد شبعتم من ضحايا الغنم ومن دهن الحيوانات السمينه وماعاد يلذ لي دم الثيران ولا الخرفان ولا التيوس فكفوا إذاً عن أن تقدموا لي ضحايا هي من العبث فان نفسي عزفت عن استنشاق بخوركم ومتى ترفعون أيديكم أحول نظري عنكم لان أيديكم ملأى بالدم المهرق فقوموا وطهروا أنفسكم وارجعوا عن سيئات أعمالكم عودوا أنفسكم عمل الصالحات وخذوها بتوخي طريق الرشاد وحماية المظلومين واقسطوا اليتيم ودافعوا عن الایم وعند ما تصير خطاياكم كالقرمزي حمراء تبيض كالثلج » وبهذا رأيت ان الانبياء أرادوا الاستعاضة عن القيام بالندور والضحايا بالعدل وصالح الاعمال

المسيح - استحق بنو اسرائيل ما دهمهم من المصائب ولكن لكل قصاص حد ينتهي اليه وغاية يقف عندها فقد قال عيسو باسم الحي القيوم أيها الشعب لا تخشى الاشوري أبداً فانه سينالك من عصاه مثل ما كان ينالك من المصري في الزمن الغابر ولكن ستفتأ سورة غضبي قريباً ويرفع عن كاهلك ذلك العبء الثقيل . وعليه فقد علم الانبياء الشعب اليهودي أن ينتظروا بعثة من يخلصهم وهياؤوا السبل للمسيح

الشعب اليهودي

الرجوع الى بيت المقدس - جاء انباء يهوذا من سهل الفرات ولم ينسوا وطنهم ولطالما احتفلوا به وتذكروه في اناشيدهم يقولون جلسا على شاطيء انهار بابل وكنينا وقد ذكرنا صهيون . فعيدانا كانت معلقة في اشجار الصفاف على ضفة النهر وكان يقول لنا من أتوا لنا : تعنوا بضع اناشيد من جبل صهيون ولكن أنى لنا ان نتغنى بشيد للرب في ارض غريبة وبعد سبعين سنة في العبودية اذن سر وس فاتح بلاد بابل ان يعودوا الى فلسطين مجددوا بناء البيت المقدس والمعبد وعادوا الى احياء الاعياد والاحتفالات المكتسبة المقدسة وحددوا العيد مع ربهم علامة على ايمانهم عادوا الى طاعته وعادوا من تبعه وهذا العيد عبارة عن ميثاق على الاصول كتبه اعيان الشعب ووقعوا عليه .

اليهود - دامت مملكة القدس الصغرى مدة سبعة قرون يحكمها ملكت تارة وكاهن كبير آخرى وفي كلتا الحالتين كانت تؤدى الجزية الى رعماء سورية فحياها الفرس اولاً ثم المقدونيون ثم السور يون ثم الرومانيون . وابد صدق اليهود (دعوا كذلك لدن رجوعهم) مع ربهم ظلوا على عيدهم الاول من العمل بتريعه مومى والاحتفال بالاعياد وتقديم النذور في القدس وكان الكاهن الاكبر يحفظ التريعة : ظاهرة مجمع الاعيان وانكتمة ينقلونها والعلماء يفسرونها للشعب وجمهور المؤمنين يرون من واجباتهم الحري سلبها واهمل بدقيقتها وجليها واشتهر الفريسيون خاصة بعيرتهم وفتايمهم في القيام بصروب الاعمال الصالحة

المدارس (انكنائس) - ومع هذا فقد كان اليهود يرحلون في التجارة وينتسرون خارج بلادهم في مصر وسوريا واسبانيا والصغرى وايطاليا وكانت طائفة من اهل مذهبهم في المدن الكبرى جميعاً كالاسكندرية ودمشق واطاكية وافيس وكورنت ورومية وكانوا ابداً يجتمعون في عيد واحد ليحفظوا كياناتهم ويجمعوا تملهم المتنت بين الوتبيين ولم يقيموا المعابد لان الشريعة كانت تحظر عليهم ذلك وليس لهم ان يبنوا سوى معبد يهودي واحد الا وهو معبد القدس حيث كان يحتفل بالاعياد وتقام المواسم والشعائر بيد ائمتهم كانوا يجتمعون ليشرحوا كلام الله ويتلوه ودعيت هذه الاماكن باسم يوناني (الكنيس) ومعناه المجالس حراب المعبد - ظهر المسيح في حلال تلك المدة فصابه اليهود واضطهدوا حواريه سواء كان في بلادهم او في المدن الكبرى التي حل فيها اجم الغفير منهم . ولقد شقت القدس عصا الطاعة عام ٧٠ على الرومانيين فاحذت عنوة وذبح سكانها كافة او بيعوا الاماء والعبيد فالقى الرومانيون النار في المعبد وقد حفل وطابهم بالاعلاق المقدسة . ومن يومئذ لم يعهد لليهود مجمع لدينهم

ما كتب على اليهود بعد تفرقهم - عاشت الامة اليهودية بعد خراب عاصمتها ولما انتشت
 ستمها تحت كل كوكب في العالم انتشت تستغي عن المعمد وابتقت كتبها المقدسة مكتوبة
 بالعبرية . والعربية لغة نبي اسرائيل الاصلية لم يتكلم بها اليهود منذ رجوعهم من بابل بل اقتسوا
 لغات الشعوب المحاورة كالسريانية والكلدانية وخصوصا اليونانية . على ان الممترين في الدين
 من الربانيين ظلوا يعرفون العبرية وهم يترحون التوراة ويسرونها وهكذا حفظت الديانة
 اليهودية ونفصل اللغة العبرية ايضا بقي الشعب اليهودي وكثر اتباع هذا الدين في الاعيار
 وكان في المملكة الرومانية اس كتيرون من يدينون باليهودية وليسوا من العنصر اليهودي
 في تمي .

قويت شوكة الكنيسة المسيحية في القرن الرابع فطقت تصطهد اليهود اصطهادا دام
 الى يوم الناس هذا في البلاد المسيحية جمعا . ومن العادة ان يتسامح مع اليهود في احراء مراسيم
 ديانته لغناهم واستشارهم بفروع الاعمال المالية ونكسهم يحوهم عن ممارسة الوظائف الادارية
 واقدر اكرهوا في معظم المدن ان يامسوا تيانا خاصة ويترلوا في حي خاص مظلم وحيم وويل
 وان بعثوا احيانا باحدهم يصنع في سبب الفصح والاس يرموهم باسمهم يستمسون اليسابيع ويقتلون
 الاطفال ويدسون القربان المقدس وربما تورون بهم في الاحاس فيقتلونهم ويعتمون ما في
 دورهم ويستقيهم قصاة الدالاد السم او يعدوهم او يخرقون لافل حجة تاهة ولطامنا بهم
 الحكومات رراوات من الاده وصادرت امواهم واقدر اجتب دار اليهود من فرنسا واسبانيا
 وانكرا وايطاليا ولم تقم منهم قية الا في الاد الرتعال ومانيا وولوبيا وفي البلاد الاسلامية
 ومن هذه الممالك رجعوا الى سائر قارة اورونا منذ انتهت ايام اصطهاداتهم وكف الناس
 عن ارهاقهم واعنائهم



الفرس

دين وردنت

ايران - بين سهري دجلة والسند وبحر الحرر والخليج الفارسي صقع عظيم يعرف ببلاد ايران تبلغ مساحته خمسة اضعاف مساحة فرنسا او تزيد ولكن معظمه مخدب قاحل وهو يتألف من صحارى رمال محرقة ومن الحاد باردة قارسة تشقها اودية عميقة شجرا؛ وتحيط بها جبال شاهقة. واد حيل بين الابهار وحريرا وهي لا تسير الا ريتا تصيب في الرمال او في بحيرات مالحة. وبتند هوا هذه البلاد وبقرب فيكون حرا في الصيف وقرا في الشتاء وقد يجتار من يهبط هذه البلاد من منطقة تبلغ درجة حرارتها نحو ٣٢ تحت الصفر الى منطقة حرارتها ٤٥ متفردا بمعنى ان تلك البلاد سميت الى ردسيبريا حرارة السبعال. وهناك تعصف الرياح الربارع فمعمل في الاحسام فعل الحسام. بيد ان الاودية وضفاف الابهار محصنة منبنة. وهذه البلاد هي ولا حرم مصدر الدراق وتخر الكرز ومسست التمار والمراعي

الايرايون - سكنت بلاد ايران قديما من الآريين (١) القاطنين للمح اي بكتريا وهي الوطن الاصلي للجنس الآري (٢) كانوا كسائر ابناء هذه البلاد حبا من الرعاة المسلمين المحاربين. ولقد كان الايرايون يقاتلون على ظهور الخيل ويطلقون السهام وينسبون السنة من الخلد يحنونها وقاية على اديهم من هوا بلادهم الشديد.

وردنت - عند الايرايون اولا ما عبده قدمه الآريين من قوى الطبيعة وخصوصا الشمس «ميترا» وقام من اظهرهم حكيم اسمه وردنت (٣) له اولاد وله كتب كثيرة منها ما له علاقة بالشرية ثم ظهر وردنت واصبح هذا الدين) ويدعوه الافرنج زرواستر فاصلى ديانة الايرايين بين القرن العاشر والسادس قبل الميلاد ولم يبلعنا من احماره غير اسمه. الرانداستنا (الزندو نازدوانستا) - لم يبق شيء مكسوب يؤثر عن وردنت ولكن تعاليمه المؤلفة بعده يرمن طويل قد حفظت في الرانداستنا اي التبعة والاصلاح وهو كتاب الفرس المقدس. وقد كتب هذا السمر بلغة قديمة لم يتبعها اتباع هذا المذهب انفسهم ودعواها

(١) ما كان في هذا الفصل بين هالين هو في الغالب من املاء العالم الدكتور مرزا مهدي خان زعيم الدولة ورئيس الحكماء صاحب جريدة حكمت الفارسية الغراء بصبر واليه رجعا في تصحيح بعض الاعلام

اي الافرنج بارند « وكات تدمسم علي ماورد في اساطيرهم الي احدى وعشرين نسخة كتبت علي اتني عشر الف جلد تورصم بعضها الي بعض باسلاك من الذهب وارادها المسلمون لما فتحوا بلاد فارس واحتفظت بعض اسرات ايرانية بتعاليم زردشت واخلصوا ديهم له فلجأوا الي بلاد الهند فحفظ فيها احلافهم المدعوون بارسيس تلك الديانة القديمة . وقد وجد عندهم سفر تام من الرانداستا وقطع من الكتابين الآخرين

اورمزد «هرمز وهرمس» واهرمين «رمر الي العقل والهمس وعمد العامه اله الخبير والشر» هذه ديانة زردشت علي نحو ما ورد في تلك الكتب الا ان هرمز الذي يدعوه الافرنج اورمزد وهو الديان الذي لا يحيى عليه شيء خلق العالم والقوم يصلون له بهذه الالفاظ ادعوا الخالق هرمز واحتمل شعاعه فانه الدور والضياء عظيم رحيم كامل تنهم ذكي جميل سام طاهر يعرف العلم الصحيح مصدر اللذة وهو الذي برأنا وصورنا واضعما « واذ كان علي جانب من الصلاح لم يخلق الا ما هو كذلك وما يرى في العالم من شر فقد برأه رب الشر انكرام انيو اي روح العذاب وندعوه اهرمين (وديو اي شيطان)

الملائكة والشياطين - يقف اهرمين الشقي المخرب قبالة هرمز الباريء الخليم ولكل منهما طائفة من الارواح مجنود هرمز الملائكة المظهور « ياراستا » وحمود اهرمين شياطين حباء (ديو) ويسكن الملائكة في الشرق في سوء المتشرق والشياطين في الغرب في ظلمات التشرق وكلا الحيتين لا يزالان في حرب دائمة والعالم ساحة قتالهما لان كليهما حاضر في كل مكان فيسعى هرمز وملائكته الي الاحتفاظ بالخلق واسعادهم وصلاحهم ويطوف اهرمين وشياطينه حولهم لاهلاكهم وسوء ظالعيهم وطلاحهم

حلائق هرمز واهرمين - كل حسنة في الارض هي من صنع هرمز وتستخدم للخير والشمس والضياء اللدان يطردان الليل والنواك والشراب الخمر الذي يتراءى كأنه ضوء سيال والماء المروي للاسنان والحقول المروسة التي تغديه والاشجار التي يستظل بها والحيوانات الاهلية والكلب والطيور منها خصوصا ما يعيش فيها في الضوء ولا سيما الديك لانه يبشر بالنهار هذه كلها برأها هرمز . وعلي العكس يبعث كل ما يهر من اهرمين فيكون شراً مثل الليل والحفاف والبرد والقعر والنباتات السامة والتوك والحيوانات الكاسرة والافاعي والحلمات الطفيلية (كالبعوض والبراغيث والبق) والحشرات التي تعيش في الحجر المظلم كالصبيان والعقارب والصقار والحردان وانحل - وهكذا تبعت الحياة والطهارة والحقيقة والعمل وكل ما حسن في عالم الاخلاق من هرمز . والموت والقذارة والكذب والاكسل وكل ما حبت وساء يبعث من اهرمين

العبادة - مصدر العبادة والاحلاق من هذا الاعتقاد فعلى المرء ان يعبد رب الخير (١) ويناضل عنه . يقول هيرودتس : ان من عادة الفرس ان لا يقيموا هياكل ومعابد ومدارج الارباب و يعد من أقى ذلك كافراً بالنعمة لان هذه الامة لاتعتقد اعتقاد اليونان من ان الارباب صورة على نحو صورة البشر . وان هرملبيدو بهيئة النار او الشمس ولدا يحفل الفرس بعبادتهم في الحلاء على الجبال امام موقد مشتعل فيستدون الاناسيد تحيداً لهرمر ويذبحون له الحيوانات (كذا) دليلاً على عبادته

الاخلاق - اصل الاساس عن هرمر محسناً لعمله مقبلاً لعمل اهرمين يجاهد في الظلمات وهو يدالدار بالخطب الحاف والعمور ويجاهد في القفر تحرت الارض وابتداء البيوت ويجاهد حيوانات اهرمين قتل الحيات والصاب والحلمات الطفيلية والحيوانات الكاسرة ويجاهد الناس وذلك انه يتطهر ويدفع عنه كل ما مات وخصوصاً الاطافر والشعور وحيثما وحدث الشعور والاطافر المتقوصة وبالك يجتمع الشياطين والحيوانات القدرية . ويجاهد الكذب حارياً على قدم الصدق . قال هيرودتس ان الفرس يستحقون الكذب وهو عندهم عار وسبة كما انهم يكرهون الاستدانة لان المديون يكذب بالضرورة . ويجاهد الموت وذلك بالرواج والاستكسار من الولد . كما في الرانداوستا ما اقبج البيوت التي حرمت من السل والدراري الحائر - متى مات الاساس تعود حنسه الى رب التبر ولدان يقضي انقاد الدار منها لا باحراقها فانها تحبس الدار ولا تدفنها فانها تحبس الارض ولا اعراقها فانها تحبس الماء ومن فعل ذلك فيكون قد تلطخ بحمأة القذارة ابد الدهر . وطريقة الفرس في دفن موتاهم تختلف عن غيرهم من الامم فيجعلون الحنة في مكان عال مكشوفة حننها نحو السماء مثقلة احجار تم يركمون الى الفرار حننية من الشياطين لانها تجتمع رعمهم في اماكن الدفن حيث ماوى المرض والحى والقذارة والرعب والشعور القديمة وعندا تجي الكلاب والطيور وهي من الحيوانات الطاهرة فتطهر الحنة باقتراسها

مصير الارواح - تفصل روح الميت عن جسده وفي اليوم الثالث من موتها يؤتى بالروح على الصراط (شايواد) المؤدي الى الجنة ماراً فوق هاوية جهنم فيسأل هرمر الروح عندئذ عن حياتها السالفة فان كانت محسنة تعصدها الارواح الطاهرة وارواح الكلاب وتأخذ بيدها لاجتياز الصراط ويدخلها الى مقام السعداء (برودس اي فردوس)

(١) ان بعض روادقه الفرس امهدا (هـ في ارض الحريرة) يعبدون رب التبر على عكس ذلك وينهبون الى ان امهدب الخير لما كان في دانه سالخا ورحيماً لا حاجة ان ينحصر له و يقترب اليه باواع القربات وتدعى هذه الطائفة اليزيدية (عبدة الشيطان) قاله المؤلف

فيهرب الشياطين لانهما تجافى عن روح الارواح النقية اما روح الشرير فيفصل على العكس من ذلك الى الصراط ضعيفة مرتجفة لا يأخذ احد بيدها ويلقي بها الشياطين في الهاوية ويتناولها روح الشر ويقيدها في قعر الظلمات .

طبيعة الديانة الهرمزية او الهرمسية المردية - نشأت هذه الديانة في بلد يستند فيه الاختلاف والتناقض فهما الاودية الباسمة بررعها والاراضي البائرة المحزنة والواحات الرطبة والقفار المحرقة والحقول والسهول الرملية بحيث تراءى قوى الطبيعة فيها كأهيا في حرب عوان ابدأ . وهذا الجهاد الذي يمثل للفارسي فيما يحيط به قد اتخذه تسريعة للعالم . وهكذا تألفت ديانة حالصة من التسوائب تدفع بالانسان الى العمل والفضيلة على حين قد انتشر هذا الاعتقاد بالتيطان والخن في الغرب وشغل شعوب اورنا كافة بالاوهام

المملكة الفارسية

الماديون (١) - سكنت بلاد ايران عدة قبائل ولم يستتبر من بينها سوى الماديين والفرس حيم الماديون في عرب بلاد فارس وهم اقرب الى الاثوريين ولدالت كان على ايديهم حراب يابوى والادها « ٦٢٥ » ولكن لم يلبسوا ان استغرقوا في الترف وانشأوا يتحدون بياها مسدولة وبألمون البطالة ويعقدون اعتقادات خرافية تنس الاثوريين بالذائقين وما رالوا على ذلك حتى امرحوا معهم اي امراج

الفرس - اما الفرس فكانوا في الانحاء الشرقية (والجنوبية) واحمضوا احلاقهم وديانهم وتديتهم . يقول هيرداس ان الفرس لا يعلمون اولادهم الى سن العشرين عبر ركوب الخيل ورمي النشار وقول الصدق .

قورش اوسيروس او كيجسرو - قام رئيسهم قورش حوالي سنة ٥٦٠ وطلع ملك الماديين (الذي هو حده لومه) وجمع تحت لوائه شعوب ايران كافة وفتح بهم ليديا وابل وجميع بلاد آسيا الصغرى . ويروي لهذا الملك قصة فصاها هيروداس في تريحه سخيلاً شافياً قال انه دعا نفسه في بعض مازره على الاحجار بقوله انا قورش ملك الكنائب والعظمة والاقمدار انا ملك ابل وسومير واكاد ملك الاقاليم الاربعة وابن كبير (كيككوس) وسلطان سوزان رسوم بيستون - اهالك كبير بكر اولاد قورش احاه سمرديس وفتح مصر (على قول اليونان) علنا ذلك مما اتصل بنا من الرسم الذي مثل فيه ذلك ولا تزال ترى الى اليوم في تحوم الفرس

(١) (بلاد مادي اسمها العرب بلاد الجبل والعراق المعجمي واررنايجان واسراباد اي

ولايات فارس وكرمان ومكران اي بلوچستان وخراسان)

وسط سهل افج صخرة هائلة تحت نحتها عمودياً علوها ٥٠ متراً وهي صخرة يستون وهناك حروف ناتئة على الحجر تمثل ملكاً متوجاً ويده اليسرى على قوس وهو يدوس اسيراً وتسعة اسرى آخرون واقفون امامه وقد قيدهم بنفسه . وكتبت ترجمة حياة الملك في رسم بتلات لغات فقد اعلن الملك دار يوس « دارا » ذلك فقال : هذا ما قت به قبل ان اعدو ملكا فقد كان كميز بن قورش من بني جنسنا يحكم هنا قبلي وكان له اح لايه وامه واسمه سميرديس فقتل دات يوم كبير احاه سميرديس ولا علم للقوم بما حنته يداه . تم وجه كميز وجهته نحو مصر وبينما هو نازل فيها تار به الشعب وكان قد اصبح الكذب ما لولوا اد داك في تلك البلاد وفي بلاد مادي وسائر العائلات فقام موبدان « ١ » كان حاصراً اد داك اسمه عوماتا وحدث الامة بقوله : انا سميرديس بن قورش وعندئذ انقضض الشعب اجمع وانصرفوا نحوه متخافين عن كبير . تم قصي كميز نحوه مخرج حرج نفسه به وبعد ان اتى عوماتا ما اتى من هذه الحيلة واستلب من كبير بلاد الفرس ومادي وسائر الاقطار حرى في الحطة التي شاءها وصار ملكاً على هذه البلاد وحاكماً متحكماً في اهلها . نجاه الشعب لظلمه وكان لا يستنكف من قتل الامة عن بكرة ابها لئلا تنكشف حيلته ويعرف القوم انه لصيق بسميرديس بن قورش ودعي في اسمه وقد اظهر للملك دار يوس هذه الخديعة ولم يكن احد في بلاد الفرس ومادي يجرأ على استرجاع تاج الملك من هذا الموبدان عوماتا . قال دارا بعد ان قدم ما سلم وعندئذ تقدمت ودعوت الرب هرمر فابانى بالتوسل به وكان في صحبتي ناس دوو احلاص وصدق واعانوني على قتل عوماتا وخاصة رحاله فاصححت منكا تشيئة هرمر واستعدت الملك الذي كان نوقومنا سلجوه وارحمته الى حورتي واحدت اعيد المدايح التي طوى بساطها الموبدان عوماتا وذلك لاني كنت محلصا للامة واعدت الاناشيد والاحتفالات المقدسة الى سابق عهدها . واضطر دارا بعد ان صرب داك الدجيل عوماتا ضربة قاضية ان يقاتل عدة زعماء تائرين فقال لقد قاتلت تسع عشرة مرة وعلبت تسعة ملوك

المملكة المارسية - علم نامضي ان دارا احضع المملكة المختلصة واعاد مملكة الفرس وقد وسع نطاقها بفتح تراس « تراتيا وهي اليوم بلاد الملغار والرومي » وولاية من الهند . وكان ينصم تحت لوائه شعوب الشرق اجمع من ماديين وفرس واثوريين وكدايين ويهود وفينيقيين وسوريين وليديين ومصريين وهنديين فكان سيف سطوته يحمي الاصقاع الواقعة بين نهر الدانوب « الطوبه » عرباً وهرالاندوس (السند) شرقاً وبين بحر الحرر شمالاً الى سلاطات النيل جنوباً . مملكة لم يعهد لها متيل في الضخامة (١٢٠ مملكة) بيد ان قبيلة جاءت بمد

واستولت على تركة الممالك الآسيوية باجمعها

اقبال الفرس - فلما يعني ملوك الشرق ناصر رعاياهم الا ليستنزفوا اموالهم ويمتحنوا في سبيل سلطانهم ابناءهم وينالوا مديحهم وتناءهم وما قط اخذوا انفسهم النظر في شؤون من يحكمونهم. وكان شأن دارا (١) في هذا المعنى شأن سائر ملوك الشرق ترك كل قبيل في بلاده يحكم نفسه على ما يشاء ويتشاء هواه محافظاً بلغته ودينه وتراثه واحياناً رؤسائه وسادته من قبل . على انه كان يعنى بتنظيم دخل المملكة الذي يتقاضاه من رعاياه فقسّم بلاده الى عشرين (١) حكومة سماها امارة . وكان في كل حكومة شعوب مختلفة كل الاختلاف سواء كان بلعها او بعاداتها ومعتقداتها وكان على كل حكومة ان تؤدي مساهمة حراجاً معيناً بعضه نقد " ذهب وفضة " وبعضه علات وبنواج " قمح وحبيل وعاج " فيتقاضى حاكماً كل مقاطعة او قبيلتها من وسد اليه امرها الخراج ويبيع به الى مولاه الملك

دخل المملكة - بلغ مجموع دخل الملك ثمانين مليوناً نسكة زماناً ما عدا حراج العلات . واذا اعتبرنا قيمة النقود في ذلك العصر فانها تعادل ستاتين مائتين جنيه (؟) في ايامنا . وكان الملك يثق هذا على حكومته وحيثه وحاضته و مدح قصره ويبي عنده كل سنة مساهمة عظيمة من العبيد يدخرها في صاديقه وكان ملك الفرس مثل سائر الشعوب الحاضرة لعرضه يرى امتلاك الكنوز العظيمة من دواعي الامة وانتجد

السلطان الاعظم - لم يكن في العالم اعلى ولا اقدر من ملك الفرس فقد كان اليونان يدعونه السلطان الاعظم . (ملك الملوك شاهنشاه) وكان له كسائر ملوك الشرق سلطة مطلقة على رعاياه كافة فرسا كانوا ام غيرهم من سائر الشعوب الحاضرة لعرضه . وانت ترى فيما ذكره هيرودتس كيف كان كبير يعامل اعظم سادات قصره سأل يوماً بريكستاس (بري كشتاسباي روح العظمة) وكان ابنه يسقيه ماداً تقول الامة في امري ؟ فاحابه . مولاي انهم يثنون على محامدك اطيب التناء ولكنهم يذهبون الى ان لك ميلاً قليلاً للعدو

١ (هو انتدع طريقة البريد وتجنيد العشرة والمئات والالوف الخ وحمل لكل مملكة حاكماً مدنياً وحاكماً عسكرياً وحمل كلا عيناً على صاحبه يرسلان اليه بتقاريرهما كل اسبوع)

٢ قال المؤلف ذكر هيرودتس عشرين حكومة وقد عثر في الرسوم المزبورة على احدى وتلاتين حكومة قال مرزا مهدي حان الظاهر ان هذا الالتباس في تقدير الاعداد جاء من ان ممالك هذا الفاتح العظيم كانت منقسمة بلائحة اقسام منها مملكتا مادي والفرس الخاصة وما بقى منها قسمان قسم استعماري وقسم استملاكي

قال كبيز وقد استشاط غضباً من هذا اعلم اذا كان الفرس يقولون حقاً وصدقاً . فاذا انارميت بسهمي قلب انك الذي تراه واقفاً امامك في هذا الجهو فذلك ان الفرس لا يعرفون ما يقولون . وما هو الا ان اعد قوسه وضرب ابن بريكتاسب حجرًا الفتي صريعاً فحماه الملك ينظر اين اصابه سهمه فراه قد اصماه ومزق حشاه . فاستفر السرور الملك وقال لوالد العلام وهو ضاحك : لقد رأيت بهذا ان الفرس قد اضاعوا رشدهم فقل لي هل عهدت احداً يطلق السهم اطلاقاً له فيصيب العاية على ما رأيت من الرساقه . فقال بريكتاسب لا اعتقد ايها المولى انه في وسع الرب نفسه ان يرمي النبال متلك في الدقة والاعتدال

اعمال الفرس -- ادى شعوب آسيا في كل دور من ادوارهم جريفة للفاتحين وحصعوا للظالمين والغاشمين فنفعهم الفرس كثيراً بان كفوا بعضهم عن مقاتلة بعض وازالوا من بينهم اسباب التحناء وذلك لانهم اخضعوا كل الشعوب لرئيس واحد . وكان عهدهم عهد سلام لم تهد فيه مدن تحرق ولا ديار تحرب ولا سكان تدمح او تؤخذ زرافات وافواجاً لتستعبد

مدينتا سوس و برسو بوليس (١) -- عني ملوك الماديين والفرس باقامة القصور على نحو ما كان يقيم ملوك اشور . واحسن ما اتصل بنا خبره من تلك القصور قصور دارا في سوس و برسو بوليس وقد حفر المسيو ديولاوا الافراسي خرابات سوس فعثر فيها على نقوش وقرامد مريئة بالميناتين ارتقاء الصنائع اد ذاك وبقيت من قصر اليرسو بوليس خرائب عظيمة وقد نحت في صخر الجبل سطح عظيم قام عليه القصر وهو يوصل اليه سلم واسع بالمحدار قليل بحيث كان يتأني لعشرة فرسان ان يصعدوه معاً

النقش الفارسي -- حدا نقاسو الفرس حذو الاشوريين في اقامة قصورهم فتجدها في برسو بوليس كما تجدها في بلاد اشور سقوفاً متسعة السطوح يحرسها اسود من الحجر والنقوش النائية تمثل صيوداً واحنقالات . وقد احسن الفرس في اتمام نموذجاتهم في ثلاثة اشياء . وذلك بان استعملوا الرحام عوضاً عن القرميد وحملوا في الردهات سقفاً بالخشب المصور واتسأوا اعمدة حفيفة على شكل جدوع الاشجار في اقصى ما يعلم من الخداقة والالطف وهي اعلى من محيطها باثنتي عشرة مرة . ولذلك جاءت نقوشهم اجمل اتراً وواقع في النفوس من نقوش بلاد اشور . وقلما يجح الفرس في الصنائع ويظهر اهم كانوا احشم شعوب ذاك العصر واطهرهم واتجمعهم وكانت وطأة حكمهم في آسيا مدة قريبن اقل حوراً مما عرف من ضروب الحكومات وكانوا اميل الى الرفق بمن يحكمون

(١) (سوس في ولاية ششتر هي التي ظهرت، فيها شريعة همورابي و برسو بوليس هي

اصطخر في ولاية فارس بالقرب من مدينة شيراز)

اليونان

العناصر اليونانية

صورة هذه البلاد - ارض يونان من الاقاليم الضيقة المصطرب (هي ٥٧٠٠٠ كيلومتر مربع) لا تكاد - احتما تزيد عن مساحة سويسرا ولكنها بما فيها من اختلاف الالهوية وما يتخللها من الجبال وينقسمها من الخابجان اقليم غريب في شكله خلق ليؤثر تأثيراً كبيراً في احلاق ساكنيه . ونقطع ارض اليونان من وسطها سلسلة من الجبال (البند) فيناوح الجبل فيها جبلاً متله ويقوم العنخر الى جانب الصخر حتى اذا بلغ ترعة كورت ينخفض وترتفع مقاطعة المورة في الجانب الآخر من التربة فيعلو عن سطح البحر ستمائة متر كأنه حصن احاطت به سلاسل عالية وعرة متلجة تنزل في البحر على خط قائم وتمتد الحزر على طول الشاطيء وما هي الا جبال ممتورة يمر راسها فوق الماء . ونقل في هذه الارض ذات الوهاد والتجاد التربة الزراعية وتكاد لا ترى حيثما القيت ناظرك غير صحور جرداء مرداء اما الانهار فتشبه سيولاً ليس فيها غير طريدة ضيقة من التربة المنبتة بين مجراها واصفه جاف وبين صحور الجبال الحرداء . وكان في هذه البلاد الجميلة بعض عابات واتجار سرو وعار ونجيل وكروم عرست في مواضع من التلال ولكن قلالت اعلاات جيدة او براعي حصية . فبلاد هدا تأسر طبيعتها يباشاً اناؤها هم توفقة قدودهم قوية اجسادهم قابعة نفوسهم .

البحر - تعد بلاد يونان من البلاد الساحلية وهي اصغر من البرنغال وسواطئها تكاد تقرب من سواطيء اسبانيا لكثرتها يساب فيها البحر من عدة حلجان ووقائع (١) وتجار . ومن العادة ان يحيط باليم صحور لتقدم او جرر لتقارب يتألف منها مرماً طبيعي . وهذا البحر اتبه بحيرة لامتد فيها ولا جزر ولذلك سلمت سواطئه من الصرر وليس لونه كالبحر المحيط ابيض كامداً كثيراً وهو في العادة هادي ، صاف ولونه كالبفسج كما يقول هوميروس ولا اكثر استعداداً من هذا البحر للسفر فيه سفرأ قصيراً . ولقد تهب ريج الشمال صميحة كل يوم فنسير بها قوارب مدينة آتينة نحو آسيا ونقذفها ريج الجنوب في المساء الى المرفاء والحزر من بلاد اليونان الى آسيا الصغرى قائمة مثل صحور الكمين واذا صحت السماء نقطع السفينة المسافة وهي بمقربة من اليابسة تراها كل حين . ولذلك كان لسكان هذه البلاد من سكون بحرهم ناعت على ركوبه واجتيازه فاصبح اليونان من تم بحارة وتجاراً وسياحاً

(١) في القاموس الواقعة نقرة في جبل او سهل يستنقع فيها الماء جمعه موقاع ووقائع

والصوص بحر ومتشردين على نحو ما كان الفينيقيون فانتشروا في العالم القديم اجمع وجلبوا الى بلادهم سلع مصر وبلاد الكلدان وآسيا واحتراعاتها .

هواؤها - لطف هواء بلاد اليونان حتى ان الجليد في آتية لا يحدث الا في كل عشرين سنة والحر معتدل في الصيف بما يهب عليها من نسيم البحر والى اليوم لا يزال الشعب فيها ينام في الطرقات مند شهر مايو « ايار » الى اواخر سبتمبر « ايلول » والهواء فاتر جاف وكان يرى على بضعة فراسخ في القامة المعلقة على آتية ريش تمثال بالاس وليست دوائر الجبال القاصيه مسنورة بالضباب كما هو الحال عندما معاثر الفرسيس بل انها تفعل بأسرها في السماء الصافية . هذه البلاد بجبالها تدفع المرء ان يتخذ الحياة عيداً فيرى كل شيء باسم حواليه فمن رهة في الحدائق بالليل واستماع اصوات الصراخير ومن الجلوس في ضوء القمر والضرب باستباب وقصد الجبال للشرب من مائها واستصحاب الراح وتربيه على النفقات والاعاني وقضاء الايام في الرقص هذه هي ملاد اليونان وما هي الا ملاد جيل من الناس فقير مقنص فتي لا يعرف الهرم ابداً .

ساسة العيشة اليونانية - لا يتعب المرء من حرارة هذه البلاد ولا يتقى ببردها بل يعيش في الهواء الطلق مسروراً قليل النفقة ولا تقضيه البلاد غذاء عزيزاً ولا ثياباً ثقيلة ولا داراً مرفهة . فقد كان اليوناني يتبلغ بحفمة من الزيتون وسمك السردين ويلبس نعلاً وقيصاً ورداء كبيراً . وكثيراً ما كان يخرج حافياً مكتسوف الرأس وداره بناية منيعة ليست من المتانة بحيث يدفع المصوص عن دخولها تقب حائطها ولا له من الاتات غير فراش وبعض لحف وبضع اوان جميلة ومصباح وكانت الجدران حالية من الرينة مبيضة بالحير « الكس » ولا ياوي الى الدار الا آونة النوم فقط .

بلاد اليونان الاصلية

اصل اليونان - كان اصل الشعب الساكن في هذه البلاد الجميلة الصيقة النطاق من الجنس الآري انساب الهنود والفرس حاوياً متلبه من جبال آسيا . ولقد نسي اليونان تطواف اجدادهم الطويل فكانوا يقولون انهم ولدوا من التراب كالصراخير . بيد ان لغتهم واسماء اربابهم لم تترك مجالاً للتك في اصلهم . وكان اليونان الأول كسائر الآريين يقناتون باللبن ولحوم القطعان ويسرون مدحجين بالسحتهم وهم ابداً على قدم القتال ينضمون قذائل وفصائل تحت إمرة طاركتهم .

اساطيرهم - جهل اليونان اصولهم كسائر الشعوب القديمة فلم يكن لهم اعنسلو اسلافهم ولا بالزمن الذي توطنوا فيه ارض يونان ولا شيء من اخبارهم واعلم فيها . وان حفظ

ذكر الحوادث الطارئة كما وقعت ليتوقف على اعداد الاسباب لها ومن اسبابها الكناية . غير ان اليونان لم يعرفوها الاً حوالي القرن الثامن (ق . م) ولم يكن لهم واسطة لحساب السنين تم اتخذوا بعدُ طريقة حساب السنين اعتباراً من المهرجان العظيم الذي كانوا يحنفلون به في اولبيا كل اربع سنين وتدعى هذه المدة السنة الاولمبية وقد وضعت الاولمبية الاولى عام ٧٧٦ فتسلسل تاريخ اليونان منذ ذلك الحين ولم يتصل بما وراء ذلك . ومع هذا فقد نقلت اساطير كثيرة عن هذه المدة الاولى في البلاد اليونانية وخصوصاً قصص قدماء الملوك والابطال الذين كانوا يعبدوهم كأنهم نصف ارباب وهذه الاقاصيص متسوبة بحكايات يتمذر الامام بما فيها من حق وصدق فقد ذكروا في آتينة ان الملك الاول المدعوسكروبس كان نصفه ملكاً ونصفه حية وذكروا في تيبة ان كادموس مؤسس المدينة جاء من فيديقية للبحث عن احت اوروبا التي حطها تور وكان قبل ثيناً وزرع اصراسه فنبئت منها مقاتلة ومنهم مناسلت الاسرات الشريفة في تيبة وزعموا في مدينة ارعوس ان اصل الاسرة المالكة من بيلوبس وكان اعطاها المعبود زيوس كتحققاً من العاج الاستعاضة عن كنفه التي اكنها احدي الارباب . وهكذا كان لكل بلد اساطير يتلونها ويتناقولونها وظل اناء يونان يدكرونها الى ما بعد ويتبتون لابطالهم القدماء بصيباً من روح الربوبية مثل ابطالهم برسي وبيليروفون وهيراكليس وتيري ومينوس وكاستورس وبولوكس وميليا كرس واديس ومعظم اليونانيين بل ان الطبقة المنورة منهم اتخذوا هذه النقايد حقائق لاراع فيها الا قليلاً . تلقوها على محوما تؤحد الحوادث التاريخية احبار الحرب بين ابي اديس ملك بيبه وحملة الارعونوت التي سافرت في طلب حزة الكبتس التي قام بحراتها بوران لهما ارحل من فلز ثخذف النار من افواها .

حرب طروادة — اشهر هذه الاقاصيص كلها حروب طروادة وهي اوسعها بياناً وتفصيلاً فيروى انه كان نحو القرن الثاني عشر مدينة عنبة دات سطوة اسمها طروادة وكانت الحاكمة المحكمة على شاطيء القارة الآسيوية فجاء احد امراء هذه المدينة واسمه اريس الى ارض يونان وسبي هيلانة حليمة ميلاس ملك اسبارطة فانفق اعامنون ملك ارعوس مع سائر ملوك اليونان وانفذوا لخصار طروادة حيثاً يونانياً على اسطول مؤلف من الف ومائتي سفينة فدام الحصار عشرين سنين اذ كان الرب ريوس راضياً عن الطرواديين عاقداً النصر بالويتهم . ولقد اشترك متتاه اليونان كافة في هذا الحصار فقتل هكتور رئيس المدافعين عن حياض طروادة بيد اشيل وكان اجمل اليونانيين خلقة واشجعهم نفساً وجز جثته حول المدينة . قتلت اشيل بسلاح الهي وهبته اياه امه ربة البحر تم هلك نسبه اصابه في عقبه . حتى اذا

يُش اليونان من الاستيلاء على المدينة بالقوة عمدوا الى الخيلة فاوهموا انهم ازمعوا الرجيل وتركوا وراءهم حصاناً صخماً الجثة من حسب احتباً فيه رعاء الجيش فاحد الطرواديين هذا الحصان وادخلوه مدينتهم فلما جن الليل خرج القواد منه وفتحوا ابواب المدينة لليونان حرقوا طروادة وذبح الرجال واستعبد النساء .

ولما قفل زعماء اليونان من عنراتهم هبت عليهم العاصفة فغرق بعضهم في البحر وقذنت الابواء بفريق مهم الى سواطيء بعيدة وكان من حظ عولس اكثر هؤلاء الرعاء جريرة ودهاء واطولهم يداً في كيد المكاييد ان قضى عشر سنين نتقاذف به البلاد حتى ادت به الحال ان فقد سفنه جمعاء ونجا من الفرق برأسه .

وبعد فقد كان الاعتقاد بحرب طروادة شائعاً في القرون القديمة شيوع الاحبار التابعة . ورعى القوم ان غاية الحصار كانت سنة ١١٨٤ وحددوا مركز تلك المدينة . وقد خطر للمسيو شيلمان من علماء الآثار سنة ١٨٧٤ ان يحفر محل هذه المدينة فانضى له ان يزيل انقاض عدة مدائن منضدة بعضها فوق بعض فترعى عمق خمسة عشر متراً في اعلى طبقة من تلك الانقاض على آثار مدينة حصينة استحالت رماداً وظفر في خرائب اهم تلك الانية بصندوق مليء بالحلي من ذهب سماه كبربريام . وكان تمت نقش وكانت تلك المدينة التي ظهر سورها كله صغيرة حقيرة وعثروا فيها على عدد كثير من الاصنام الصغيرة الرديئة الصنع والوضع وهي تمثل رنة لها رأس بومة (وعلى هذه الصورة كان اليونان يمتلون الربة بالاس) ومع كل هذا فليس تمت دليل يقوم على ان هذه المدينة الصغيرة دعيت باسم طروادة قديماً .

ميسينيا — ورد في الاساطير اليونانية ان الملك اعامنون الذي كان قائد الحملة اليونانية على مدينة طروادة كانت عاصمته مدينة طروادة وان زوجته قتلته عند عودته من هذه الغزاة ودون بالقرب من قصره . ولقد عرف اليونان مكان مدينة ميسينيا لانها كانت مأهولة الى القرن الخامس قبل المسيح ولا يزال الى اليوم حول الجبل سور من الصخور الصخرية مصفوفة بعضها فوق بعض بدون ملاط يلحم بين اجزائها وتحتها خمسة امتار وكان اليونان يدعون هذا السور الحيطان السيكلونية اعتقاداً منهم بان الجبابرة سيكلون قد اقاموا بنيانها ورفعوا قواعدها . ويدخل الى هذا السور من باب علوه زهاء ثلاثة امتار مؤلف من ثلاثة صخور هائلة وفوقها عمود بين اسدين منقوشين وهذا هو باب الاسود

ولما اكتشف شيلمان سنة ١٨٧٦ مدينة طروادة سرم ان يح عن قبر اعامون في ميسينا وكان الحفر قد جرى فيها عبر بعيد عن سطح الارض فحفر شيلمان في التراب

حتى وصل الى الصحر فلما كان على عشرة امتار من العمق عثر على ستة قبور فيها سبع عشرة جثة مع كمية كبيرة من الحلي الذهبية واساور وعقود ودبابيس وتيجان وسبعائة سفيقة» ورقة ذهب « وزهاء مائتي سيف وحجر مع نصال مموهة بالذهب والفضة . وكان على وجوه بعض الجثث برفع من السفيقة وكانت هذه القبور على ما ظهر مدافن امراء ميسينا .

ومنذ ذلك العهد اكتشف الباحثون في كثير من انحاء اليونان اشياء كثيرة ومنها اواني حزفية وحلي تشبه حرف ميسينا وحليها وقد عثر في بعض الاحيان بين هذه اللدائن على حلي مصرية من عهد الدولة التاسعة عشرة فاستنتجوا من ذلك انه كان في يونان منذ الزمن العريق في القدم (بين القرن الثامن عشر والحامس عشر ق . م) ملوك اصحاب شوكة يستطيعون معها انشاء مدن حصينة ذات عني متوسط وتيسر لهم به ان يكبزو الكنوز ويستصعوا الآثار العيسة وهذا ما دعي بالتمدن الميسيني .

اشعار هوميروس — ان القصيدتين المنسوبتين للشاعر هوميروس وهما الالياذة التي ذكرت فيها حروب اليونان ورجولية اشيل امام طروادة والاوذيسية التي جاءت فيها حوادث عولس بعد سقوط طروادة . هاتان القصيدتان هما اللتان ادعتا في اطراف العالم اجمع سقوط مدينة طروادة . وقد حفظتا قرونًا دون ان يكتبها فكار المعنور الدين الفوا الترحل يستظهرون اياتا طويلة منها وبتشدونها في الاعياد . وفي القرن السادس امر احد امراء آثينة واسمه بربسترات ان يجمع القصيدتان وتكتبها فاصحتا بعد وما زالتا ابداً اجمل الآداب اليونانية المشحة المطربة . يقول اليونان ان مؤلفها هوميروس كان احد امراء يونان من مدينة ابونية وعاش نحو القرن التاسع او العاشر ويمتلونه على صفة شيخ صرير فقير يهبط ارضاً ويصعد ارضاً وتنازعت سبع مدن شرف سبته اليها تدني كل منها اليها مسقط رأسه وقد وقع التسليم بذلك تقليداً بدون مناقشة فيه . وفي اواخر القرن الثامن عشر قام احد علماء الالمان واسمه فولف وان بعض مناقص في هاتين القصيدتين اداه ان يجرم باهما ليستا من نظم شاعر واحد ولكنهما كتاب مؤلف من مقاطيع اشعراء مختلفين وقد حمل اهل العلم على هذه القضية حملات منكرة وهم بين مثبت لها تماماً ومنكر لها تماماً وظلوا مدة نصف قرن يتنازعون في وجود هوميروس او دمه وما زال فريق اهل العلم الى اليوم على ان هذه المسألة متعذر حلها . ومن المؤكد ان هاته القصائد قديمة العهد جداً وربما كانت من القرن التاسع . الفت الالياذة في آسيلا الصغرى وربما تألفت من مجموع قصيدتين خصت احدها بحروب طروادة وثانيتها بحوادث اشيل اما الاوديسية فانها على ما يظهر من نظم شاعر واحد . ولكن ليس ثمة من دليل يقوم على انها من نظم مؤلف الالياذة بعينه .

اليونان على عهد هوميروس — يتعذر علينا ان نعمل في تاريخ اليونان الى قرون بعيدة .
 واشعار هوميروس اقدم مستند لتأريخهم . ولما نظم هذا الشاعر منظومته نحو القرن التاسع
 قبل المسيح لم يكن لبلاد اليونان اذ ذاك اسم يطلق على سكان اليونانية قاطبة فسماهم هوميروس
 باسم قبائلهم الاصلية ويطهر اسمهم كما وصفهم قد يحجوا مند عادروا آسيا يعرفوا حرت
 الارض وبناء المدن الحصينة وتألفوا شعوبا صغيرة . واطاعوا ملوكهم وكان لهم مجلس
 شيوخ ودار ندوة وقد فاحر اليونان بحكومتهم واحثقروا الشعوب النازلة بقربهم لانهم
 كانوا دونهم فدعواهم البرابرة . ولقد صرح عولس بختونة السيكوليس بقوله : (ليس لهم
 قواعد في العدل ولا اندية يتشاورون فيها وافرادهم يحكمون اسامهم واولادهم بالذات ولا
 يعنى بعضهم ببعض) ومع هذا فقد كان اليونان الى ذلك العهد نصف برابرة فلم يعرفوا
 الكتابة ولا النقود ولا تطريق الحديد وقلما كانوا يجرأون على ركوب البحر وتجتسم اخطاره
 ويزعمون ان العول سكن جزيرة صقلية .

غارات على ارضهم ورحلات اليها

تاريخ اليونانية — لم يسكن جميع شعوب يونان منذ الرمن الاطول البلاد التي كانوا
 فيها في القرن السابع اي في العصر الذي احد اهل العلم يعرفون عنهم شيئا يوتق به . وقد حفظ
 كثير من هذه الشعوب ذكرى رولهم في تلك البلاد وامتازوا عن الشعوب العريقة في القدم النازلة
 في تلك البلاد . جاءت امم كثيرة فاحتلت ارض يونان بقوائم سيوفها وتشتت تحمل عيرهم امام
 المعبرين عليهم . ويقول اليونان ان بدء هذه الغارات الشعوان والرحلات كانت من القدم
 بحيث لم اصلنا اخبارها مسطورة ونقلت وتساعد كرها تقليدا او يقولون انها كانت في القرن الثاني
 عشر (اي بعد احد طر وادة بتمانين سنة) ولا عبرة بهذا التاريخ اذ لم يكن لليونان وسائل يحسبون
 بها في ذلك العهد المتطاوول على ان هذا التاريخ احد قصية مسلمة بدون جدال ولا نزاع فيه .
 دعي اقدم سكان يونان بالبلاسم (ولعل معناه القدماء) ولم يعرف عنهم شيء ولا
 فيما اذا كانوا من جنس يوناني او من جنس آخر . ومن هؤلاء السكان لا يعرف غير اليونان
 ولا يعلم ايضا كيف ابدل اسم بيلاسم بالهيلانيين اذ لم يرد في اشعار هوميروس ايضا
 ذكر لهذا الاسم . ومن المقرر ان بضعة بلاد حفظت آثارا من آثار فاتحيها وعزاتها . فقد
 جاء قوم برابرة من البلاد المشهورة ببلاد الالبانيين « الارناوط اليوم » وهاجموا سهل بينه
 الفسج فدعي بعد باسم تساليا وتألفت من هؤلاء المهاجرين عصابة من الفرسان الاشراف
 وامسى سكان البلاد الاصليون عملة يررعون ويحرتون ليس الا . وقد رحل الى وادي
 سيفيز الذي سمي باسم (بيوسيا) كل من لم تخضع نفسه لهذا الحكم

وبعد ربح من الدهر خرج الدور يون من جبال البندواجتازوا برزخ كورت واغاروا على بلاد المورة واستوطنوا من اقاليمها ما امرعت تربته وعنت رباعه ونقاعه . مل لاكونيا ومسينيا وارغولديا وسيكيونيا وكورنت وميكار . ويروى ان قدماء ملوكهم دعوم الهيرا كليديين (اي نسل المعبود هيرا كليس) ليغلبوا رعاياهم التائرين ويعيدوهم الى عروتهم وكان ملوك اسبارطة يرون انهم من نسل قدماء السكان لا من الدوريين وقد استحال الشعب الذي احتل البلاد التي اغار عليها الدور يون الى زراع واهل فلاحه واستولت عصابة من الايتوليين الذي صحبوا الدوريين في تلك الحملة على مقاطعة ايلديا في الغرب . وانها لالاشيانيون ممن است نفوسهم الخضوع على ساطي سبه جزيرة المورة الشمالي وطردها منها الايونيين واسسوا الاثنتي عشرة مدينة الاثيناية فلجأ الايونيون المطرودون الى مقاطعة اتيكيا وامتزجوا بسكانها الاقدمين ومن ذلك العهد عرف الاثينيون اي سكان اتيكيا شعباً ايونياً . ثم انفصلت عصانات من عدة شعوب وراحوا يؤسسون مستعمرات في السيف الاحر من البحر . والايوليون اقدم هذه العصانات النازلة في آسيا ثم سكنوا بعد ذلك الساطي بعينه . واحتل الدور يون جزيرة اقريطس (كريت) وبعد زمن استعمر اليونان صقلية واطاليا الجنوبية .

الدور يون — يراد بالدور يون نسل سكان الجبال النازلين من الشمال ممن طردوا او اخضعوا سكان السهول وساطي بلاد اليونان الجنوبية المعروف بلاد المورة ويذكر هؤلاء المغيرون ان ملوكا من اسبارطة من نسل البطل هيرا كليس قد طردهم رعاياهم فجاؤا يبعثون عنهم في جبالهم فتبع الدور يون اخلاف هذا البطل حياً به وصبوهم على عروتهم ثم اغاروا على السكان واستصفوا ارضهم وديارهم . وكان هذا العنصر جيلا من الناس اشتهر بجماله وقوته وصحة اجسامه وتعود البرد وثلث العيش وحياة الفقر والفاقة فترى رحالم وساءهم يلبسون تياباً قصيرة لا تصل الى ركبهم . والدور يون امة حربية دعاها الاضطرار الى ان تكون ابدآ على قدم الدفاع تحمل عدتها وعتادها وهم اقسى اهل يونان لبعدهم عن البحر ولذلك احتفظوا باخلاق الاجيال المتوحشة وهم اعرق في اليونانية من غيرهم من سكان تلك الامصار لانهم كانوا على وحدتهم لا يستطيعون الامتزاج بالمرء ولا تقليد في منازع اخلاقهم .

الايونيون — يدعى شعوب اتيكيا والجزائر وساطي آسيا بالامة الايونية . ولا يعلم من اين جاءتهم هذه التسمية وهم على عكس الدور بين جنس من التجارة او التجار . ومن اكثر شعوب اليونانية تهذباً لانهم اسفادوا من الاحتكاك بامم مشاركة اعرق منهم في الحضارة

واقبسوا من النظر اليهم وهم ضعاف في صبغتهم اليونانية لامتراجم بالآسيويين ولانهم
نحو نحو هؤلاء في عاداتهم الا قليلاً يميلون الى السلم ويولعون بالصناعات ويعيشون عيش
الترف يمضغون الكلام ويرققونه ويلبسون بياناَ ضافية الاذيال على مثال المشاركة

الهيلانيون — هذان العنصران او الجنسان المتباينان المعروفان بالدورين والايونيين
هما اشهر عناصر اليونان واقدرها . واقليم اسبارطه للدورين واقليم اتيبة للايويين وليس
السراد الاعظم من اليونان دورين ولا ايونيين ويعرفون بالايوليون وهو اسم مجهول يطلق
على شعوب مختلفة في تلك الاصقاع من ايولين واكرانيين وفوسيديين ويوسيين من
اهل البلاد اليونانية الوسطى والاشابيين من اهل المورة . وكل من تقدم ذكرهم يسمون
باسم الهيلانيين الذين عرفوا به منذ ذلك العهد وهم لا يعرفون وجه تسميتهم هذه كما يحل
نحن ذلك على انهم يقولون ان دوروس وعولس كانا اولاد هيلانة وايون حفيدها

مستعمرات اليونان (١)

الاستعمار اليوناني — لم يقتصر الهيلانيون على سكنى بلاد اليونان فقط بل قام منهم
طواريء من اهل المدن استواً بلداناً في جميع الانحاء المجاورة وكانت عدة من هذه الممالك
الصغيرة اليونانية في جميع حرائر الارحبييل وعلى جميع شاطيء آسيا الصغرى واقريطش
وقبرص وفي كل ما احاط بالبحر الاسود الى بلاد القافقاس والقرية على طول البلاد العثمانية
في اوربا (المعروفة اذ دلك تراسيا) وعلى شاطيء افريقية وفي صقلية وايطاليا الجنوبية الى
شواطيء فرنسا واسبانيا

احلاف هذه المستعمرات — يبدأ تاريخ المستعمرات اليونانية من قرون كثيرة اي من
القرن الثاني عشر الى القرن الخامس وهذه المستعمرات استنقت من كل المدن ونجت عن كل
جنس دورياً كان او ايونياً او ابولياً . ولطالما قامت المستعمرات في اماكن قفرة تارة وفي
بلاد مأهولة اخرى أسست حيناً بالفتح وآونة بالاتحاد مع السكان واتسأها بحارة او تجار
او منفيون او متشردون . وتمتاز هذه المستعمرات على اختلاف زمانها ومكانها وجنسها باصلها
بخلق عام وانها نشأت دفعة واحدة بمقتضى قواعد نائمة . وما كان الطواريء او المستعمرون
من اليونان يحلون في بلد واحداً بعد واحد عصابات صغيرة ولم ينزلوا بقعة عرضاً فيقيمون لهم
مساكن تصبغ بالتدريج مدينة على نحو ما يفعل الطواريء من الاوربيين في اميركا اليوم
بل كان الطواريء منهم يسافرون قضم وقضيضم دفعة واحدة ورئيسهم واحد فنؤسس

(١) جاء هذا الفصل متأحراً عن هذا بضعة فصول في الطبعة الاحيرة

البلدة الجديدة في يوم واحد . وكان تأسيس احدى المدائن يُعدُّ احتفالاً دينياً فيحيط المؤسس لها سوراً مقدساً ويجعل بيتاً مباركاً يوقد فيه ناراً مقدسة .

نقايد المسعمرات - - - يُلصق مما نقل من القصص القديمة في تأسيس بعض هذه المسعمرات وجه الاختلاف بينها وبين المسعمرات الحديثة . واليك كيفية استعمار مدينة مرسيليا والبداءة به فقد جاء الى بلاد العال (فرنسا اليوم) او كسينس احد اهالي مدينة فوسي في آسيا الصغرى على سفينة تجاربه فدعاه احد زعماء العاليين الى عرس انته ومن عادة هذا الشعب ان تدخل العروس بعد الطعام حاملة كأساً تقدمها لرجل تختاره من الجماعة فوقفت امام اليوناني ومدت الكأس نحوه . فطهر للقوم ان هذا العمل كان بالهام من السماء اذ لم يكن متوقعاً . فما كان من الرعيم العال الا ان زوج او كسينس من انته وسمح له بان يؤسس ورفاقه مدينة على خليج مرسيليا ثم لما رأى اهل فوسي ان الجيش الفارسي يحاصر مدينتهم قاموا يعدون لهم سفناً نقل عيالهم وانفالهم واصنامهم وحلي معاندهم وعادروا بلدهم ماحرين في سفنهم واقتموا عند منصرفهم ان لا يعودوا اليها الا اذا عامت على وجه الماء الجديدة المحجة التي القوها في البحر . وقد نكت كثير منهم هذا العهد وعادوا الى مسقط رؤوسهم اما الباقون فطلوا يتقون العباب حتى وصلوا الى مرسيليا بعد ان تحتموا احوالاً كثيرة . واسس الايوبون مدينة ميلت تاركين اساءهم وراءهم واستولوا على بلد يقطنها ناس من آسيا فدحوا الرجال وتروحوا بنسائهم وبناتهم قسراً . ويقال ان هؤلاء النساء اقسمن ان لا يتناولن الطعام مع ازواجهن وان لا يباديهم بيا ازواجهن . عادة بقيت قروبا يعمل بها عند نساء ميلت . اما مسعمرة برقة في افريقية فقد أسست بامر صريح من المعبود ابولون ووحى مند . فلم يكن سكان مدينة تيرا اللدين أمروا بذلك يحاذرون من بول للجهول ولم يعملوا بهذا الامر الا بعد سبع سنين وكات حريتهم عرضة للجفاف فاعتقدوا ان ابولون ساقهم الى تلك الحريرة عقاباً منه لهم . وحاول الطواري الذين اعدوهم ان يرجعوا فداهمهم مواطنوهم واكرهوهم على السفر . وبعد ان قصوا عامين في احدى الحزر وقد حانتهم فيها اسباب النجاح انتهى بهم الحال ان يستوطنوا اند الدهر مدينة برقة فكان منها مدينة عامرة راقية .

خطورة المسعمرات - - من شأن هذه الطواريء ان تؤسس حكومة جديدة في كل مكان تنزله ولا تحصى لأم القرى التي انفصلت عنها تلة . وهكذا بلغت الحال بان كان البحر المتوسط محاطاً بمدن يونانية كل منها مستقلة تمام الاستقلال . فاصبح كثير من هذه المدن آية في غناه وقوته لم تضاهه بهما المدن التي خرجت منها وكان لها اصقاع اوسع

رحصب وسكان او فر واكثر . ويقال انه كان في مدينة سيباريس في ايطاليا ثلاثمائة الف رجل يحمل السلاح وان كروتون جيتت جيتاً مؤلفاً من مئة وعشرين الف مقاتل وداقت سيرا كوزه في صقلية وميلت في آسيا تقوتها مملكتي اسبارطة وآتينة وكان يدعى جنوب ايطاليا يونان الكرى . وما كانت المملكة الاصلية غير بلاد صغرى بالنسبة لتلك المملكة المأهولة كلها بالطواريء من اليونان . وحدث ان كان الهيلانيون او فر عدد اسيء البلاد المجاورة منهم في بلاد اليونان نفسها . وترى بين رحال ثلاث السعمرات طائفة صالحة من المشاهير مثل هوميروس والسيوس وسافوس وظاليس وفيتاغورس وهيراقليطس ودهوقر يطس وانفيد كلس وارسطوطاليس وارحميدس وتيوكريتس وغيرهم

المدن - ظل اليونان مقسمين الى طوائف صغيرة في كل البلاد التي رلوها كما كانوا على عهد هوميروس . وغير - ف ان ارض يونان وايطاليا الجنوبية منقطعة بالبحر والجبال ولذلك انقسمت بالطبع الى عدد كبير من المقاطعات الصغيرة كل منها منفردة عن حارتها رأس من البحر او محدار من البحر بحيث يسهل الدفاع عنها وتصعب المواصلات فكانت تتألف من كل مقاطعة حكومة على حدتها تدعى مدينة وقد بلغت اكثر من مئة مدينة . واد الحصيت المسعمرات بلغت زهاء الالف (١) وليست مملكة اليونانية الا صورة مصغرة بالنسبة اليها فان ايتكيا كلها لا تساوي نصف اصغر مقاطعات فرسا لهذا العهد اما اراضي كورت او ميكار فقد صارت ريبها ومرارع ومن العادة ان يكون ما يعرف عنه بمملكة عبارة عن مدينة وساحل ومرفاً او بصع قرى مبعثرة في الغلاة حول قلعه فترى من المملكة الواحدة قلعة المملكة الثانية وجمالها او مرفاً المملكة المجاورة وكثير من هذه الممالك لا يسكنه اكثر من بضعة الالف من الناس واعظمها لا يكاد يكون مئيد مائتان او ثلثمائة الف نسمة . وبعد فلم يؤلف الهيلانيون او اليونانيون امة برأسها ولا اعكوا من المقاتل والنقاطع على انهم تكلموا لغة واحدة على حد سواء وعبدوا آلهة واحدة وعاشوا عيشة واحدة منذ سقوط اسبانيا الى طرف البحر الاسود . فكانوا بهذه العلامات يتعارفون كما يتعارف ابناء نبعة واحدة ويتازون عن سائر الامم التي يدعوها البرارة فينظرون اليها نظر الاستحفاف والامتهان .

الديانة اليونانية

تعدد الارباب اعنقد اليونان اعتقاد سائر قداماء الآريين بارباب كثيرة ولم يكن لهم شعور باللاهية ولا بالازلية ولم يؤمنوا برب واحد تكون السماء سرادء والارض سلمه

(١) في الطبعة الاحيرة حذف المؤلف هذه الفقرة الطويلة كلها الى آخر الفصل

ومرتقاه . واعتقد اليونان ان كل قوّة في الطبيعة من هوائها وتسمها وبحرها هي قوّة الهية ونسبوا كلاً من هذه القوى الى رب خاص اد لم يدركوا ان علة واحدة تنتج كل هذه الاكوان ولذا عبدوا عدداً عديداً من هذه الالهة فكانوا وتنين على هذا النحو .

نسبة التهوات البثرية ودعوى تجسد الرب — كل رب هو قوة من الطبيعة وله اسم خاص به ولشدة تصوّر اليونانيين وسعة حياهم تمت لهم اذهانهم تحت هذا الاسم كأنها حياً في اهي المظاهر من الصور البشرية وكانوا يتمثلون المعبود او المعبودة على صورة رجل جميل الطلعة وامرأة وسيمة الحيا وعند ما كان عولس او تيلياك يصادفان رجلاً عظيماً وسيماً يبدآن بسؤاله عما اذا كان رباً من الارباب . وقد صور على ترس البطل آسيل صورة جيتس . قال هوميروس في وصفه له : ان اريس وايتيه كانا يقودان الحيتس وكلاهما متشح بالذهب وكانا من الجمال والاعتدال على صورة تليق بالارباب اد البشر اقزام قصار القامات وكان الارباب اليونانيون بشراً يلبسون بيانياً ولهم قصور واحساد كاحسادنا وهم ان لم يموتوا يجرحون . وذكر الشاعر هوميروس كيف ان احد المحاربين جرح الرب اريس فراح يصرخ من الألم . وهذا الضرب من اختيار الارباب على مثال البثر هو ما يدعى « انثروبومورفيسم » اي تجسيد الارباب .

علم الميتولوجيا - للارباب اقرباء واولاد ورهط واسرات لاهم ناس كالأدميين فامهم رنة واحوتهم ارباب واولادهم ارباب عرهم او ناس هم اصف ارباب . وتدعى اساب هذه الارباب تيوغويا . وللارباب تاريخ وحوادث ولهم قصص في مواليدهم واحبارتسبببتهم واعمالهم . فالرب ابولون متلا ولد في جزيرة ديلوس وكانت لحأت اليها امه لاتون وقيل عيلاً كان قد حرب تلك البلاد في سمح جبل الباراس . وهكذا كان لكل مقاطعة يونانية احبار تعرفها لاربابها سموها الخرافات ومن مجموعها تألف الميتولوجيا اي تاريخ الارباب .

الارباب المحليون - بقي الارباب اليونانيون وهم على صفتهم البشرية على ما كانت عليه اولاً كوائن طبيعية فكان القوم يتخيلونها كما يتخيلون البثر وقوى الطبيعة فقد كانت الناياد فتاة جميلة ونبعاً مبيجساً في آن واحد . وتحميل هوميروس الشاعر ان هر جزيرة الرات هو رب وقال فيه ا لقد تدفق هر الرات على البطل آسيل وهو يريد غيطا ويرغي حنقا ويحر طافحاً بالربد والجثت) وظلت الامة تقول ان الرب ريوس يرسل المطر ويرسل الرعد . وكان اليوناني يعتقد ان الرب عبارة عن مطر وسيل وسماء او تسمس لالسماء والشمس والارض على الجملة . وكان ربه مسامتاً للسماء التي تطله والارض التي نقله والنهر الذي يعله . فمن تم كان لكل مدينة ارباب ومعبودات كثيرة فمن رب الشمس الى ارباب الارض الى رب

الحجر وكانت تلك الارباب منفصلة عن شمس البلد المجاورة وارصها وبجورها بمعنى انه كان لاهل كل مقاطعة ربهها ومعبوداتها الخاصة بها . فليس رب اسبارطة زيوس رباً لآثينة زيوس بعينه ورن : كان يذكر في قسم واحد رباب تحت اسم اتيديه اوربان تحت اسم ابولون . ذكر احد من طاف بلاد اليونان من السياح انه شاهد الوفاً من الارباب كانت تدعى ارباب المدينة ولم يكن هناك سيل ماء ولا عانة عبياء ولا آكمة تناء الا وهي مؤهلة (١) ولها صفة لا يتشاركها فيها غيرها وربما كان هذا المعبود صغيراً لا يعبد الا ناس من اهل الحوار وما مراره عبر معارة في الصحر .

الارباب الكبيرة -- وهم اليونان ان فوق طوائف الارباب الكثيرة الصغيرة المنتبة في كل مقاطعة بضعه ارباب كبيرة كالسماء والشمس والارض والحجر المدعوة بهذا الاسم ولها في كل مكان معبد خاص او مرار يتقرب فيه اليها وكانت تمثل كل من هذه الارباب اهم القوى الطبيعية وما اكثر عدد هذه الارباب التي استرنا اهل يونان كافة في القرب اليها فانك لو احصيتها لاتكاد تصل في عددها الى العشرين . ومن سوء عادتنا معاثر الافرح ان ندعو هذه الارباب باسماء ارباب لا تينية واليك حقيقة اسمائهم :

زيوس (المتري) -- هيرا (جونون) -- اتيديه (مرفا) -- ابولون -- اريتمس -- (ديان) هرميس (عطارد) -- هيمر توس (فولكين) -- هيسيتيا (فيسا) -- اريس (المرج) -- افروديت (الزهرت) -- بوز يدون (ببتون) انفيتيرت -- روته -- كرونوس (رحل) -- رهبيا (سيبيل) -- ديميتير (سيريس) -- رسبموه (روررين) -- هاديس (بلوتون) ديويروس (باحوس) . وهذه الرمزة من الارباب هي التي كانت تعبد في كل المعاند على الجملة ويتوسل اليها في الصلوات

حصائص الارباب -- لكل من هذه الارباب هيئته وهدامه وادواته المدعوة حصائص هكذا تصورها المؤمنون من اثناء يونان وهكذا مثلها القاشون منهم . ولكل حلقه المعروفه بين عانديه ولكل منها عمله الخاص به في العالم ويقوم بوظائف معينة وذلك بمعونة ارباب ثانوية تطيعه في العادة ويتصرف فيها بامرهم . فالرب اتيته مثلاً هو على صورة عذراء ذات عيين برافتين مثلت قائمة وهي تحمل رمحاً وعلى رأسها حودة وعلى صدرها سلاح لامع وهي عندهم ربة الهواء النقي والحكمة والاحتراف وعلى جانب من الهيبة والتراسة .

ومثل هيفيرتوس رب النار حاملاً بيده مطرقة على صورة حداد اعرج قبيح الهيئة وزعموا انه يرل الصاعقة . وان الرنة اريتمس كانت عذراء متوحشة تحمل قوساً وكنانة

(١) يقول الشاعر از يودس اليوناني انه كان في بلاده ثلاثون الف رب

وهي تطوف العابات نصيد مع رمرة من الجنيات وهي ربة الغابات والصيد والموت . اما هرميس الذى قبلوه لابساً نعالاً مجنحة فهو رب المطر المخصبة وله اعمال اخرى وهو رب الاسواق والاما كن ورب التجارة ورب السرقة ورب الفصاحة يسري بارواح الموتى ويمشي في السفارات بين الارباب ويقوم على تربية الحيوانات . ولرب اليوناني ابدأ عدة وظائف في العالب هي في نظرها متخالفة غير ان اليونان تحيلوا ان بينها تشابهاً ويرتأون لها صلة وعائداً الاولمب وزيوس - كل من هذه الارباب اشبه بملك في مقره ومع هذا فقد لاحظ اليونان ان جميع قوى الطبيعة لاتسير بالتصادف وانها تعمل يداً واحدة فكانوا يطلقون اللفظ الواحد للمعبير عن النظام والعالم ففرضوا ان الارباب اتحدت على تسيير نظام العالم وانه كان لهم شرائع وحكومة كما للبشر . وكنت ترى في تماثلي اليونان حبلاً داقم مكسوة بالتحلم يصعد اليه بستر واسمه الاولمب وعلى هذه القمة المستورة عن اعين الناس بما يتراكم عليها من الصباب توهم اليونان ان الارباب يعقدون جلساتهم فيختمعون مستيرين بنور سماوي ينفوضون في شؤون العالم وعظيمهم زيوس (المستري) يرأس تلك الجلسات لانه رب السماء والنور والرب اندي يؤولف السحاب ويرسل الصواعق وصوروه على مثال شيخ مهاب ذي لحية بيضاء حالس على عرش من ذهب وهو الذى اُحص بالزعامة دون سائر الارباب ولذلك تراها مجتمع له فاذا ندرت من احدها بادرة المقاومة في امر يهددها زيوس واليك ما ذكره هوميرو على لسانه « اعقدوا في السماء سلسلة من ذهب وتعلقوا بها انتم معاصر الارباب ذكوراً كستم او انا ولو نزلتم الحديد كلكم لا تجرون زيوس الى الارض وهو الملك الامر وعلى العكس اذا اردت ان احبب السلسلة الى فاناجادب الى الارض والمحرم اعلقه بقمة الاواب ويبقى العالم كله معلقاً مصلوناً ما دمت اعلى مرتلة من الارباب والبشر »

آداب المينولوجيا اليونانية -- وهم اليونان ان معظم اناسهم من القسوة والسفك والحداع والسفاهة على جانب فاحترعوا لهم احباراً سفهية واعمالاً ردية عن طور اللياقة . فكان هرميس برعاً لهم لصباً واشتهرت افروديت بعجها وحفرها واريوس بسوته وكانوا كلهم من العجب بحيث لا ينفكون عن اخطيئهم من تساهل في تقديم العنصر يا لهم . ولما اُنجبت نيوبي ملكة تيبة بكثرة اسرتها لم يصعب عليها ان رأت الرب اولون يصمي اولادها بالسهام ويمزقهم كل مرق . وكان من حال تلك الارباب في الحسد بحيث لا تملك من رؤية انسان بلغ عايات السعادة . فاليونان رأوا السعادة من اعظم الاخطار لانها تجلب عصب الارباب حتماً ولذلك ابتدعوا ربه للعصب والانتقام سموه نيزيس ويدكرون ما قصصاً كالاتية مثلاً : ذلك ان بوليكراتس الظالم من اهل جزيرة سيسام خاف يوماً حسد

الارباب اذ غذا ذا طول وحول وكان يملك خاتم ذهب له موقع كبير من نفسه فالتقاء في
 اليم لثلاثا تكون سعادته مشوبة بالشقاء تم ان صياداً احضر لبوليكراتس ذات يوم سمكة عظيمة
 وجد خاتمها في جوفها مكان ذلك نظره شوئماً دالاً على وقوع المصيبة الاكيدة . محوصر بعد
 في مدينته وأخذ وصلب وعاقبه ارباب يونان على سعادة نالها وحط من النعم اصانه .
 عرف بهذا ان الميتولوجيا اليونانية كانت عارية عن الاخلاق اذ كان الارباب قدوة
 سيئة للناس قال ذلك فلاسفة اليونان وضيقةوا على الشعراء الذين تسروا هذه الحكايات
 وذكر احد تلاميذ فيتاغورس ان معلمه اطلع على الجحيم فرأى فيه روح هوميروس الشاعر
 مصلوبة في شجرة وروح از يودس الشاعر مدلاة في دعامة عقوبة لها على اهابتها الارباب
 وقال كسينوفان اب هوميروس واز يودس قد سببا للارباب اعمالاً من شأنها ان تكون
 عاراً بين البشر وشاراً عليهم وهناك إله واحد لا يشبه البشر اجسادها ولا يعقولها وكان
 يريد على ذلك قوله لو كان للنمر والاسود ايدي واستطاعت ان تصور كالناس لصنعوا
 للارباب اجساداً تشبه اجسادهم ولجعلت الخيل للارباب احساداً كالخيل والبقر . والناس
 يدهمون الى ان الارباب احساساً وصوتا وجسداً . هذا قول كسينوفان وهو من الحق والعدل
 تمكن اذ قد جعل اليونان الأول اربابهم على صورهم مثل ما كانوا عليه في ذلك العهد
 سفاكين عذارين حسودين معجبين وكذلك كان اربابهم . تم صاروا على نسبة التحسين في
 احلاقهم ينشأ احلاقهم متبرمين من هذه المادى ، كلها عازفين عنها ولكن تاريخ الارباب
 واحلاقهم كانت مقررة بحكايات قديمة احدها اهل الاجيال الحديثة ولم يجرأوا على تعبير
 ارباب احقادهم الفظة السفينة بعيرها

ابطالهم

البطل — البطل في بلاد اليونان رجل معروف يعدو بعد موته روحاً ذات سلطان
 ولا تتم له الربوبية بل ينال منها نصيباً من تم لا يسكن الاطال في الاولب في سماء
 الارباب ولا يدبرون شوئون العالم اجمع ولهم مع هذا ايضاً سلطة فوق كل سلطة بشرية
 يفيتون بها احبابهم ويهلكون اعداءهم . ولدا عبدتهم اليونان عبادتهم الارباب واستعانتوا
 بهم وتضرعوا اليهم . وما من مدينة او قبيلة او أسرة الا ولها بطل خاص بها وهو عمارة
 عن استباح متخيلة تحميها فتعبدتها وتقدم اليها بانواع القرابات .

ضروب الاطال — ومن هؤلاء الابطال فئة اشتهرت في الاساطير وعدت من
 الاعيان مثل اثيل واوليس واعامنون ولا شك في ان بعضهم لا حقيقة لهم قط مثل
 هيراكليس واديب . وليس بعضهم الا أسماء لا مسميات لها مثل هيلين ودوروس وعولس

غير ان عمدتهم ينظرون اليهم نظرم الى اشخاص قدما، وقد عاش معظم هذه الارباب وبعضهم من الاعيان قد ذكرهم التاريخ وكانت لهم اعمالهم مثل لبونيداس وليزاندر وكانا من القواد وديمقراط وارسطو وكانا فيلسوفين وليكورك وصولون وكانا مشرعين . وعبد اهل مدينة كروتون احد مواطنيهم فيلبس لانه كان اجمل اهل زمانه في بلاد اليونان . وكان الرعيم الذي يقود الطواريء ويؤسس مدينة يعد بين السكان البطل المؤسس فيقيمون له معبداً وينقرون اليه كل عام بانواع النذور والقربات . وهكذا كان ملتياديس الآبيني يعبد في مدينة من اعمال تراسيا وبرازيداس الاسبارطي الذي قتل في دماغه عن امفيبوليس كما يعبد في هذه المدينة اذ اعتمره السكان مؤسساً لبلدهم .

حضور الابطال — يظل البطل ساكناً في البلد التي دهن فيها جسده سواء كان في قبره او في الحوار . وقد وصف هيرودتس هذا المعقد فكانت مدينة سيسيون تعد البطل ادراتس فقامت في الساحة العامة مصلى اكراماً له . ولقد ارتأى كليستين جبار سيسيون ان يتخلص من هذا البطل فراح يسأل هاتف دلفيس عما اذا كان يعلج في طرد ادراتس . فاجابه الهاتف بقوله : ان ادراتس كان ملك اليسيويين وانه لص وقاطع طريق فلما لم يستطع كليستين ان يطرد ذلك البطل عمد الى الخيلة فبعث الى تيبة يبحث عن عظام بطل آخر اسمه ميلانيبس وجعلها في مقبرة المدينة باحتفال حافل . قال هيرودتس انه عمل كذلك لان ميلانيبس كان من اعداء ادراتس قتل له صهره واحاه . ثم حمل تلك الاعياد والنذور تقدم الى ميلانيبس بعد ان كانت تقدم الى ادراتس زمناً وراح يقنع وسائر اليونانيين ان يظل المعتاطيركن الى الفرار .

مداحة الابطال — للابطال قوة الالهية في وسعهم كما في وسع الارباب ان يفعلوا الخير والشر كما يشاءون . ولقد اخطأ الشاعر ستيريستور في كلامه على هيلانة المشهورة (تلك التي جى بها الى طروادة على محوما ورد في الاساطير) فكف بصره للحال حتى اذا رجع عن كلامه عاد بصيراً . ويرعمون ان هيلانة صارت نصف ربة بعد موتها فارسلت للشاعر بالداء باديء ، نداءً تم اتبعته بالدواء . ويدعون ان الابطال الحامية لبلد تدفع عنها الادواء والمجاعة وتذب عن حياضها من عارة الاعداء . وقد زعم الحنند الآبيني انهم رأوا بين صفوفهم في حرب مارانون تزيه بطل آتينة ومؤسسها وقد تدحج بسلاح لامع في حرب سلامينة وظهر البطلان احاكس وتيلامون اللذان كانا فيما مضى ملكي جزيرة سلامينة في اعلى ذروة منها باسطين ذراعيهما نحو الاسطول اليوناني . قال تيموكلس (وما قهرنا الفرس اذ قهرناهم ولكن الارباب والابطال قهرهم) وفي احدي روايات سوفقلس

(اديب الى تولون) بينا كان اديب مشرفاً على الموت راره ملك آيينة وملك تيبة واراده . كلاهما على الرضا بتترك جثته تدفن في ارضها ليكون بطلاً حامياً لها فاحاب طلبها في ان يدفن في بلاد الايبين وقال ملوكهم . اني لا اكون بعد موتي حالياً من النفع في هذا القطر بل اكون ركناً ركيناً لا تقاويه الوف الالوف من المحاربين . وكان يرى ان بطلاً واحداً يساوي جيشاً برمه ويرهب نأس هذا السج ولا رهبة الاحياء اجمعين .

العبادة

بدء عبادة الارباب -- كان الارباب والابطال على مالها من الحول والطول يشرون في الناس جماع الخيرات والسيئات كما يتشاهون فكان من الخطر ان يكونوا على المرء ارباباً ومن العقل ان يكونوا واياهم يدأ واحدة . ولقد ذهب القوم الى اهمهم كانوا اتسبه بالبشر يسخطون اذا تركوا وشأنهم ويرضون اذا عبي بهم . وعلى هذا الفكر نشأت العبادة فكانت عبارة عن اتيان صالح الاعمال مع الارباب لنيل رضاهم . وقد صرح افلاطون بالرأي العام كما لي قال : (ان الاضطلاع بالقول والقيام بصالح الاعمال مع الارباب سواء كان في الصلوات او في الندور هو من التقوى التي مها نجاح الخاصة والبلاد وعكسها هو التفتان الذي نه نل عروس المالك وندك معالم العمران) يقول كسينوفان في آخر كتابه الدروسية ان الارباب لا يرضون عمن يعرعون اليهم في حاجاتهم فقط بل يرضون عمن يكرمهم في محوحة النجاح . فالديانة كانت ناديء نديءاً وميتاقاً فكان اليوناني يسعى في استرضاء الارباب وينال من لديهم مقابلة ذلك منافع ومعام قال احد كهنة ابولون لمعبوده « اني قد احرقت من اجلك تيراناً سمينة منذ زمن طويل فاقبل الآن تضرعاتي وارم بسهام عضك اعدائي »

الاعياد العظيمة -- رعم اليونان ان لاربابهم احساساً وعواطف كعواطف البشر ولذلك عنوا بالقيام بكل ما يسترضى نه الانسان فكانوا يقدمون لهم لبناً وخبزاً وحلواء وفاكهة ولحماً ويتشون لهم قصورا ويحفلون اكراماً لهم باعياد اد كانت تلك المعبودات ارباباً سميدة تحب الفرح والمناظر الجميلة . وما كان العيد كما هو الحال عندنا اليوم عبارة عن افراح بل كان احفلاً دينياً يصرّب في خلاله عن الاعمال وتأحد الامة في ابداء مظاهر المسرة على رؤوس الاشهاد امام المعبود . فمن تم كان اليوناني يسرّ هذه الاعياد ويحفل بها احلالاً لاربابه ومعبوداته لا قداماً ناهوائه الخاصة وشهواته . جاء في نسيدي قديم اكراماً للمعبود ابولون ان الايونيين يدخلون السرور عليك بما يقومون به من مطاعنهم المعهودة وعناهم ورقصهم .

الالعاب الاحتفالية -- نشأت الالعاب الاحتفالية من هذه المسليات التي كانت تقام اعطاماً للارباب فكان أكل مدينة ضرب من صروبها تكرم بهامعبوداتهاوما كانت في العادة قبل لمشاركتها بها غير انشاء وطنها ومع هذا فقد كانوا يقومون بالعباد يشترك بها جماع اساء يونان ويحصرونها وذلك في اربعة اماكن من البلاد اليونانية . وتدعى الالعاب الاربعة العظيمة واحص تلك الالعاب العباب اولبيا . يحصل بها كل اربع سنين اكراماً للمعبود زيوس وتدوم خمسة ايام او ستة يوماً في دهماء اليونان من اطراف البلاد تعص بهم الملاعب وامشاهد وبأحدوب في نقد اسخارا والتقرب بالصلوات الى المعبود زيوس (الشمس ؟) وسائر الارباب هم يتبارى القوم في الاعمال الآتية عدو على الاقدام حول الملعب . قبال يعرف عندهم بالناساتل لانه كان عداوة عن حمسه العباب فيقفر المتبارون ويركضون من طرف الملعب الى طرفه الآخر ويندفعون ان تعدي بطارة من معدن ويرمون الحراب ويقاتلون بالايدي والايذان هم ملاكمة بحسب الاكف يقاتلون فيها وادرعهم مستورة سبور من حلد . ومسانقه عجالات كانت تحري في الممدان والمجالات حميفة يجرها اربعة جياذو يتصدر القصة في الالعاب بالنسبة القمرية وقد نوحوا باكليل العارفيادي المتادي بعد القبال باسم الطاهر واسم لده على رؤوس الاسهاد ويكاف نجاح من الربتو حراء ما وفق له ويسقبله مواظموه اسقبال الدامر القانع ورتا حرقوا حرقاى حائط ايمروا به منه فيقبل نقله مركبة نحرها اربعة من الحياذ لاسا القمرى والتعب كله يجفره . كان يعدهدا النصر الذي بعده الموم من اعمال المتبارعين في الخال العامة من احسن الاعمال واولاها على داك العهد يحصل بها اعظم الشعراء ولم يكن هم ينندار اشهر شعراء الالمانى القدماء غير نظم المقاطيع في سباب المركبات . ويروى ان احدهم واسمه ديا كوراس رأى في يوم واحد ولدين له وقد توحا محملاه على اعين القوم حمل الطافرين فلما شاهد الشعب ان امتال تلك السعادة عظيمة جدا الاصافه الى الميت ناداه . مت يا ديا كوراس اد ليس في وسعك ان تكون بعد معبوداً . فصاق درع ديا كوراس من الاضطراب ومات بين ايدي ولديه وفي نظره ونظر اساء يونان ان رؤيه ولديه واكفهما قوية شتنة وسوقها سريعة كان ذلك منتهى السعادة الارضية . وعلى هذا يحق لليونان ان يحبوا بالقوة الطبيعية فقد كان اقوى المسارعين من احسن الحمد في الحروب التي يقاتلون فيها حسداً حسداً .

الفأل -- كان اليونان يرجون من آلههم اعمالا كبيرة لقاء تلك الواحات والاعياد والاحتمالات فكانت المعبودات تحمي عبديتها واتسع عليهم برود العافية والعي والمصروتيقيهم المصائب والنوائب التي يتوقعون برولها ترسل علامة من لدها يفسرها الناس . وهذا ما كان

يدعى بالفأل . قال هيرودتس كان اذا اقتضى لاحدى المدن ان تتجنن ببعض الخطوب
ينقدم لها على ذلك علامة في العادة . ولقد نساء اهل تيبو (صاقر ؟) نفاؤلاً دلهم على ما
ينالهم من الهزيمة فلم يرجع من مئة فتي لغتوا بهم الى دلفيس يترمون ويستدون سوى فتين
وهلك سائرهم بالوباء . وعلى ذلك العهد انقص سقف مدرسة المدينة على اطفال كانوا
يتعلمون القراءة فلم ينخ منهم سوى طفل واحد وكان عددهم مئة وعشرين . هذه هي الامارات
التي قدم الارباب ارسالها على ابناء يونان بدمية وتمتد . ولقد كان اليونانيون يرون
الاحلام والطيور التي تعرف في السماء واحتشاء الحيوانات التي ينقرون بها لاربابهم بل
وكل ما يقع نظرهم عليه من الرلال والكسوف الى عطسه يعطسها المرء - يرون كل هذه
الامور الطبيعية امارات الهية فيها سعادتهم وتداولهم في حملة عقلية فيما كان نيسياس
القائد الآبي يركب حيشه المهرم في السنن اوقفه حسوف القمر فطن ان الارباب بعثت
بهذه العجيبة تنذر الآبيين ان لا يتقوا ما بداوا به من الاعمال الخرية فاضطر سياس
الى الانظار سبعة وعشرين يوماً وهو يقدم القرابين تسكماً لعصب الارباب . فسدة
الاعداء في هذه الفترة مسا . المدينة وحظهموا اسطولها ونددوا تمنح حيتها . ولم ير الآبيون
لما بلغهم هذا النبأ سوى امر واحد نحو من اخذ نيسياس وذلك انه كان عليه ان يعرف
ان احتفاء القمر بالمطر الى حيش منهرم علامة حسمة . وفي عصون العودة المعروفة بعودة
العشرة آلاف حطب القائد كسينومون في حده فلما انتهى الى هذه العبارة « لنا الامل
الوطيد ان يرجع واتخذ اليها تعونة الارباب » عطس احد الاحماد على الاتراف اخذ الحيش
يصلي ويصرع الى الرب على ان اعنت فم هذا الفأل وبهف كسينومون الا فسدر بقديه
صحايا لريوس اد اعنت اليها ما تتفال به فيما بحر . نصوص في سلامتها .

هانف العيب كان الرب في الاحابن يجيب سؤل من يدعوه ويستشيره من
المؤمنين لا اشارة صماء بل على لسان احد الملهمين من علية الداس فيأتي القوم مراررب
ينشدون احونة يتلقونها واصانح يسسحون . وهذا هو معنى الهانف بالعيب . وانك لاترى
في اما كن كثيرة من بلاد اليونان وآسيا حمل حاخة من الهانفين بالعيب واشهرهم في
دودون من بلاد ابيروس ودافيس في سنج حمل البار ان مكان الرب ريوس في دودون
يجيب دعوة المصطربن ندوي استجار البلولط المقدسة والرب ابولون كان المسصح في دلفيس
وكان يسري في معارة من معبده من سق النراب مجري بسيم ض اليونان ان الرب بعث به
لانه ما استنشقه اسان الا وحرف وجن ولدا وضعوا اتقية على سق الارس وهي عبارة
عن امرأة (بيسيا) فتجلس على تلك الا اتقية بعد ان تستحم في حمام مقدس وتقبل الالهام

فما هو إلا ان يأخذها تيء من الجرار العصبي حتى تبدأ تصرخ اصوات وثنفوه نكمات مقطعة ويتلقاها منها كمنة يجلسون حولها فينظمونها شعراً ويقصونها على من حاء يستصع فكان هتاف الغيب من يسيا هذه متوتة شاملةتساً . ولما سأ لها كرزوس عما اذا كان يجب عليه ان يشهر على الفرس حرباً اجاتته بقولها (ان كرزوس يدمر مملكة عظيمة) ثم ان مملكة عظيمة تقوتت اركانها واكسها كانت مملكة كرزوس . وكان للاسبارطين ثقة عظي باليديا ولم يكونوا يسيرون حملة لهم دون استشارتها وقد اقدى مهم سائر اليونانيين وهكذا اصححت دلفيس مبعث الهاتف الوطني .

الامفكتيونيا - ألف اتنا عشر رحلاً من اعيان الشعوب اليونانية جمعية سموها الامفكتيونيا حباً بحماية قدر دلفيس فكان يجتمع بواب هذه الشعوب كل سنة في دلفيس للاحتفال بعيد اولون وللنظر فيما اذا كان المعبد يحتمى عليه من مدي يد الاذى لانه كان فيه تروة عظيمة ربما تدعو اللصوص ان يهبوه . وقد صادر اهل سيرا وهي المدينة القريبة من دلفيس هذه الكنوز الثمينة في القرن السادس فاعل عليهم اولئك الاعيان المتار اليهم حرب من استباح الامور المحظورة وحرق سجاج المقدسات فاحدت سيرا وهدمت من اساسها وبيع سكانها بيع الرقيق واصححت ارضها كأن لم تكن بالامس . ومع هذا فلا يبغى ان يذهب داهب الى ان مجمع الامفكتيون اتته في وقت من الاوقات مجلساً يونانياً . بلى انه لم يكن إلا تعبد اولون لا بالتشؤون السياسييه وما قط ضرب على ابدي شعوب الامفكتيون حتى لا يبروا بينهم دواعي التقاق والهاتف العيي والامفكتيونيا في دلفيس كان لها من السطوة حظ اوفر من سطوة الهانيين والامفكتيونيين ولكنه ما صم قط اننات اليونانيين وجعلهم امة قائمة براسها

اسبارطة

شعبها

لا كونيا - لما هاجم اهل الجبال من الدور بين شبه جزيرة المورة برلت اعظم عصاة منهم في مقاطعتي اسبارطة ولا كونيا ومقاطعة لا كونيا واد صيق يتسقه مهر عظيم يعرف بالاوروتاس يحيط بهما جبلان عظيمان عطيت قممها بالثلوج وقد وصفهما احد الشعراء بقوله : « ابنتها الارض الغنية التربة المحصنة الرباع المتعذر استباتها واستتارها ايها البلدة الجوفاء المحصورة بين جبال قائمة الكثيبة في منظرها المنبعة على هجمات المهاجمين » وقد عاش الدوريون من الاسبارطين في هذه البلاد الحصينة بين ظهراي سكانها القدماء فاصبح بعضهم

رعايا لهم وفريق منهم عبيدهم ومواليهم وبهذا انقسم سكان لاكوبيا الى ثلاث طبقات وهم الهيلوتيون والبيريكيون والاسبارطيون .

الهيلوتيون - سكنت هذه الطبقة من السكان اكواحا منتشرة في الفلاة واقاموا على حرت الارض ورراؤها وما ملكوا الاراضي التي كانوا يعملون فيها ولم يكونوا مطلقين في مغادرتها وما كان حالهم في ذلك الا حال عبيد القرون الوسطى مستأجرين تابعين للارض خلفا عن سلف عاملين لما لكها الاسبارطي وكان يتناول منهم افضل قسم من علاتهم . ولطالما احقرهم الاسبارطيون وحادروا ناسهم واساءوا معاملتهم واصطروهم الى لبس تياب عليطة وضربهم بلا داع ليدكروهم انهم عبيد وارقاء . وربما اسكروهم في الاحابن لينفروا اناءهم من السكر . وقد شبه احد شعراء اسبارطة الهيلوتيين « بحجر موقورة تكبو ونوء تحت اعباء الاحمال واعياء الضرب »

البيريكيون - سكنت هذه الفئة مئات من القرى في الجبال او على الساحل وانفوا الاسفار البحرية والتجروا وصنعوا المواد الضرورية للحياة فكانوا احراراً يدرون شؤون مرارعهم بيد اهلهم كانوا يؤدوون حصة لحكام اسبارطة ويخضعون لهم .

حالة الاسبارطيين - - بعض الهيلوتيون والبيريكيون ساداتهم الاسبارطيين . يقول كسيوفون لم يكن لاحدهم عندما تكلمه في شأن الاسبارطيين ان يكتم مبلغ سروره لو تسمى له ان يأكل الاسبارطيين احياء . رللت اسبارطة ذات يوم وكادت تداعى اركانها فما كان باسرع من الرق حتى امهال الهيلوتيون من اطراف الفلاة ليقتلوا الاسبارطيين الناحين من الهلاك . تم انقضض البيريكيون وابوا الخضوع . على ان الاسبارطيين كانوا من سوء السلوك بحيث يستحقون سخطهم . واقد امر الاسبارطيون عقيب حرب اشترك فيها كثير من الهيلوتيين في معسكراتهم ان ينشقوا من اشتهر منهم بالشجاعة ووعدهم ان يعقوهم وكان هذا الوعد مهم حيلة ليعرفوا بها اشجعهم نفوساً واحراًهم على ابداء لواحد التورية فانخب ألفان منهم طافوا بهم ارجاء المعبد منوجة رؤوسهم اشارة الى الحرية تم ادخلهم الاسبارطيون في حركان ولم يعرف احد كيف هلكوا على حين كان المضطهدون عشرة اضعاف مواليهم وما قط ربا الاسبارطيون على تسعة آلاف رب أسرة يقابلهم مائتا الف من الهيلوتيين ومئة وعشرون الفاً من البيريكيين . اقنصى ان يعادل واحد من الاسبارطيين عشرة من مواليهم في مسائل القتل واذا اعتادوا المصارعة قضت الحال بان يكون افرادهم اقوياء اشداء فكانت اسبارطة معسكراً لا جدار له وكان شعبها جيئساً على قدم الدفاع ابداً

التربية

الاولاد — يؤخذ اطفال هذه الامة منذ ولادتهم ليكون منهم اجناد فكل مولود يؤتى به امام المجلس فاذا وجد انه ضعيف اسوه بعرضه على مجلس لان احوالهم اوجبت ان لا يكون جيتهم مؤلفاً الا من ارباب القوة والجلادة فمن يستحيونهم يؤخذون من اهلهم في السابعة من عمرهم ويربون مع اقربائهم كأهم اولاد جماعة فيروحن عارياً اقدمهم وليس على ابدانهم غير رداء واحد هو وقايتهم صيفاً وشتاءً وينامون على كدس من القصب ويغتسلون في المياه الداردة من نهر الاوروتاس ويقللون من الطعام ويرددون كثيراً واطعمتهم عليظة ليعنادوا ان لا يملأوا معدم . ويقسمون الى سرايا كل سرية مئة رجل ولكل منها زعيم . وكثيراً ما يريدونهم على النطاعن بالارجل والاكف . ويساطون في عيد ارنيمس حتى تسيل دماؤهم امام هيكله وربما مات بعضهم متأثراً من الصرب على اهدم قلما يستمعون فيرون الترف ان لا يرفعوا اصواتهم يريدون بذلك تدر بهم على ان يقتلوا ويحتملوا العذاب والالم . وكثيراً ما يمعون عنهم الطعام نتائاً فيسرقون ما يقتاتون به فاذا خدعوا يضربون بالسياط ضرباً مبرحاً . وكان من احد اولاد الاسبارطين كما قيل وقد سرق ثعلباً صغيراً وحبأه تحت توبه ان آثر جعل بطنه فريسة للثعلب يبهته على افصاح امره واظهار فعلته . وكان يراد تدريب هؤلاء الاطفال على حسن التحصن في الحروب فيسيرون عاضين اذ يمشون ساكتين وايديهم تحت ثيابهم لا ياتفتون يمينه ولا يسرة كأنما على رؤوسهم الطير امام اذياكل وكان عليهم ان لا يتكلموا على الطعام ويطيعوا كل من يلقوهم وذلك لكي يحصوهم للنظام .

البنات — اما سائر اليونانيين فيحجس بناتهم في البيوت ويشعلنهم بركبة الصوف . اراد الاسبارطيون ان يقووا احسام نسايتهم ويجعلنهم من المقدرة بحيث يلدن الاقوياء . من الاولاد فمن تم كانوا يربون البنين على عرار البنات الا قليلاً . ولقد كانوا يتربون في رياضاتهم على الركض والقفرورمي الاطر والطنع بالحرار . وقد وصف شاعر العنا كانت فيها البنات كالمبارى مسرسة شعورهن والغبار آثر وراءهن وقد استهر من امرهن انهن كن اصح نساء يونان واتجمعن .

التهديب — حياة الرجال منظمة ايضاً حياة الخند اذ قضت الحال ان لائنتي عزائمهم امام جمهور الاعداء فيكون الاسبارطي في السابعة عشرة من سنه جدياً ويظل كذلك الى الستين . فكانت الارباء وساعة القيام وانام والطعام والرياضات محددة معروفة بنظامات كما هو الحال في تكتة الجند اليوم . فاذا لم يحارب الاسبارطي يستعد للحرب فيمرن نفسه

على العدو والقفز وحمل السلاح ويروض كل حين عامة اطراف جسمه من عنقه ودراعيه وكفيه وساقيه . ولا يحق له ان يتجر ولا ان يحترف ولا ان يحرت ارضاً فهو حندي وليس عليه ان يجيد عن مهمته بمعاظاة اي عمل كان . وليس له ان يعيش في أسرته على هواه فان الاسبارطيين يتناولون الطعام رمراً زمراً ولا يجرحون من بلادهم الا نادراً وهذا يعد من باب تنظيم جيش في ديار العدو

الايجاز في الكلام - قاسى هؤلاء المخاربون شطف العيش فكانت سخناتهم صفيقة نقرأ فيها العجب والحيلاء وكانوا يحتفلون الكلام احتراً . وهذا ما يسمى بالكلام الموجر وبالافرنجية (لا كونيك نسبة لمقاطعة لا كونيا وقد بقي منها هذا التعبير) . فكانت الحكومة تبعت الى حامية على خطر من مباغتته العدو لها رسالة لا تكتب فيها سوى كلمة (الحذر) ولقد احظر ملك الفرس حملاً اسبارطياً ان يطرح سلاحه فاجابه القائد « تعال خذ » ولما استولى لاندرا على آنية لم يكتب سوى هذه الجملة « سقطت آنية » .

الموسيقى والرقص - كانت الاشغال الاسبارطية صنائع حرية بحيث حمل الاسبارطيون معهم صرناً من الموسيقى خاصة مهم كانت على حاب عظيم من الوقار والحاسة والكراهة في الاسماع وهي من صروب الموسيقى العسكرية . فيروح الاسبارطيون الى ساحة الوعى على نعات المرمار ويسيروا على الايقاع . ورقصهم عبارة عن استعراض قائد لهند فيرقص الراقصون الرقص العسكري المألوف ببلاد يونان المدعو بالبيريك مسلحين ويتابعون عامة حركات القتال ويشيرون بالضرب والكر والفر والظعن بالحرب .

نأس النساء - عرف النساء تقميس الرجال على القتال واشتهرت آنا رتجاعتهم في يونان فكتبت فيها المصنفات . وقد قتل امرأة اسبارطية ولدها لفراره من الرحف قائلة « ان مهر الاوروتاس لا يجري ليشر من الوعول » ولما علمت احدى نساء تلك البلاد ان خمسة اولاد لها هلكوا خالت ليس هذا ما اسألكم عنه فيلا كتب المصرا لاسبارطة فلما احببت بالايجاب قالت اذا فلنحمد الآله ولنشكر لهم .

الترتيبات

الملوك والمجلس - للاسبارطيين اولاً كما لسائر اناء يونان ملوك ومجلس شيوخ ودار بدوة وقد حفظت كل هذه الترتيبات ولكن من حيث الصورة فقط . فالملوك وهم من سل المعبود هيرا كليس يشرفون ويكرمون ولهم حق التصدر في المواضع الاولى في المادب ويقدم لهم من الطعام ما يكفي اثنين وادامات احدهم يلبس جميع الرعايا عليه الحداد . بيد انهم لم يتركوا لهم ادني حكم بل يراقبونهم كل المراقبة . وكان مجلس النواب مؤلفاً من

ثمانية وعشرين شيخاً منتخبين من العيال العية القديمة يقومون بما ندبوا اليه مدى الحياة ولكنهم لا يحكمون .

المفتشون — ان المفتشين (ايفور) هم السادة الحقيقيون في اسبارطة وهم خمسة حكام يتجدد انتخابهم كل عام ويناط بهم تقرير السلم والحرب وفصل القضايا . وهم يرافقون الملك في قيادة الجيش فيديرون حركة الاعمال الحربية وكثيراً ما يريدونه على الرجعة من الحرب وهم في العادة يستشيرون اعضاء مجلس الشيوخ ويقررون ما ينسعي بانفاق آرائهم ثم يجتمعون الاسبارطيين في احدى الساحات ويطلعونهم على ما تم من القرار ويطلبون اليهم ان يصدقوا عليه اما الامة فاماها تستحسن ما تم بالهتاف دون ان تناقش في اقل مسألة . ولا يعلم فيما اذا كان للامة الحق ان ترفض ما قرر وهي التي علمت الخضوع وان لا تعاند اصلاً . وكانت هذه الحكومة حكومة اشراف مؤلفة من عدة أسر حاكمة . فمن ثم لم تكن اسبارطة دلال مساواة وكان فيها اناس يدعون اهل المساواة وذلك لانهم كانوا سواء فيما بينهم اما غيرهم فيدعون المروؤسين ولم يكن لهم شيء من الحكم التتة .

الجيش — بفضل هذه الطريقة في الحكم احفظ الاسبارطيون باحلافهم الحبلية القاسية فلم يكن عندهم نقاشون ولا مهندسون ولا خطباء ولا فلاسفة بل اهمه انصرفوا كلهم الى الحروب وحدثوا علم الكر والفر ايما حذق وعدوا من المقتنين لغيرهم من اليونانيين واتوا العالم بعلمين عظيمين احسن طريقة في القتال واحسن طريقة في التدريب .

المسلحون — كان اليونان قبلهم يسيرون الى القتال بغير انظام فيمتطي الرعاء صهوات الحبول او محلات حفيفة ويتقدمون صفوف الحملات والناس يتبعوهم متساء وقد تسلح كل منهم كما اراد وقد تفرقوا طرائق قديداً وليس في وسعهم ان يكونوا يداً واحدة في العمل او المقاومة . وما هو الا ان يستحيل القتال الى مبارزات تم الى مذابح . اما في اسبارطة فالمقاتلة باجمعهم سلاح واحد وكانت وسائل دفاعهم درعا يغطي النصف الاعلى والحوذة نقي الرأس والمسامي (الطافات) نقي الساق والتروس تجعل في مقدمة الحسد . اما وسائل هجومهم فسيوف قصيرة ورمح طويل . ويسمى السلاح على هذه الصورة باسم ايبوليت . والمسلحون من الاسبارطيين مقسومون الى كتائب وسرايا وفرق وترازم على مثال ترتيب حيوتنا لهذا العهد الا قليلاً . فكان الضابط يقود احدى هذه العصابات وطلع رحاله اوامر الرئيس بحيث انه يتأق للقاء العام ان يوحد حركة الجيش كله . وهذه الطريقة التي رآها سهلة هي بالنسبة لليونان ابداع عجيب .

مصاف الجيش — متى بلغ الجند مقدمة الاعداء يأحدون مصافهم ويكون في العادة

على ثمانية صفوف متقاربين بعضهم من بعض مؤلفين من جموع متكاتفه تدعى حمافل ومصافاً ويقدم الملك وهو قائد الحيش عنزة على سبيل النذر للارباب واذا نفاء لوا باحشاء الديجة نفاؤلاً حسناً بدأ جماعة من الجند يرددون لحماً وعندئذ تتهتر صفوفهم ويباعتون اعداءهم مسرعين على الايقاع ونعمات المرمار والرمح يعلوا والترس على الجسد فيحملون عليهم و صفوفهم متراسة فينكسون اعلامه بجموعهم ووبوهم ويهرمون ويقفون حالاً لئلا يقطع مصافهم وانه ليتسى اكل حندي ان يحي احاه مادام سير الحيش كسفاً الى كتف فيكون بذلك كالبنيان المرصوص يتعذر على العدو ان يحد الى حرقه سبيلاً . نعم ان هذه التعبئة كتيفة في ذاتها ولكنها تكفي لغلبة جيست مشوس وقلما يقاوم ناس منفردون مثل تلك الجموع ولقد فهم سائر اليونان هذا الامر فاقندوا جميعهم بالاسباطيين ما ساعدتهم المكنة فكان جندهم حينما حلوا مدحجين بالسلاح وقاتلوا حمافل وكسائب متراسة .

الرياضة الحسبية - اقتضى تدريب رجال حفاف اقوياء لتسى مهاجمة العدو في مثل تلك الصفوف ونكيس اعلامه لاوّل وقمة فكان على كل جندي ان يحسن البراز والصراع فمن سم رتب الاسباطيون الرياضات البدنية واقدى بهم سائر اليونانيين واصبحت الرياضة عملاً من اعمال الامة كافة . واكثر اعمالها اعتباراً اما يكلل صاحبه في الاعياد العظيمة . عرفت احدى المدن في البلاد النائية بين برارة العول او البحر الاسود وتبت امها يونانية اذ كان لها ملعب للاعمال الرياضية . وكان هذا الملعب قطعة مرعة عظيمة تحيط بها اربعة او دها لير وهي في الاغلب على مقربة من بيع وله حمامات وقاعات للتمرين . فيحصر السكان الى ذلك المكان للرهة والمحادثة وهو اشبه ساد وكان الفتيان يقضون في هذا الملعب عامين على الاقل يختلفون اليه كل يوم يتعلمون القفز والركض ورمي الاي طار وضرب الحراب ويتصارعون بوسط الحسد لتقوية العضلات والجلد وينعمسون في الماء البارد ويطلون ابدانهم بالريت ويتمسحون بمسحة .

المصارعون - معظم الاسباطيين يقضون عامة حياتهم في ممارسة هذه التمرينات لبناء ومروءة فلا يعتمدون ان يصحوا مصارعين وقد وفق بعضهم الى ان تمت على ايديهم حوارق ويقال ان ميلون من مدينة كروتون في ايطاليا كان يحمل بورا على كتفيه ويوقف عجلة وهي راكضة بان يسكها من خلفها . ولقد كان هؤلاء المصارعون يخدمون في الحروب خدمة الاجناد وكثيراً ما يقومون بقيادة الرحوف وهذا صح قولنا ان الرياضات البدنية بمثابة تدريب على الحرب .

اعمال الاسباطيين - تعلم الاسباطيون من اليونانيين الترويض والقنال وجاء منهم

مصارعون اقوياء اشداء وجند منظم وعرفوا هذه المزية في بلاد اليونان وكانوا من اجل ذلك يحترمون في كل مكان . ولما قضي على سائر الشعوب اليونانية ان تقاتل الفرس بمجتمعة تحت راية واحدة لم يستنكفوا من اتحاد الاسبارطيين زعماءهم . قال خطيب آتيني وكان هذا الامر محجة صحيحة واستحقاق تام .

آتينه

الشعب الآتيني

اتيكياء -- فاخر الآتينيون لسكنائهم ابدًا بلادًا واحدة وادعى اجدادهم انهم ولدوا من الرمل كالريزان . وقد احتاز الفاتحون من سكان الجبال بالقرب من بلادهم ولم يهاجموها وقبلما دعيتهم اتيكياء الى قبالها . هذه المقاطعة مؤلفة من جبال شاهقة صخرية ناتئة في البحر على شكل مثلث الاضلاع . وهذه الصخور المشهورة تقطع رحابها وبمسل نخلها حرارة مرداء بينها وبين البحر ثلاثة سهول صغيرة فاحد لا تروى (لخاف سواقيا في الصيف) ولا تقوم بتعذية امة كبيرة .

آتينه -- على فرسخ من البحر في اعظم تلك السهول قامت صخرة عظيمة وحيدة منصبة وقد استئت آتية في سفحها . اما المدينة القديمة التي كانت تدعى الاكروبول (المدينة العالية) فاما كانت في قمة الجبل . وقد اخذ سكان اتيكياء ينفرون الى ممالك عديدة فكانت كل قرية تحكم نفسها نفسها ولها ملك يجمع جميعها تحت زعامته وهو ملك آتينه فيتألفون بذلك مدينة واحدة وليس معنى ذلك انهم كلهم يحطون رحالم في المدينة . بل يظل كل منهم يسكن قريته ويررع ارضه . بيد انهم كلهم عبدوا اربانًا واحدة وهي آتينه معبودة آتينه وحضعوا باجمعهم لملك واحد .

تورات آتينه -- قد رحعت آتينه فرعت السلطة الملكية واستعاضت عنها بتسعة زعماء (اركون) يتبدلون كل عام . وانا لنجهل هذا التاريخ كل الجهل اد لم يبلغنا عن ذلك الوقت اقل كتابة ستمد اليها . ويروى ان الآتيين عاشوا قرونًا في شقاق يصطهد اشراف اصحاب الاملاك (اوباتريد) العملة من اصحاب المياومات في اراضيهم وبيع الدائنون مدينتهم بيع الارقاء . ولقد عهد الآتينيون حبًا بتوطيد الراحة الى صولون احد حكائهم ان يسن لهم قوانين يسرون عليها فقام بثلاث اصلاحات : اولًا تقليل قيمة السكة وهو مما سهل على المدينيين ان يوفوا ما عليهم من اهون سبب . ثانيًا جعل الفلاحين ملاكًا للاراضي التي يزرعونها ومن ذلك الحين صار في اتيكياء كثير من صغار اصحاب الاملاك مما لم يعهد مثله في بلاد يونانية . ثالثًا قسم السكان عامة الى اربع طبقات بحسب مداخيلهم وقضى

على كل منهم ان يؤدى الضرائب ويقوم بالخدمة العسكرية على نسبة ثروته . اما الفقراء فاعفاهم من الضرائب والخدمة . ولقد خضع الآبينيون بعد وصولون الى بيزيسترأس احد اناتهم العالمين العارفين تم بدأ الاضطراب سنة ٥١٠

اصلاح كليستين — اسنفاد كليستين احد زعماء الاحراب من هذه الاضطرابات فقام ثورة عظيمة . ولقد سكن كثير من العرباء في اتيكيا وكان معظمهم ملاحين وتجاراً يقطنون مدينة بيرا بالقرب من المرفأ . فاعطاهم كليستين حقوق الوطنيين وساواهم بالسكان الاقدمين فصار من تم في تلك المقاطعة سبعان مختلفان سكان اتيكيا وسكان بيرا وكانا يتميزان احدهما عن الآخر بعد ثلاثة قرون من هذا الاحتلاط باحتلاف سخناتهم فيسبه اهل اتيكيا سائر اليونانيين ويسبه اهل بيرا الآسيأويين . وهكذا زاد الشعب الآتيني فاصبح امة جديدة ومن اكثر سكان بلاد اليونان حركة وساطاً حتى اذا كان القرن الخامس تألفت الهيئة الاجتماعية في آتينة تأليفها الاحير مكان ثلاث طبقات من السكان يقطنون اتيكيا الا وهم الموالي والاجانب والوطنيون .

الموالي — الموالي هم السواد الاعظم من اهل البلاد فلم يكن تمت رجل مها بلع من الفقر المدقع الا ويملك مولى اما الاغنياء فيملكون منهم كتيبة وملك بعضهم نحو خمسمائة مولى وكان من شأن هؤلاء الموالي ان يبقوا في الدور وشغلهم الطحن والمجن وحيآكة التياب ونسجها وطبخ الطعام وخدمة ساداتهم . ويعمل بعضهم في المعامل حدادين وصباغين او يستغلون في المقالع والمناجم الفضية . ويقوم سيدهم باودهم ولكنه يبيع لنفسه كل ما ينتجه ايديهم ويأتي ثمره اعمالهم ولا يعطيهم من جميع ذلك الا الطعام . فكانت عامة الخدمة والعاملين في المناجم ومعظم الصناع عبيداً وارقاء . يعيترون في المجتمع دون ان يعدوا منه بل لا يتصرفون بانفسهم وهم ملك مواليتهم حسماً ومادة . ولم يعتبروا الا اعتبار عروض تملك وربما دعوهم « اجساداً » وليس لهم من شريعة غير ارادة سيدهم . ولسيدهم عليهم كل حق وسيطرة فان شاء شغلهم وان شاء حبسهم وان شاء حرهم من طعامهم وان شاء ضربهم واذا نسأت لاحد الوطنيين قضية يتأتى لخصمه ان يطلب تعذيب مواليه ليقر او بما يعملون . وقد امتدح عدة خطباء آتبيين هذه العادة وعدوها ضرباً من صروب الخدق لاحد شهادة صحيحة . قال الخطيب ايريه ان التعذيب احسن واسطة ليل البراهين ولذلك متى كان عليك ان توضح مسألة منازعاً فيها فاياك ان تعتمد الى الاصرار بل انك تصل الى كشف القناع عن محيا الحقيقة بجعل العمدان في العذاب الشديد .

الاجانب — هم ناس من اصول مختلفة يقيمون في اتيكيا وهم الدين يدعون الميتيكيين

(اي المتساكنين) . ولم يكف الرجل كما هو الحال عندنا ان يولد في ارض آثينية ليعد
 وطنياً بل يجب ان يكون ابن وطني . وعبثاً استوطن الطراه في اتيكيا اجيالاً كثيرة
 وماعدت فقط أسراتهم آثينية . فالميتيكيون والحالة هذه لم يكن لهم ان يتركوا في الحكومة
 ولا ان يتروّجوا وطنية ولا ان يقننوا ملكاً على حين كانوا احراراً في اختصاصهم ولم حق
 السفر في البحر وان يكونوا صيارف وتجاراً على شرط ان تحذوا لهم زعيماً ومولى يمتلهم امام
 القضاء . وكان في آثينة زهاء عشرة آلاف أسرة من الميتيكيين ومعظمهم صيارف وتجار
 الوطنيون — اقتضت الحال ان يكون الانسان ابن وطني او وطنية ليكون وطنياً آثينياً
 ومتى بلغ الفتي الثامنة عشرة من عمره يعد عنهم راشدًا ويقف امام جموع الشعب ويدفع
 اليه السلاح الذي يقضى عليه حمله ويقسم يمينا فيقول . أقسم ناسي لآهين هذا السلاح
 المقدس ولا أعادر موقفي في صفوف الاعداء وان احصع للحكام والقوانين وأشرف على
 وطني . فيكون بهذا الحلف وطنياً وجندياً معاً ويقضى عليه بعد ان يخدم في الجندية الى
 من الستين وله لقاء ذلك حق الجلوس في مجلس الامة والقيام بوظائف الحكومة ورتبارخي
 الشعب الآثيني يجعل رجل وطنياً على حين ليس هو ابن وطني ولكنه يرضى بذلك على
 صفة استثنائية وتوسعاً في المكرمة العظيمة . فوافق المجلس على قبول العربي وينبغي ان
 ينتخبه على الاقل ستة آلاف وطني بعد تسعة ايام من هذا الاقتراع وفي جلسة نائية وذلك
 في انتخاب سري . والشعب الآثيني هو كدائرة مطبقة لا يدخل فيه اعضاء جدد الا اذا
 رصي الاعضاء الغدءة بقوله على اهم لا يقبلون غير انانهم .

المجلس — يلقب الآثينيون حكومتهم بالحكومة الديمقراطية (اي حكومه الشعب)
 وليس هذا الشعب ما نعي به عندنا من جمهور السكان بل هو جماعة الوطنيين وحلصاء
 الاشراف وعددهم بين خمسة عشر الفا الى عشرين الف رجل وهم زعماء الامة بأسرها .
 ولهؤلاء الجماعة سلطه مطلقة وكلمة عليا وهم على التحقيق ملوك آثينة وان مجالسهم يلقب
 مرات في التبر لمفاوضه والاقتراع . يجتمعون في الهواء الطلق في ساحة البيكس ويجلس
 الوطنيون على مقاعد من حجرات درجات ويقعد الحكام نازائهم على مطبة ويفتحون
 الجلسة باحتفال ديني وصلاة يصلونها ثم يعلن المنادي بصوت جهوري بالمسألة التي يناقش
 فيها المجلس قائلاً من مكم يشرع في الكلام اولاً . ولكل وطني الحق ان يطلب ذلك .
 وعندها يصعد الخطباء المنبر بحسب تفاوت اعمارهم ومتى تكلموا كافة يضع الرئيس المسألة
 المطلوبة على بساط البحث فيقترح المجلس بان يرفع اعضاؤه ايديهم ثم ينصرفون .
 المحاكم — لما كان الشعب حاكماً فهو يقضي في القضايا لذاته بذاته ولكل وطني بلغ

التلابين من عمره ان يكون من اعضاء مجلس الحكم فيجتمع الحكام في القاعات الكبرى فرقا كل فرقة مؤلفة من خمسمائة نسمة . وفي كثير من القضايا ياتم فرقا او ثلاث فرق من الحكام فتألف المحكمة من جمهور يبلغون ألفاً وألفاً وخمسمائة قاضٍ ولم يكن للآتينيين حكام كما هو الحال عندنا لرفع القضايا بل كانت هذه المهمة من وظيفة الوطني الذي يعهد اليه تجريم المجرمين . فتمثل المدعي والمدعى عليه امام المحكمة ويحطب كل منهما حطبة لاتزيد على وقت 'حد' ساعة دقاقة مائة . ثم يبدأ القضاة بالموافقة على وضع حصة بيضاء او سوداء فاذا توفر للمدعي بضعة آراء (اصوات) زيادة على حصمه يحكم عليه ويحرم .

الحكام - - كان الشعب الحاكم في حاجة الى مجلس لوضع المسائل موضعها من المصت والى حكام ينفذون ما يقرره ويألف المجلس من خمسمائة وطني تصيهم القرعة حولاً كاملاً . واذ كثر عدد الحكام حص عشرة منهم لتعبئة الجيش وقيادته والابون لادارة الشؤون المالية وستور مهم يعهد اليهم حطة الحسبة من النظر في الشوارع ونظافتها والاسواق وبياعاتها والاوزان والقياسات وما يتبعها .

معة هذه الحكومة - - لم تكن السلطة في آية في ايدي الاغنياء والشرفاء كما كانت في اسبارطة بل كانت تقرر كل مسألة باكثرية الآراء وتعادل الآراء فيجري انتخاب الحكام واعضاء المجلس والعمال بالقرعة . الا القواد فاهم لا ينتخبون كذلك . والوطنيون يتساوون لا من حيث الامور النظرية بل من حيث الامور العملية . ولقد قال الحكيم سقراط لاحد اهالي آتينة المورين وكان لا يجراً على الكلام امام الشعب « ياهداسم تحاف ؟ ام القصار بن ام من السكاكين او العمارين او الحرايين ام من السوق والمرتقين من هاته الطبقات يتألف المجلس » وكثيرون من هؤلاء الحكام مضطرون الى الاحتراف ليعيشوا ولم يكن في وسعهم ان يخدموا الحكومة بالمجان ولذلك عينت لهم مشاهرات واحوراً فيتناول كل وطني اجرة جلسة واحدة في المجلس او المحكمة ثلاثة فلوس او خمسة واربعين ساتيماً من سكننا وهو القدر الذي يتأقى لرجل ان يعيش به في ذلك العصر . من احل هذا كثر الاعضاء الفقراء في هذه المجالس وحلسوا على دكات المحاكم مع الاغنياء كتنفاً الى كتف ووجهاً لوجه .

الفوضويون من الشعب - - لما كانت تفصل المسائل برمها في المجلس او المحاكم بالناقسة فيها والقاء الخطب في مضامينها كان فصحاء القوم هم ارباب المكاثة المكيثة في الامة . فاعتادت هذه ان تسمع لاصوات الخطباء وان تعمل حائياً وتعد اليهم في السفارات وان تعينهم قواداً وزعماء . ويدعى هؤلاء الرجال الفوضويين « اوزعاء العصاة » . اما

حرب الاغنياء فيضحك منهم . وقد مثل اريستوفان الشعب في احدى الروايات الهللية في صورة شيخ سخيف فقال : انت عبي تصدق كل ما تسمع تستسلم لاهل النفاق والدسائس يتلاعبون بك على هواهم وتفتبط بالسعادة متى حطبوا فيك . وقال احدهم خطاباً لاجد نزاع الآفاق انت يا هذا شي فظ عليظ وصوتك شديد وفي بلاغتك من القمه وفي حركاتك من السرعة ما يؤهلك على ما ارى الى كل ما يلزمك لحكم آتينة .

الحياة المنزلية

احترع الآتييون وظائف كثيرة عهد القيام بها الى فئة من الوطنيين . فكان الوطني الآتيي كالموظف والهندي في ابامنا مهتماً بالانصراف الى الاعمال العامة بصرف ايام حياته في اشهار الحرب والحكم على الشعب ويقضي ساعاته في المجلس او في المحكمة او في الجيش وفي مجال الرياضة او في الدوق وكان له ابدًا امرأة واولاد لان الدين يأمره بذلك ولكنه ما كان يعيش عيش البيوت .

لاولاد — يحق للوالد عند ما يولد له مولود ان يطرحه ويطرده خارج بيته فيموت طريقاً اذا لم يلقطه احد اثناء السبيل ويربيه ليجمعه مولى له . وانت ترى ان آتينة اتبعت في هذا خطة جماع الشعوب اليونانية . والبنات كن يُنبذن في العراء ويُطرحن خارج المنازل اكثر من البنين قال احد الخطباء الهزليين ان الابن يُربى في الغالب ولو كان ذووه في اقصى دركات الفاقة اما الابنة فتهمل ولو كان اهلها من الغنى على حساب . فان قبل الوالد الولد يعد من الأسرة ويترك اولاً في مساكن النساء بالقرب من الام حيث يظل البنات الى ان يتزوجن اما البنون فينصلون عن تلك البيوت في السابعة من عمرهم فيسلم الطفل الآتيي الى المربي الذي يعهد اليه تعليمه وتحسين هيئته والحضوع والطاعة وكثيراً ما يكون المعلم من طبقة الموالي الا ان والد الطفل جعله في حل من صرب ابنه . وهذه كانت عادة عامة في القديم . ثم يدب الولد الى الكتاب يتعلم القراءة والكتابة والحساب واتساده الاتعار والتغني مع جماعة الموسيقيين على نغمات المرامر ثم يأخذ في تعلم الالعب الرياضية وهذه عاية ما يتعلمه الولد فيجيء من هذا التعليم من اماء الآتييين رجال صحيحة اجسامهم هادئة افكارهم يدعوم اليونانيون اهل الصلاح والجمال . اما الفتاة فنظل بالقرب من امها لا نتعلم شيئاً . ويذهبون الى انه يكفي الابنة الآتينية ان تحسن الخضوع وتقتسبت باهداب الطاعة . وقد مثل كسينوفان احد اغنياء الآتييين المهذبين وهو يخاطب الحكيم سقراطاً في شأن زوجه قال : لم تكذب تلغ الحمامة عشرة حتى تزوجتها وقد كان ذووها جعلوها الى ذاك العهد تحت المراقبة الشديدة وارادوا ان لا تبقى وتعيش ولا تسمع

سبباً على التقريب مما اهلها لان تكون امرأة تحسن نسج الصوف وتصنع منها تياتاً ورأت باي الطرق يستخدم الاماء والخدامات . ولما اقترح عليها زوجها ان تكون شريكة في حياته احابته مدهوشة : على اي امر أعينك وهل انا قادرة على شيء ؟ فلطالما قالت لي أمي ان تأتي الحاص بي ان اكون عاقلة . فعنى كون المرأة عاقلة ان تحضع وهذه هي الفضيلة التي تطلب الى المرأة اليونانية .

الزواج — تزوج الفتاة في الخامسة عشرة من سنها واهلها يختارون لها زوجها فيكون تارة شاباً من أسرة قريبة او رجلاً طاعناً في السن من اصدقاء والدها ولا يعدو ابداً ان يكون وطنياً آتياً وقد تعرفه الفتاة من قبل في بعض الاحوال وما قط أخذ رأيها في معنى زواجها . ولما تكلم المؤرخ هيرودتس عن احد ابناء يونان قال : ان كالياس هذا حدير بان يتكلم المتكلمون في امره للخطة التي يسلكها مع بناته فانهن متى صلحن للزواج ينخلن من المال شيئاً كثيراً ويسمح لهن باختيار ازواج لهن من ابناء الامة ويوجهن عن بنتجهن النساء — كان في داخل كل بيت آتبي مسكن منعرل حاص بالنساء يدعى الحرم ولا يختلف الى هذا المسكن غير الزوج والاسباء وتبقى فيه ربة البيت دائماً مع صويجاتها وامائها تراقب اعمالهن وتلقنهن اصول تدبير المنازل وتوزع بيهن الصوف ليحكهن وهي تستغل نفسها بحياكة الثياب ايضاً . وقلما كانت تخرج من دارها الا في الاعياد الدينية ولا تطهر في مجتمعات الرجال قط . قال الخطيب اريس . حقاً انه لم يكن لاحد ان يجراً على العداة عند امرأة مزوجة فان النساء المروحات لا يجرحن لتناول الطعام مع الرجال ولا يسمحن لانفسهن ان يأكلن مع الغرباء وغير المحارم . وما كانت المرأة التي تحالط الرجال معدودة في جملة النساء المحتشمات المهدنات . وهكذا لم تكن المرأة وهي على حالها من الاعتزال والجهل ذات عشرة مقبولة فيتزوج بها الرجل لا لتكون شريكة حياته بل لتقوم بأمر بيته وتلد له اولاداً ولان العادة والدين عند اليونانيين يقضيان بان يكون للمرأة حليمة . وقال افلاطون اذا تزوج المتزوج فليس برضاه وذوقه السليم بل لان الشريعة تقضي عليه بذلك . وقال مياندر الشاعر الهزلي هذه العبارة : اذا شئت التحقيق فقل ان الزواج شر ولكنه شر لا مناص منه . ولذا كان ابداً للنساء في آتينة كما في معظم المدن اليونانية مقام وضيع في المجتمع .

الحروب المادية

سببها — بينا كان اليونان آخذين في تنظيم مدنهم كان ملك الفرس يجمع شتات بلاد الشرق كافة تحت لواء واحد . ولقد تقابل اليونان والمشاركة وكان المصاف بينهم لاول

الامر في آسيا الصغرى . وكان على شاطيء آسيا مستعمرات يونانية غنية ماهولة فطمع قورث ملك فارس في ضمها الى بلاده فبعثت تلك المستعمرات تستجد بالاسباطيين وقد استهروا بانهم احرا ابناء اليونان وانذروا بذلك قورث فاجابهم بقوله : اني ما احتيت قط هذا الضرب من الناس الذين يجتمعون في ساحة وسط مدينتهم ليحذع بعضهم بعضاً بالايمان والعهود (كلامه على ساحة السوق) فعلب اناء اليونان في آسيا واصبحوا رعايا اداك الحاقان الاعظم . وبعد ثلاثين سنة تقابل الملك دارا مع يونان اوربا ولكنهم ظهروا عليه هذه المرة فارسل الآبيون عشرين سفينة على الايويين العصابة فدخل حنهم في ليديا واستولوا عنوة على مدينة ساردس عاصمة ليديا واحرقوها . ما انتم دارا عن ذلك ان حرب المدن اليونانية في آسيا ولم يبق على يونان اوربا . وقيل انه امر ان يقتل لديه ضابط في كل مأدبة يكرر على مسامعه قوله : مولاي تذكر الآبيين . وقد بعث الى المدن اليونانية يطلب تراناً وماء . وهذه الاتارة الشائعة عند الفرس كانت دلالة على ان شعباً يخضع لاداه اسلطة الحاقان الاعظم فاجس معظم اليونانيين حيفة واستسلموا حاصعين ناحمين فطرح الاسباطيون المندوبين من الفرس في شرفائلين لهم ان يأحدوا منها ماء وتراباً يحملوها الى ملكهم . وهذه كانت فاتحة الحروب المادية .

مبادلة الخصمين - ان التباين بين هذين العالمين المتحاربين قد اشار اليه هيرودتس احسن اشارة في صورة محاورة بين كسيركيس ملك الملوك وديمارات احد المفيين من الاسباطيين فقال هذا : اتجاسر ان اؤك كد لك ان الاسباطيين يعلمون عليك حرناً حتى ولو انماز سائر اناء يونان كافة الى حزنك ولولم يبلع جيشهم الف رجل . فاحاب كسيركيس صاحكاً وليت شعري هل في وسع الف رجل ان يشهروا حرناً على هذا الجيش الكثير العدد والعدد واني لاحتى ان يكون في كلامك تمحلق كثير . وهب ان عددهم خمسة آلاف فنحن زهاء الف لقاء واحد . فلو كان لهم زعيم مثلنا فان الخوف بحمسهم ويزيد نفوسهم مصاء فيرحفون بصرب السياط على جيوش اكثر منهم حصا وعدداً . واذ اهمم احرار لا علاقة لهم باحد وليس لهم من التجاعة اكثر مما خصتهم به الفطرة . يقول ديمارات ان ليس الاسباطيون دون غيرهم في حرب يتلاقى فيه المتحاربون جسداً لحسد حتى اذا انصموا بعضهم الى بعض صاروا جيشاً برأسه ومن اتسع الناس وامضاهم . وقصارى القول فانهم وان كانوا احراراً في الظاهر ليسوا كذلك في سائر شؤونهم فلمهم حاكم مطلق ألا وهو «القانون» فهم يخافونه كثيراً ويهربون نأسه اكثر من رهبة رعايانا لك . يطيعونه والقانون يأمرهم ان يتبتوا في مصافهم ابداً الى ان يغلبوا او يموتوا - اليك حال هذين

نانية معلقة فيها الاطلاق التينة الخاصة بالرب وجميع قنياته (١) وربما جعل فيها ذهب المدينة وفضتها . وهكذا كان المعبد صواناً وكنزاً ومتحفاً وتحيط بالمعبد صفوف من السواري من اطرافه الاربعة مؤلفة حوالى جدار المزار عشاءً تانياً للرب وكنوزه والسواري على ثلاثة انواع تختلف باختلاف اساسها ورأسها او تاجها وعلى كل منها اسم الامة التي اخترعتها او اكرتت من استعمالها وهي بحسب اختلافها في القدم السواري الدورية والسواري الايونية والسواري الكورنثية . ويدعى المعبد باسم السواري التي بُني عليها . وفوق الاعمدة حوالى البناء صفايح من رحام منقوشة على شكل اللوحة لتناوب على قطع من رخام منصمة ومنها بتألف الافيرير . ويعلم المعبد بنية مثلثة في اعلى مقدم البناء مردانة بتاتيل وقد صوّرت المعابد اليونانية بالوان عديدة من اصفر وازرق واحمر وبقى اهل التمدن الحديث زماً وهم يأبون تصديق ذلك . وكان من الوهم العام ان لانباء اليونان دوقاً معتدلاً جداً في نقش البناء . بيد انه اكتشفت في كثير من المعابد آثار نقوش لا تبقى مجالاً للتك حتى ادت الحال للباحثين ان علموا بالتأمل فيها ان تلك الالوان اللامعة لم تحسن اخراج الخطوط وكان عليها ان تحسنه اكثر من ذلك .

صنعة النقش اليوناني -- يترأى المعبد اليوناني باديء بدء انه ساذج لا رينة فيه وما هو الا عاية مستطيلة من حجر موضوع على صخر اما الواحية فتحتوي على شكل مربع تعلاه راويه . فلا ترى لاوّل نظرة غير خطوط مستقيمة وأسطوانات حتى اذا نظرت فيها عن أم نكتشف لك انه ليس من هذه الخطوط المستقيمة العديدة الا حظ واحد مستقيم في الحقيقة . والسواري مستقيمة نحو اوسط والخطوط القائمة محنيّة قليلاً نحو المركز والخطوط الأفقية معدبة في الوسط . وكان هذا من الدقة بحيث اقلصى قياسه بالتدقيق لا كمنساف الصنعة فيه . وقد لحظ النقاشون اليونان ان احراج ميل هذا المجموع امتطابق من البناء يقنضي تحنب الخطوط الهندسية التي تظهر محدرة وتومير العاية بظواهر المساطر البعيدة . قال كاتب يوناني ان عاية النقاش ان يمترع طرقاً يسحر بها اعين الناس . واقد كان اهل الصنائع في يونان يعملون باحلاص لانهم يعتقدون عملهم قربي من احد الارباب لذلك كانت صنائعهم معتنى بها في كل اطرافها حتى فيما لا يرى منها وهي من المتانة بحيث يطول امد بقائها بعد لوم يعاجلها التخريب بتسدة . ودام البارتيونون الى القرن السابع عشر (١) كان في البارتيونون احد معابد اثينة على قول خزنة كنوز الارباب اوان ذهبية وفضية وتاج من ذهب واتراس وحوذات وسيوف وحيات من ذهب ومضدة من عاج وثمانية عشر فراتساً وجعاب من عاج ايضاً

(المؤلف)

سليماً وانتق تطيرين بانفجار مخزن من البارود كان يقربه وقد جمع النقش اليوناني الى المتانة حسن ذوق والى السذاجة علماً ومهارة . زالت معابد اليونان كلها تقريباً ويكاد يبقى بعضها مبعثراً مخدوساً مهدماً متداعي الاركان وربما كانت طبقات من سوار على انها تكفي على علاقتها ان تلفت نظر من يراها .

النقش -- لم يكن النقش عند المصريين والاسوريين الا زينة من توابع الابنية اما اليونان فقد احلوه محل صناعة رئيسة . واشهر ارباب الصنائع عندهم النقاشون فيدياس وبراكسيتيل وليريب . فينقشون البارز دون النصف من البناء ليزينوا جدران معبد وواحيته والبنية المثلثة في اعلى البناء . ومن هذا النوع الافريز الشهير في الباناتيبه المحيط بالبارتينون وهو يمثل تطواف شابات آتينة يوم الاحتفال بعيد الربة الكبير . وكان هؤلاء النقاشون ينقشون هياكل وتماتيل خاصة بعضها يمثل رثاً ويستخدم صماً وبعضها يمثل مصارعاً ظافراً في الالعب الاحتفالية أقيمت له هذه التماثيل جراء نصرته .

واقدم التماثيل اليونانية محذرة عوجاء تشبه النقوش الاسورية ثم عدت لدنة ظريفة وكانت اعظم الاعمال من صنع فيدياس في القرن الخامس وبراكسيتيل في القرن الرابع اما تماثيل القرون التالية فانها على التائق فيها اقل ترفاً وعظمة . وكان في يونان ألوف من التماثيل اد ان لكل مدينة تماثيلها وقد تابع النقاشون عمل التماثيل بلا انقطاع مدة حمسه قرون ولم يبق منها على كثرتها عر حمسة عشر تمثالاً لم تعبت به الايدي . ولم ننقل الينا طرفة من الطرف الشهيرة بين اليونان واشهر تمايلنا اليونانية اما ان تكون نسخة عن الاصل مثل تمثال الرهرة في ميلوا او اعمالاً أثرت عن عصر الاحتياط مثل تمثال ابولون في البليدير . ومع هذا فقد بقي منها ما يكفي اذا أضيفت اليها قطع التماثيل والصور البارزة التي ما زالت تستخرج بالحفر لان يتصور المرء حالة النقش اليوناني ويكون له فكر احمالي عنها فلمهندسون اليونان فكروا اولاً في تمثيل اجمل الاحسام في مظهر وقور شريف . وما اضعوا الفرض كلما سخط ليستهبدوا اجمل الرجال في اجمل الهيات من محل الرياضة والجيش والمراقص والاجواق المقدسة فيدرسونها ويحسنون نقلها . وما ضاهاهم احد في محاكاة الجسم البشري ومن العادة ان يكون الرأس صغيراً في تمثال يوناني والوجه ساكناً كامداً ولم يعن اليونان مثلنا بمعاني الوجه بل يعتنون بجمال التماثيل ولم يراعوا التناسب بين الاعضاء والرأس . والجسم برمه مثال الجمال في التماثيل اليونانية .

صناعة الخزف -- عرف اليونان ان يتخذوا من الفخار صناعة حقيقية دعوها سيراميك بقي منها اسمها فقط فالخزف او الفخار لم يعتبر في يونان مساوياً لسائر الصناعات ولكن له منفعة

يرحفون الى العدو الا اذا امهالت السياط عليهم وقد جاؤا بسيف القوة والقهر الى حرب لا يهجم امرها ولا سلاح لديهم ، لا نظام في مصافهم فهم لا يلبتون ان يركنوا الى الفرار بمجرد ان تعيب اعين الحراس عنهم . وثقاتل الماديون والفرس وحدهم في ثلاثيه وميكال ونجا الرعايا . وكان الجند الفارسي سيء النظام والعدة يلبس يبابا طويلة وقد وقيت رؤوسهم نقلسوة من لباد وحفظت اجسامهم انراس من سجر الصفصاف والخلاف وسلاحهم قوس ومدية وحرية قصيرة جداً ولم يكونوا يستطيعون القتال الا اميدىن ويقاتل الرجل رجلاً مثله . اما الاسبارطيون والمتحدون معهم بقعد المحالمة فكانوا على عكس ذلك نقيم التروس العظيمة والحدود ووقايات السوق ويسيرون جموعاً متبكرة لا تقاوم يحرقون صفوف العدو بحرابهم الطويلة وما هو ناسرع من رد الطرف حتى تصير الحرب ملحمة كبرى ومذمحة تباع فيها الارواح ببع السباح .

نتائج الحروب المادية - قادت اسبارطة الجيوش ولكن كما قال هيرودتس كانت آتينة هي التي انقذت اليونانية بان كانت لها مبالاً في المقاومة . والمث اسطول سلامينة وقد استعادت آتينة من هذه البصرة اما المدن الايوبية من الحرر وساطي ء آسيا حاملة واحدة فقد تارت ومردت والمث عصاة تبايعت فيها على الموت في سليل اللود عن اوطانها من مهاجمة الفرس . واما الاسبارطيون وهم شعوب حلية فلما لم يستطيعوا ان يدروا حراً انصرفوا راجعين ادراجهم فاتبع الابينيون اد دال زعما العصابة . وفي عام ٤٧٦ جمع اريستدس قائد اسطولهم نواب المدن المتحالفة فقرر رأيهم على مساعة حرب الخاقان الاعظم وتأمروا بهم على تقديم سفن ومخاربن وان يؤدوا كل سنة قطعة من المال قدرها ٤٦٠ تالانا (اى مليوناً وسبعائة الف مرنك) وجعلت الحراة بدينه دياوس في معبد اولون معبود الايويين وكان عهد الى آتينة ان تقود الجيوش وتجي القطائع . وقد الى اريستدس في البحر قطعة من الحديد المحمى واقسموا كلهم ان يحتفظوا جميعاً بالعهد الى يوم تطفو هذه الحديد على سطح الماء وذلك حباً بتأكيده العهد ونفادياً من نقض يمين الاحلاص .

وقد حدث مع هذا ان الحرب وقعت وعقد اليونان - وكان النصر اليه الوينهم ابداً - معاهدة سلمية او هدنة مع الخاقان الاعظم فابى الملك ان يعد يونان آسيان رعاياه (نحو سنة ٤٤٩) . وهنا سؤال يورد في هذا الباب وهو كيف انتهت معاهدة اريستدس وهل كان على المدن المتحدة ان تؤدى القطائع على حين ليس عليها ان ثقاتل بعد فابى بعضها ذلك حتى قبل ان اطفئت نار الحرب . وزعمت آتينة ان المدن كانت أخذت على انفسها العهد على الدهر فاضطرتها الى ان تؤدى ما يطلب اليها . حتى اذا وصعت الحرب

اوزارها لم تجدر حراسة ديولس قليلاً ولذلك نقلها الآتييون الى مدينتهم واستخدموها في
 ابناء المصانع والمعاهد . ولطالما كانوا يقولون ان المتحدين يؤدور ما يتقاضونه من الضرائب
 للخلاص من ايدي الفرس فمن تم لم يكن لهم ما يطالبون به بته ما دامت آتينة تدفع عنهم
 عادية الخاقان الاعظم . وهذا مما عير حالة المتحالفين فصاروا ملزمين بدفع الضرائب لآتينة
 وما عثموا ان امسوا رعاياها فرادت آتينة في قنائهم واكرهت مواطنيهم على المتول امام المحاكم
 الآتينية بل قد انفتت بطواريء من قبلها ليسمعروا جابياً من ارضهم وبهذا النظر اصحت
 آتينة ام القرى تحكم زهاء ثلثائة مدينة متفرقة في الحزر وشواطيء الارحبييل وتجي قطيعة
 قدرها ستائة تالان في كل سنة .

الصنائع في بلاد اليونان

آتينة على عهد الامراطور بركليس

بيركليس --- كانت آتينة في منتصف القرن الخامس من اقدر المدن اليونانية يدير
 امرها بركليس احد ابناء الاسرات العظيمة وكان مقلاً من الكلام غير منبذل في شخصه ولم
 يكن يتوقع في اعماله رضى الامة بل كان الآتييون يحرمونه ولا يجرون الا على اصانحه
 وهو معروف بانه متمكن من شؤون الاداره ومعرفته البلاد ولدات دحنوا تحت سيطرته وحكمه
 وادار سياسة آتينه كلها اربعين سنة كما قال معاصره توسيديس المؤرخ : ان الحكومة
 الديمقراطية كانت موجودة بالاسم بل كانت تلك الحكومة حكومة الوطني الاولى على التحقيق
 آتينة ومصالحها -- كانت منارل القوم الخاصة في آتينه كما في معظم المدن اليونانية
 ضيقة واطئة متراكمة بعضها على بعض يكون منها ارقه حبيقة منعطفة سيئة التليط . وقد
 جعل الآتييون عظمتهم في معالم العامة . فمنذ احدثوا يجبون من محالفيهم قطائع لتصرف في
 سبيل الحروب كانوا ينفقون النفقات الطائلة في اقامة انية جميلة فعمروا في ساحة احد
 السوارع رواقا مرينا بالصور (الفسيل) واشتوا في المدينه دارتمتيل ومعبد اكراما لتيريس
 احد اطالم واولديون ومعبد الشعر والموسيقى وذلك للمساقه في هذا العلم . ولكن قامت احملا
 المباني على صخرة الاكربول كأنها على قاعدة هائله وهما معبدان (احدهما وهو البارتيونون
 جعل قربى للمعبودة آتينة حامية مدينة آتينة) والاخر هيكل ضخم من الفلز يمثل آتينة وسلم من
 الآبار الجليله يصل الى البروبيلي ورواق الرحام في آتينة . ومن دلك العهد كانت آتينة
 اجمل بلاد اليونانية وانضرها .

عظمة آتينة --- ومع ما حصت به آتينة من الصفات المشار اليها كانت ايضا مدينة اهل
 الصنائع فقد حشر اليها الشعراء والخطباء والمهندسون والمصورون والنقاشون وكان بعضهم

من اهل آتينة ووجهائها وجاءها البعض الآخر من اطراف ارض يونان يحملون الى تلك المدينة العظيمة نتائج صناعاتهم و طرف طرائفهم . لا جرم انه نبغ كثير من ارباب الصنائع اليونان لم يكونوا من اهل مدينة آتينة وذلك قبل القرن الخامس وبعده بكثير من الزمن ولكن قل ان اجتمع هذا القدر العظيم من ارباب الصنائع في مدينة واحدة ولقد كان معظم اليونانيين من اريس ارباب المعارف في الصناعات وموادها بيد ان الآتييين فاقوا غيرهم بحسب دوقهم وصنع ايديهم واماروا بعقول متقفة ورعبة في الطرف وآثار الظرف واللفظ . ولئن جاء من ابناء يونان امة رفيعة القدر عالية المكاتب في تاريخ الحضارة فذلك لانه امة تحسن ملكة الصناعات فلا جيوشهم القليلة ولا بلادهم الصغيرة الرقعة حدمت العالم والعمران خدمة اعظم من خدمه صناعاتها . فاليك السبب الذي من اجله كان القرن الخامس اجمل عهد في تاريخ يونان والداعي الى ان جعل آتينة تستأثر بفضل الشهرة اكثر من غيرها من المدن اليونانية .

الآداب

الخطباء — امتازت آتينة اولاً ببلاغة خطباتها فكانت حقاً لبلد الآداب وحسن الالتقاء وبالخطب في مجلس الامة يقرر اشهر الحروب وعقد السلم ووضع القواطع والضرائب وكل الشؤون العظيمة وبالخطب التي تلقى في المحاكم يحكم على الوطنيين والرايا او يردون للخطباء الساطة وعلى الامة ان تعمل بنصائحهم ومواعظهم وربما عهدت اليهم ادارة شؤون المملكة فقد عين كليون قائداً ورأس ديموستين الخطيب حرب فيليب وللخطباء نفوذٌ وكثيراً ما يلجؤون الى بلاغة القول للنيل من عدائهم في سياستهم وربما اغتبتوا لانهم يتالون بن ارباب الغايات ما يرضيهم من المال ليعضدوا احد الاحزاب . فقد اخذ اسيلا مالا من كدونيا وقبض ديموستين دراهم من ملك الفرس .

ثم ان بعض الخطباء يستئون خطباً ليلقيها غيرهم . ولا يسوع لمن كانت له قضية ان يرفعها بواسطة محام كما هو الحال عندنا بل نقضي تسريعة البلاد ان يتكلم صاحب القضية في قضيته بالذات . فمن تم كان عليه ان يروح الى احد الخطباء ليلمس منه تأليف خطاب له يستظهره ليلتوه امام المحكمة . ولطالما جاب بعض الخطباء بلاد يونان وتكلموا في موضوعات توحىها اليهم الخيالة فاقاموا لهم كما نقول مقامات وعقدوا اندية ومؤتمرات (١) وكان قدماء الخطباء يتكلمون بدون تصنع مقتصرين على ان يقصوا على المنابر الكوائن بدون ان يعمدوا الى اساليب خطاييه فيقفون في المنبر لا حراك لهم دون ان يصحوا او يتحركوا وكان الملك

(١) اشتهر عشرة من هؤلاء الخطباء خاصة فدعوا خطباء اتيكيا العشرة

بيركليس يحطّب خطبه على طريقة هادئة دون ان يحرك اهداب رداثه وعند ما كان يقف في منبر الخطابة وقد تكلم رأسه حسب العادة باوراق التيجريز عم الشعب انه يتخذ رناً من ارناب الاوليبيا ولكن الخطباء الذين جاؤا بعد ذلك طمعوا في اتارة الامة وتحريك احساسها والنفوذ الى شعورها واصطلحوا على الاشياء المتين يروحون في المنبر ويعدون منتشدين متحركين . وما عمت الامة ان اعتادت هذا الاسلوب في الفصاحة . ولما احذ ديموستين يتكلم في مسر الخطابة للمرة الاولى طفق الحضور يقهقهون ويفضحون من اسلوبه اد لم يكن يحسن التلفظ ولا الوقوف ثم ما لبث ان مر على الالقاء واحسان الحركات المطلوبة حتى صار ندم التعب وعمريره . دنت الايام ودرجت الليالي وديموستين حطيب في امته . وقد سئل بعد عن اول صفة في الحطيب فاجاب بانها العمل ثم سئل تايه فقال العمل ثم سئل بالله فقال العمل . ومعنى العمل طريقة الالقاء فانها كانت تهم اليونان اكثر من الخطبة .

الحكماء -- كان مند قرون عند يونان آسيا خاصة اناس يراقبون المادة ويفكرون في امرها لقبوا بالحكماء والعلماء في آن واحد وقد عنوا بالطبيعيات والفلك والاربخ الطبيعي اد لم يكن العلم قد انفصل بعد عن الفلسفة وهكذا كان حال مشاهير الحكماء السبعة ببلاد يونان في القرن السابع .

الفسطاطيون --- جاء ناس على قرب عصر بيركليس الى آينة فاتخذوا تعليم الحكمة صناعة واجتمع لهم كثير من اللاميذ استوا يقاصومهم احوار الدروس التي يلقتونها . وجعلوا ديدهم الانكار على الدين والعادات واصول ادارة المدن اليونانية يوهمون انها غير مبنية على العقل . ويأخذون من ذلك ان المرء لا يعرف شيئاً صحيحاً (مما كان قريباً من الصواب في عهدهم) وليس في طاقه ان يعرف امراً صدقاً كان او زوراً اقال احدهم . لا وجود لامرومتي وجد صعبت معرفته . ويدعى هؤلاء المعلمون للتشكيك بالفسطاطيين . وقد حص بعضهم بملكة الخطابة .

سقراط والفلاسفة --- حاول سقراط احد شيوخ آينده ان يكر على الفسطاطيين ويقومهم عند حدهم على فقر حاله وساعة منظره ولكنة لسانه ولم تكن له دروس يلقيها كاولئك الفسطاطيين بل يكتفي بالرواح الى المدينة يحاطب من يصادفهم من جماعتهم بكثرة ويحملهم بكثرة الاسئلة على ان يفكروا فيما ينكر فيه نفسه . وكان محته مع الفتيان خاصة يعلمهم وينصح لهم . ولم يكن يطهر سقراط انه شدا شيئاً من العلم بل كان يقول ان غاية علي اني ادري بانني لا ادري . وود لودعي فيلسوفا اي محباً للحكمة لا حكيماً كسائر تلك

المرر . ولم يتدبر شيئاً من طبيعة الكون او مسألة من مسائل العالم بل كانت همه دراسة احوال الانسان . وكانت حكمته في قوله . اعرف نفسك . فكان من ثم مبشراً بالفصيلة . واذ انه كثيراً ما كان يحوض في الموضوعات الاخلاقية والدينية عدّه الا يبسوطاً . وفي سنة ٣٩٩ م مثل امام المحكمة متهماً بانه يتحافى عن عبادة ارباب المدينة وانه يحاول ادخال ارباب جديدة اليها ويعسد على التسان عقاندهم فلم يحاول ان يدافع عن نفسه بل حكم عليه بالموت وكانت سنه اذ داك سبعين سنة فاصبر له كسيوفون احد تلاميذه والف افلاطون من الفلاسفة محاورات اقام فيها سفراط رعيم المتحاورين فاعتبر من داك العهد انا للفلسفة اما افلاطون فقد كان صاحب مذهب معروف (٤٢٩ - ٣٤٨) ولخص ارسطو تلميذ افلاطون (٣٨٤ - ٣٢٢) علوم عصره كافة في كتبه وقد انقسم الفلاسفة الذين اتوا بعد المعلمين ارسطو وافلاطون قسمين دعيت شيعه افلاطون بالرواقيين وشيعه ارسطو بالمتأثرين (لان ارسطو كان يعلم وهو يروح ويعدو)

الموسيقيون - كان من العادات القديمة ان يرقص القوم في الحفلات الدينية فيمر جمهور من الفتيات حول مذبح المعبود ثم يرجعون واقفين كالاتراف وقفة ذات معانٍ و اشارات . اذ كان القدماء يرقصون باحسادهم كلها ويحانف رقصهم كثيراً عن رقصا وهو ضرب من التطواف الحماسي واتسمه برواية ذات ايماء وكان هذا الرقص الديني انداء متفوغا باغان تعطيها للارباب ويسمى جمهور الراقصين والمعين جماعة الموسيقيين . وتلذذ كلها جماعة من الموسيقيين ومنهم ابناء اشرف العيال يعدون كذلك بعد ان يستعدوا زمناً . ومن فرط العناية ان يكون خدمة الرب حديرين بخدمته .

الروايات الفاحعات والمهرليات كان يحتفل الفتيان في الارياف المجاورة لآبنة كل عام باقامة المراقص الدينية اكراماً للرب ديويروس اله الكرمه وكان بعض هذا الرقص متشاقلاً يمثل اعمال المعبود فيصرب رئيس جماعة الموسيقيين على وتر أعنية ديويروس ويصور حوقه رفاقه وهم اناس لهم ارجل تيوس يسكنون العانات تم ياخذون في تمثيل عيش ارباب أحر وابطال قدماء . ثم حطر لاحدهم ان ينصب مصطبة يخيء مثل يلعب عليها عند ما ينقطع جوق الموسيقى عن الضرب بانعامه . وهكذا تم المشهد ونقل الى المدينة بالقرب من شجر الحور الفارسي او مجتمع السوق فذات من ذلك الروايات العاجعات .

اما الرقص الآخر فكان مصحكاً فينكر الراقصون وجوههم ويتغنون بمدايح الرب يونيزوس وقد شاوها باضاحيك يسلون بها الحضور او بتصورات هزلية في حوادث حدثت ذلك اليوم . وقد صنع في الحوق الهزلي ما صنع في الحوق المجمع من ادخال ممثلين

ومحاورات ونقل الشهيد الى آتينة وهكذا نشأت الروايات الهزلية (الكوميديا) من اجل هذا كانت الروايات الفاجعة تمتل الى يوم الناس هذا ابطلاً اما الروايات الهزلية فتمثل حياة كل يوم واحتفظت الفاجعات (المأساة) والهزليات لبعض اصلها وظلت تمثل امام هيكل الرب وان تكن فاجعة ولئن غدا الممثلون وهم جلوس على المصطبة اصحاب موقع في الشهيد فقد ظل جوق التمثيل يرقص ويتغنى وهو يطوف حول المذبح وكان جماعة الموسيقيين في الروايات الهزلية كما كان يجي المنكرون يبدون ملاحظاتهم على السياسة بغلظة .

الملاهي — جعل في منحدر قلعة الاكروبول ملعب للرب ديونيزوس اله الكرمه يسع ثلاثين الف منفرج وذلك ليحضر الآتييون كافة هذه المتاهد . وكان هذا الملعب كسائر الملاعب اليونانية مكتوفاً تحت السماء ومولفاً من دريحات من الحجر مصفوفة على شكل نصف دائرة بازاء جماعة الموسيقي حيث كان يطوف المنتشدون وامام الشهيد الذي تمثل فيه الرواية . ولا نقام المشاهد فيه الا في اوقات اعياد الارباب بيد ان المشاهد كانت تدوم اذ داك عدة ايام متوالية يبدأون في الصباح عند بزوع الغزالة ويمتلون للحال ثلاث فاجعات وقصة هجوية تنتهي على ضوء المتاعل من الليل والفاجعات الثلاث يؤلفها واحد وتمثل فاجعات اخرى في الايام التالية وهكذا كان الشهيد ميدان مسابقة بين الشعراء والامة تعطيهم جوائز الاستحسان واشهر هؤلاء المتبارين اسيل وسوقلس واربيدس . وقد عهدت المسابقة ايضاً بين مؤلّي الروايات الهزلية ولم يؤت من كل ما الفوه من الروايات غير قطعة واحدة فيها ارستوفان الشاعر الهزلي .

الصنائع اليونانية

المعابد اليونانية — قامت احملى المباني في اليونان تعظيماً للارباب فتمت هندسة اليونان فلا يذهب الفكر الا الى معابدهم . وليس المعبد اليوناني كالبيعة النصرانية خاصاً لقبول المؤمنين الذين يهرعون الى الصلاة فيها بل هو قصر يرله الرب وعماله يمثله قصر تحفه الالهة والجلالة ولا يلجحه جمهور المؤمنين بل يظلمت حارجه حوالى مذبح تحت السماء وقد قامت مقصورة الرب في وسط المعبد وهو مرار سري لا نافذة له ولا ضوء ينفذ اليه الا ما كان من كوى في الاعالي . وقام الصنم في داخله معمولاً من خشب او رخام او عاج لابساً ذهباً محلي بالتياب والحلي وكتيراً ما يكون هيكلًا عظيمًا . وقد مثل زيوس في معبد الاولمبيا قاعداً ويكاد يصل رأسه الى القمة ولدا قيل ان الرب لو تمثل قائماً لحرق السقف وقد حجب هذا المزار عن الانظار من كل ناحية وهو عبارة عن مستودع ذخائر الصنم ويمتاز من يروم دخوله ضرباً من الرواق مولفاً من صفوف من السواري . ووراء الغرفة غرفة

عشرة صفوف وكانت جيوشهم في كل مكان في تعبئتها نمطاً واحداً توّلف مثلنا ذا زاوية قائمة مستطيلة ورقيقة فكانوا اذا حمل جندهم على العدو يشعرون بان تروسهم المعاقبة على اذرعهم الشمال تحميهم من اليسار ومن اليمين صفوف رفاقهم يحمون المينة بالطبع بحيث ان الجناح الايمن من الكتيبة يشعر بانه اقوى ما يكون في العادة . فتخيّل ايپامينوداس ان يعبيء رجاله على شكل زاوية قائمة مؤلفة على طولها من صفوف متساوية في عددها بل ان يضع في الجناح الايسر صفوفًا اكثر من الايمن فأخذ الكتيبة شكلاً غير متناسب يشبه شكل زاوية قائمة . فيكون الجناح الايسر اضعف من الايمن ومؤلفاً من احسن المحاربين يحمل حملة منكورة على جناح العدو الذي يكون اضعف منه فينكس وسط جيش العدو و يأخذه من جنبه فدافع التيبيون عن بلادهم بايديء بدء من الحيش الاسبارطي الذي بقي يدهم بيوسيا في ربيع كل سنة اعواماً كثيرة ويقطع الشجر ويحرق العلات ولم يجسر ان يقاتل قتالاً منطماً بل كانت عاراته مناوشات فقويت تسكينتهم وتمرسوا في الحرب . رأى ايپامينوداس ان جيشه قد اعناد قراع الانطال وقوي ساعده في حومة النزال وكانت الرجالة من جد الاسبارطيين اصطفت على عمق ابي عترة مقاتلاً بالقرب من لوكترس وكانت رجالة التيبين اقل ورساهم اكثر « لان بيوسيا كانت بلاداً تربي فيها الحيول الحيات » فاستطاع ايپامينوداس ان يحيي الميسرة وكان من ذلك ان احتصر حط الحرب وحمل الجناح الايسر من حيثته وكان مؤلفاً من خمسين صفًا فبدد شمل الجناح الايمن من الاسبارطيين حيث كان الملك واقفاً فقل « ٣٧١ » وهذه كانت المرة الاولى التي تعلب فيها جيش يوناني على جيش اسبارطي واصبحت بييه المديبه المقدسه اكثر من جميع مدن يونان وصارت لما الامرة على بيوسيا كلها وكانت الشعوب اليونانية في المورة الى ذلك العهد حاضعة لاسبارطة فالتست معونة التيبين ليل استقلالها . فاستأت مدينة ماتينه في بلاد اركاديا اسوارها على الرعم من دفاع اسبارطة ودحت نيجه الاغنياء احلاف اسبارطة وكان الاركاديون من سكان الجنوب مستتين الى ذلك العهد في القرى فانصموا بعضهم الى بعض وانتشوا مدينة حصينة سموها ميكالوبوليس تم اراد ايپامينوداس جمهور التيبين على ان يذهبوا الى عزو الاسبارطيين في عقر دارهم فدحل الحيش البيوسي الى بلاد المورة وكتر سواده بالاركاديين واهالي ارعوس وتوعل في اقليم لاكونيا وطفق يعسكر امام اسبارطة « ٣٧٠ » وكانت هذه هي المرة الاولى التي رأى فيها الاسبارطيون العدو في ارضهم . ولم يكن لاسبارطة اسوار فسلح اجازيلا « وكان قد بلغ اذ ذاك من العمر ٧٦ سنة » جماعة الهيلوتيين وحصن الاكام المحيطة بالمدينة .

ولم يجسر ايامينوداس على الهجوم واذ كان عاجزاً عن اطعام جيشه في البلاد التي استباح حماها وجعل عاليها سافلها رجع ادراجه وقبل ان يغادر المورة جمع المسيحيين وقد اصبحوا منذ ثلاثة قرون رعايا الاسبارطيين واعانهم على انشاء مدينة قوية سميت ميسين وعادوا يلون شعيتهم . وتحالفت اسبارطة مع الاثينيين الذين كانوا يحسدون التيبينيين كما حالقوا اهل سيراكوزة ومع الجبارديس الذي بعث اليها بالمحاربين الغالين فغلب الاركاديون احلاف تيبية . وعندها حاولت تيبية ان تنال معونة ملك الفرس وارسل القائد بيوليوداس الى آسيا وآب يحمل كتاباً من الحاقان الاعظم الذي وعد ان يحارب اليونان الذين لا يقبلون مجالفة تيبية «٣٦٧» اما سائر المدن فلم تكن تحشى ملك الفرس وابت ان تخضع له . ولم تكن تيبية من القوة لتخضع الى سلطانها جميع بلاد اليونان فظهر ايامينوداس على احسن حال في بلاد المورة مع الجيش البيوسي وحالف المسيحيين تانية وحاول ان يدهم اسبارطة واد بلغ ذلك اجازيلاً كراً راجعاً وراح ايامينوداس يهجم على جيش العدو في اركاديا بالقرب من مدينة ماتينه وظفر في هذه المعركة باتحاده الاسباب التي اتخذها في لوكترس ولكن اصابه سهم فمات ليومه . وفقد التيبيون به قائداً يقودهم وانتهت ايام عمر تيبية ولم يبق مما قام به القائد ايامينوداس الا مدينة ميسينا التي اصبحت مملكة مستقلة وسقط سلطان اسبارطة من بلاد المورة كما سقط من بلاد اليونان .

نتائج الحروب — لم تؤد هذه الحروب الى تأليف اليونانيين كافة امة واحدة اذ لم يكن لمدينة من مدنهم لا اسبارطة ولا آتينة من القوة ما تكره به سائر المدن على الطاعة لها والخصوع لسلطانها وما كان منهم الا ان ينهك بعضهم قوى بعض ويكاح بعضهم بعضاً وكان ذلك من حظ ملك الفرس الذي استفاد من هذا الانقسام ولم تبلغ الحال بالمدن اليونانية انها لم تنفق عليه بل انها كانت كل واحدة على حدة تحالفه للانتقام من سائر ابناء يونان وقد صرح الحاقان الاعظم (٣٨٧) في معاهدة انتاليسيداس بان جميع المدن اليونانية في آسيا هي ملك له ولم تحالف اسبارطة قوله ذلك ولا نقضت زعمه وكذلك كان شأن آتينة وتيبية بعد بضع سنين فقد قال خطيب آثيني : « ان ملك الفرس هو الذي يحكم بلاد اليونان ولم يبق عليه الا ان يقيم له عمالاً في مدننا . اليس بيده الحل والعقد في بلادنا ؟ اما نحن فنندعوه الحاقان الاعظم كما لو كنا عبيده ؟ » وهكذا اضاع اليونان بتفاسلهم وتدابريهم ما كانوا غنموه في حرب مادي .

عظمة مكدونية

فيليب — الاسكندر — فتح آسيا

انهكت الحروب المتصلة مدة قرن بين اسبارطة وآثينة قوى تينك المماكتين فتركنا قتال ملك الفرس الا ان شعباً جديداً وهم المكدونيون عاودوا قتاله حتى نالوا منه وكانوا على خستونتهم وقسوتهم اتبه بقدماء الاوروبيين شعباً مؤلفاً من رعاة وجند . ولقد سكنوا شمال بلاد يونان في واديين عظيمين مطلين على البحر . وقلما كان اليونانيون يحلونهم محل الاعتبار بل ينظرون اليهم نظراً ثانوياً كما ينظرون للبرابرة واد كان المكدونيون يدعون انهم من نسل هيراكليس سمح لهم اليونان بان يركضوا خيولهم في سباق الالعاب الاولمبية وبذلك اعترف بهم صمناً بانهم من ابناء يونان .

فيليب — قلما كان هؤلاء الملوك النازلون في بلاد الداحلية بعيدين عن البحر يتتركون في حروب اليونان . وفي سنة ٣٦٠ تسنم اريكة العرش المكدوني شاب نشيط تجاع طموح واعني به الملك فيليب فطمحت به نفسه الى القيام بثلاثة امور .

(١) ان يشيء جيشاً قوياً

(٢) ان يستيء جميع المواقي على شاطيء مكدونية

(٣) ان يكره سائر اليونان على الانضواء تحت لوائه لقتال الفرس

فصرف في هذا الشأن اربعا وعشرين سنة ونجح فيما قصد له . واستسلم اليونان اليه بل واعانه كثير منهم واتخذ له الصاراً يبذل المال في جميع المدن يحسنون الظن فيه ويمتدحونه قال : « ما من قلعة يتعذر الاستيلاء عليها اذا استطاع المرء ان يدخل اليها بعلاً مثقلاً بالذهب » وهكذا استولى على جميع مدن شمالي اليونانية واحدة بعد اخرى .

ولقد كان الحصم اللدود لفيليب الخطيب ديموستين وهو ابن صانع السلحة تيم في الساعة من عمره واختلس اوصياؤه جزءاً من ماله ولما بلغ اشده اقام عليهم قضية واكرههم على ان يعيدوا اليه ما اختلسوه منه وكان درس خطب ايزيه واستطهر تاريخ توسيديد بيد انه عند ما حطب على المنبر العام قوبل كلامه بالقهقهة اذ كان صوته ضعيفاً جداً ونفسه قصيرا فنوفر عدة سنين على ترويض صوته . ويروى انه كان ينقطع شهوراً طويلاً ودف رأسه مخلوق لئلا يحاول الخروج ويلقي خطباً وفي فمه حصا وهو على شاطيء البحر ليمرن نفسه على التعاب بصوته على جلبه الناس ولما رجع الى المنبر كان قد اخضع صوته لارادته واذكار يحافظ كل المحافظة على اعداد جميع خطبه قبل القاها عدا ارقى خطيب واعظم مفود في بلاد اليونان . وكان الحزب الذي يرجع اليه امر آثينة على ذلك العهد بزعامة فوسيون يطمح في السلم اذ لم

يكن لا آينة جند كاف ولا مال وافر لا يقاف ملك مكدونية عند حده فكان فوسيون يقول سأستير عليكم بالحرب متى صرتم بحيث تستطيعون القيام باعبائها . وكان ديموستين على العكس يخنقر فيليب ويراه كأنه من المتوحشين فنطووع في خدمة الحزب الذي يطلب محاربتهم واستخدم ما فيه من فصاحة لاخراج الآتينيين من سياسة المسالمة ولم يدخر وسعاً مدة خمس عشرة سنة في تحريضهم على ذلك .

وانك لتجد موضوع كثير من حطب ديموستين الحملة على الملك فيليب وكان يسميها الفليبية . قال في خطابه الاول سنة ٣٥٢ : متى تقومون ايها الآتييون بواجباتكم ؟ اتريدون ان تسرحوا وتمرحوا في الساحات وبعصمكم يا آل بعضاً بقوله : ما وراءك من الاخبار ؟ اما انا فاقول لكم ليس من حديد الا اننا نشاهد مكدونياً يتغلب على آينة ويستولي على ارض يونان ؟ اقول لكم انه من الواجب تسليح خمسين سفينة وان تعقدوا العزم ان تركبوها بالدرات عند ميسس الحاجة . جنبوا مسمعي حديث حيش مؤلف من عشرة او عشرين الفاً من الاجانب ولا حقيقه له الا على الورق فاني لا اريد الا اخنوداً من الوطن متطوعين في خدمته .

وقال ديموستين في الفيليبيات الثالثة سنة ٣٤١ يذكر الآتينيين بما حازه فيليب من الظفر عليهم لغفلتهم وقلة حركتهم : « كان اليونان قديماً عند ما يسيئون استعمال سلطنتهم ابظلموا غيرهم تقوم بالادهم كلها على ساق وقدم لمنع هذا الظلم ونحن اليوم نقاسي ما نقاسي من مكدونية حقير متوحش من اصل ملعون فيخرب المدن اليونانية ويخنفل بالالعب البيتية (١) او يأمر خدمه بالاحتفال بها وهذا ما ينظر اليه اليوناني بدون ان يأني امراً كما ينظر الى الرد يتساقط وهو يضرع بان لا يصيبه . والسلطة تعظم بدون ان يخطوا احد خطوة لا يقافها . وكل ينظر من عهد اليه في تمريق تجميل غيره كما لو كان يعد ذلك رجحاً في وقته بدلاً من ان يفكر ويعمل اسلامة اليونان عند ما يعرف الناس ان المصيبة ستمال البعدين » . ولما استولى فيليب على الآتية في مدخل بيوسبا (٣٣٩) ازعم الآتييون بما نصح لهم به ديموستين ان يتهروا بالحرب وبعثوا بوفود الى تيبة وذهب ديموستين زعيماً للوفد ولقي في تيبة وفداً جاءه من قبل فيليب فتردد التيبيون وارادهم ديموستين على ان يتناسوا جميع احقادهم القديمة وان لا يفكروا في غير سلامة الوطن اليوناني وفي الدفاع عن الشرف والحرية فعرهوا بمساعيه ان يعقدوا مخالفة مع آينة وان يظلموا على المقاومة والحرب .

وبعد سنة (٣٣٨) نشبت الحرب في تيرونييه من اعمال بيوسبا وكان عمر ديموستين اذ ذلك ثمانياً واربعين سنة فقدم في الجيش جندياً بسيطاً واذ كان جيش الآتييين

(١) هذه الالعب كانت تقام كل اربع سنين كالالعب الاولبية في مدينة دلفيس اكراماً لابولون البيتي

والتيبيين قد دعي الى حمل السلاح بسرعة لم يعادل جند فيليب المدرسين ولذلك كانت الهزيمة من حظ الجيش الاول .

الاستيلاء المكدوني — واذ ظفر فيليب اقام حامية في تيبة وصالح آبينة تم دخل الى ارض المورة فاستقبله اهلها كأنه المحسن الى التعوب التي طالما اضطهدتها اسبارطة ومن ذلك العهد لم يصادف اقل مقاومة فجاء الى كورنت (٣٣٧) وجمع فيها مندوبي جميع المدن اليونانية (ما خلا الاسبارطيين فاهم لم يبعثوا مندوبين قط) وعرض عليهم متروعه وهو ان يتولى زعامة جيش يوناني لعرو فارس فاستحسن المندوبون رأيه وعقدت تحالفه عامة بين المدن اليونانية كافة وذلك على ان تحكّم كل مدينة نفسها نفسها وتعيش اسلام مع غيرها وأنتهي، مجلس لتلك الوحدة لمنع الحروب والفتن الاهلية والتقل والمصادرة وهذه الوحدة كان من شأنها الاتحاد مع ملك مكدونيا والاقرار له بالرعامه على جميع الجنود والسفن اليونانية وحظر على كل يوناني ان يحارب فيليب واذا فعل تصرب عنقه بدون محاكمة .

الاسكندر - 'حق فيليب ملك مكدونيه سنة ٣٣٤ وكان اسمه الاسكندر اد داك ابن عشرين سنة وكان مثل جميع اليونان من ابناء البيوت الشريفه ماهراً في الالعب الرياضية شديد القوى في الكفاح يحسن ركوب الصافنات الحياض (وهو الذي استطاع وحده ان يكبح حماح حصانه بوسيفال في الحرب) وكانت زيادة على ذلك عارفا بالسياسة حسن البيان يعلم الماريخ الطبيعي وكان استاده من سن المائتة عشرة الى الساعة عشرة العباسوف ارسطو اعظم عالم في اليونان فكان يتلو الالبادة اشوق ويدعوها داييل فن الحرب ويريد ان يتشبه بالابطال الذين ورد ذكرهم فيها . فكأنه خلق ليكون وانحاً لانه معرم بالقمال مولع بحب الشهرة وكان ابوه يقول له « ان مكدونية صيته المطاق ولا تسعلت »

الجحافل المكدونية - ترك فيليب لانه الاسكندر اداة من ادوات الفتح وبعي بها الجيش المكدوني وهو احسن جيش عهد في بلاد اليونان يوزف جيش المائتة وجيش الفرسان فكان الجحافل المكدوني مؤلفاً من ١٦ الفا من الرجال مصمومين ألوقاً ستة عشر صفاً ويحمل كل واحد منهم رمحاً طوله ستة امتار وكان المكدونيون في ساحه الوعى بدلاً من ان يسيروا الى العدو كهم من جهة واحدة يقفون لا حراك لهم ويصربون برماحم العدو من كل صوب وكان جنود المؤخرة يرفعون رماحمهم من فوق رؤوس الصفوف الاولى بحيث كان داك الجيش يتشبه حيواناً عظيماً وقد انتصب وعليه الحديد والعدو يداهم فيتحطم . وكنت ترى الاسكندر بينما كان الجيش في ساحه الحرب يوقع بالعدو وهو في مقدمة فرسانه وكانت هذه الكتيبة من الفرسان مؤلفة من خيار الفتيان الاشراف .

فتح آسيا — سافر الاسكندر في ربيع سنة ٣٣٤ في ثلاثين الفراجل (معظمهم من المكدونيين) وفي ٤٥٠٠ فارس لا يحمل معه غير ٧٠ تالوناً من المال (اقل من ابعائة الف فرنك) وذخيرة تكفي هذا الجيش الضخم اربعين يوماً . ولم يكن عليه ان يقاتل ذاك الفوغاء من الشعوب التي لا سلاح لها وقد سخرها كينسرو الفارسي لامره فقط بل كان امامه خمسون الفاً من اليونان المجندين في خدمة الخاقان الاعظم تحت قيادة قائد حاذق يدعى ممنون الرودسي فقد كان في مكنة هولاة اليونان ان يصدوا المكدونيين عن العبور ولكن صادف ان مات ممنون وتشتت جيشه تذر مذر فتخلص الاسكندر من خصمه الوحيد العنيد وفتح المملكة الفارسية في سنتين . وذلك بعد ان ظفر في ثلاث مواقع فبدد في آسيا الصغرى الجيوش الفارسية الرابطة وراء نهر غرانيك (في مايو ٣٣٣) وهزم الاسكندر داريوس ملك فارس وجيشه الذي يقال انه كان مؤلفاً من ستين الفاً في مضائق سيليسيا في ايسوس (نوفمبر ٣٣٢) وتشتت في اربل بالقرب من دجلة جيشاً اكثر عدداً (٣٣١) .

فكانت هذه الغلبات مثلاً من الحروب المادية فالجيش الفارسي لا سلاح له ولا يحسن الرماية وهو متوس بنفسه في اخلاط من الجند والاجراء والاتقال وكانت الجنود المختارة وحدها هي التي تقاتل والباقي يتمت ويقتل ولم يكن الفتح في غضون الحرب الا نزهة يكتب فيها الظفر وهذا الفتح لا يجد امامه مقاوماً (١) وماذا بهم شعوب المملكة ان يحضوا لداريوس او للاسكندر ؟ وكل غلبة يحرزها الاسكندر كان يفتح بها مملكة برأسها فوقعة الفرانيك استولى فيها على آسيا الصغرى ومعركة ايسوس افتتح فيها سورية ومصر ومعركة اربل بقية البلاد .

ولما صار الاسكندر الحاكم المتحكم في المملكة الفارسية اعترف نفسه وارثاً له فان الاعظم صاحب فارس فلبس اللباس الفارسي واستعمل عادات البلاط الفارسي في الاحتفالات الرسمية واكره قواده ان يركعوا امامه على السنة الفارسية وتزوج بامرأة من بنات الفرس وزوج ثمانين من ضباطه من ثمانين فتاة من بنات اشرافهم واراد ان يوسع مملكته الى اقصى الحدود كما فعل الملوك القدماء وتقدم فاتحاً نحو الهند وهو يقاتل القبائل المحاربة ولما عاد في جيشه الى بابل (٣٢٤) هلك بالحى في بضعة أيام في الثالثة والثلاثين من عمره (٣٢١) مقصد الاسكندر — من المنعذر جداً ان نعرف ما كان يقصد الاسكندر . هل كان يفتح حباً بالفتح ؟ او انه كان له مقصد آخر ؟ وهل كان يريد ان يجعل جميع تلك الشعوب شعباً واحداً ومملكة واحدة ؟ هل اتخذ المناسي الفارسية ليكون مثلاً لغيره ؟ او انه قد

(١) ما عدا مدينة صور الفينيقية حصية اليونان لاسباب تجارية

الخاقان الاعظم صلفاً واعمجاباً ؟ اننا لم نقف على نيانه الا ان اعماله كانت لها نتائج عظيمة
ولقد أسس سبعين مدينة وعدة مدائن في مصر كالاسكندرية وفي بلاد التتر حتى
بلاد الهند ووزع على رعاياه الكنوز التي وجدها في خزائن الخاقان الاعظم وكانت مطروحة
فيها لا ينتفع بها واخذ معه علماء يونانيين لدرس نباتات آسيا وحيواناتها وجغرافيتها وهياً
الملكات في الشعوب الآسيوية الى تعلم لغة اليونان والتخلق باخلاقهم ولذلك اطلق على
الاسكندر لقب الكبير

تأسيس الممالك اليونانية

الاسكندرية — المتحف — ممالك آسيا — التمدن اليوناني في الشرق
خراب مملكة الاسكندرية — جمع الاسكندر تحت علم واحد جميع بلاد العالم القديم
من بحر الادرياتيك الى نهر الاندوس ومن مصر الى القافقاس . ولم يدم هذا الملك العظيم
الا بدوامه فلما هلك اختلف قواده فبين يولي الملك بعده وحارب بعضهم بعضاً مدة عشرين
سنة واتخذوا باديء بدء حجة لحرورهم بانهم يتقاتلون لمعاذة احد أسرة الاسكندر كاخيه
وابنه وامه واحوته او احدي زوجاته ثم نقاتلوا علناً باسمهم وتوطيداً لدعائم الملك لسلطانهم
فكان لكل واحد منهم جزء من الجيش المكدرني او جنود يونان ما أجورون فكان اليونانيون
يتقاتلون فبين يستأثر بآسيا ويحكم عليها والناس ينظرون اليهم غير محتفلين بما يأتون كما لو كان
اليونان يقاتلون الفرس اعداءهم

ولما وضعت الحرب اوزارها لم يبق الا ثلاثة قواد وقد هياً له كل منهم مملكة واسعة
مما خلفه الاسكندر فحكم بطليموس مصر وسلوقس سورية وليزيماك مكدونية وكانت انفصلت
بعض الممالك الصغرى او احدثت بالفصل عنها مثل ابير في اوروبا ومثل بون وبيتي
وعالاسيا وكابادوس وبرغام في آسيا ومثل مقاطعتي باكتريان وبارسيا من بلاد الفرس
وبذلك تم تقسيم مملكة الاسكندر

التمدن اليوناني في الشرق — كان الملك من اناء اليونان في هذه الممالك الجديدة وقد
اعتاد ان يتكلم باليونانية ويتعبد بالارباب اليونان ويعيش عيش اليونان ويحافظ على لغته
ودينه وعاداته . رعاياه من الآسيويين أي من البرابرة وهو يحاول ان يجعل له حاشية من
جنسه ويجند جنوده من أبناء يونان بالاجرة ويتخذ موظفين يونان لادارة البلاد ويجلب
الى عاصمته شعراء وعلماء وارباب فنون من اليونانيين

وكان في البلاد علي عهد ملوك الفرس كثير من اليونان والطواريء والتجار ولا سيما
من الاجناد فاكثر ملوك اليونان من جلبهم وانتشروا في جميع اطراف آسيا وكثر سوادهم

حتى انتهت الحال بالوطنيين ان يلبسوا اللباس اليوناني وينتحلوا الديانة اليونانية والاخلاق اليونانية بل واللغة اليونانية ولم يعد الشرق آسياوياً بل اصبح يونانيا حتى ان الرومانيين لم يحدوا في آسيا في القرن الاول الا شعوباً يشبهون اليونان ويتكلمون باللغة اليونانية باسمهم (١) الاسكندرية — لقب ملوك اليونان في مصر وهم خلفاء بطليموس بلقب الفراعنة على نحو ما كان بلقب ملوكها الاقدمون ولبسوا التاج ودعوا الناس الى عبادتهم باسم ابناء الشمس ولكنهم كانوا محاطين باليونانيين واقاموا عاصمتهم على ساطيء البحر في مدينة يونانية وهي الاسكندرية . تلك المدينة الجديدة التي اُسِّدَّت بأمر الاسكندر

بُنيت الاسكندرية على سطح مستوفكات ذات نظام أكثر من غيرها من المدن اليونانية وكانت الشوارع تنقسم الى زاوية قائمة ويتقها من وسطها الشارع الاعظم وعرضه ثلاثون متراً وطوله ستة كيلومترات وعلى جانبيها ابنية عظيمة مثل بناء استاد حيث كانت تقام الالعاب العامة والجناز والمتحف والارسيوم

وكان المرفأموءلفاً من سد طوله الف وتلثمائة متر يصل بين اليابسة وجزيرة فاروس وفي طرف هذه الجزيرة أُقيم برج من الرحام جعل في قننه مكان يبعت منه ضوء على الدوام لتسير به السفن التي تريد دخول المرفأء ومن هناك جاء اسم المنارة . فقامت الاسكندرية مقام المدن الفينيقية وغدت المينا العظمى للتجارة في العالم اسره .

المتحف — كان المتحف بناءً عظيماً من الرحام متصلاً بقصر الملك وقد اراد ملوك مصر ان يجعلوه معهداً علمياً عظيماً . وفيه مكنبه عظيمة (٢) وكان لرئيس القوام عليها ان يبتاع جميع ما يتسى له الظفره من الكذب فكل كتاب يدخل مصر يحمل الى المكتبة والنساح ينقلون المخطوطات ويرجعون نسخة لصاحبها مع التعويض ثابه واتصلت الحال بان جمع على هذا النحو عدد من المجلدات لم يسمع تسله (وهو اربعمائة الف مجلد كما قيل) وكانت الكذب المخطوطة لكبار المؤلفين الى ذلك العهد مبعثرة متستنة وعرضة لخطر الضياع فاصبحت يعرف لها مقر يرجع اليه .

وكان في المتحف ايضاً حديقة للنبات والحيوان ومرصد فلكي وقاعة للتشريح اقيمت على الرعم من اوهام المصريين كما أُقيم معمل كيمياوي (كان الملك بطليموس فيلادلف يخشى كثيراً

(١) كتبت الاناجيل واعمال الرسل في آسيا الصغرى باللغة اليونانية

(٢) حرقَت مكتبة المتحف في حلال حصار قيصر لمدينة الاسكندرية ولكن كان لها

فرع جعل في السرايوم وفيه على ما يقال ثلثمائة الف مجلد . وقيل ان هذه المكتبة الثانية حرقها المسلمون في القرن السابع ولكن الظاهر انها فقدت من قبل (قاله المؤلف)

من الموت ففضى بضع سنين في البحث عن اكسير لاطالة الحياة) وكان في المتحف العسكري مساكن للعلماء والرياضيين والفلكيين والاطباء والنحويين ويقدم لهم عداؤهم على نفقة الحكومة وكنيراً ما كان الملك يتناول الطعام معهم دليلاً على احترامه لهم وكانوا يقضون اوقاتهم في المحاورة والمطالعة ويحییء الناس من جميع بلاد يونان ليستمعوا لما يلقون وكان التيارات يبعث بهم آناؤهم الى الاسكندرية لينعلموا . ويقال انه كان فيها نحو ١٢ الفاً من الطلاب .

ومن كان المتحف مكتبة ومجماً علمياً ومدرسة في آر واحد فهو اشبه بمدرسة جامعة وهذا الوضع الذي هو عام بيننا مألوف كان على ذلك العهد من الاوضاع الحديدية التي لم يسبق لها نظير . ولقد اصححت الاسكندرية بفضل متحفها مقصد جميع المتسارفة من يونان ومصريين واسرائيليين وسوريين يحمل اليها كل مههم دينه وفلسفته وعلمه ويحتنط بعضهم بعض فعدت الاسكندرية ادراك وطائت قروناً كثيرة عاصمة العلم والفاسفة في العالم رعامه - كانت رعامه في آسيا الوسطى من المائات الصغرى ولم تعد لها سطوة بيدان عاصمها رعامه كانت كلاسكندرية مدينة ارباب الصانع والادب وانساً نفاسو رعامه في القرن الثالث قبل الميلاد مدرسة مشهورة (١)

وقد ملكت رعامه كما ملكت الاسكندرية مكتبة كبرى جمع اليها الملك اتال انكسب المخطوطة لقدماء المؤلفين وفي رعامه احترعت اكنانة على الجلود للاسنعاضة عن ورق البردي وكان هذا الورق الحديد ورى رعامه هو الورق الذي حفظت به المخطوطات القديمة

الحروب الاخيرة في يونان

العصانات - المتحج

الحروب الاهلية - كانت بأيدي بضع أسرات غنية من اليونانيين في جميع المدن اليونانية على التقريب جميع الاعمال والمعامل الصاعية والسفن التجارية وعامه مصادر الرمح وموارد العيش اما سائر الاسرت اي السواد الاعظم (٢) فلم يكن لهم ارض ولا مال (١) اتصل بنا بعض التمايل التي استصعبها الملك اتال دكرى لانتصاره على العالبيين في آسيا المعروفين بالعلاسيين

(٢) لم يكن في جميع المدن اليونانية تقريباً طبقة وسطى تشبه الطبقة الوسطى في اورونا وبذلك كانت تعد آثينة بما فيها من ١٣ الفاً من ارباب الاملاك من الشواذ النادرة وكانت من المدن التي قلت فيها الثورات

وماذا كان الوطني الفقير يعمل ليكسب رزقه ؟ لم يكن له الا ان يؤجر نفسه زراعاً او عاملاً او ملاحاً . بيد ان عبيد ارباب الثروة في مصانعهم ومعاملهم وسفنهم كانوا يقومون بهذه الاعمال ولا يكلفون للاتفاق عليهم غير شيء زهيد بالنسبة للنفقات التي كان على السادة ان ينفقوها اذا استخدموا الاحرار في اعمالهم لانهم كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً عليظاً ولا يؤثرون اليهم اجوراً . تم انه من الصعب على الفقير ان يعمل لحسابه لندرة الدراهم ولم تكن الفائدة اقل من عشرة في المئة وهيئات ان يقرضه انسان مايعوزه

على ان العادة لم تكن تسمح للوطني ان يتعاطى الصنائع لان الفلاسفة كانوا يقولون بانها تفسد الجسم وتضعف النفس ولا تترك في وقت صاحبها متسعاً للنظر في الشؤون العامة ولذلك قال ارسطو ان المدينة الحسنة النظام لا يجب عليها ان تعد الصانع فيها وطنياً . فكانت من الوطنيين في يونان طبقة ترفيفة ترى كما كان يرى الاشراف في فرنسا قديماً ان لها الحق ان تحكم وتحارب وفي ذلك ترفها اما تعاطيها الاعمال بايديها فيعد ثنازلاً واتضاعاً ومن اجل هذا حالف البؤس معظم الوطنيين كما كانوا عرصة له من منافسة العبيد في اعمال الحياة وما وقر في نفوسهم من شروط الترف والنهاة محكم الفقراء المدن ولم تكن اسباب عيشتهم متوفرة وحظر لهم ان يسلبوا الاغنياء فألف هؤلاء شركات منهم لمقاومة اولئك وعند ذلك انقسمت كل مملكة يونانية الى قسمين الاعمياء ويدعون « الاقلية » والفقراء ويدعون « الاكثرية » او الشعب . وبدأ الاغنياء والفقراء يتباعضون ويتقاتلون فاذا صار الحكم للاغنياء يطردون الاغنياء ويصادرون اموالهم وربما اتخذوا واسطتين بالفتين في التطرف وهما العاه الديون ونقسم الاراضي من جديد . فاذا عادت السلطة للاغنياء يطردون الفقراء وكانوا يتعاهدون بينهم في كثير من المدن قائلين : « اقسم باي اظلم ابدأ معاديا للشعب واؤذيه ما استطعت » ولم يكن تمت من سبيل الى التوفيق بين الفريقين فلا الاغنياء يستطيعون ان يستسلموا للتخلي عن ثروتهم ولا الفقراء يرضون بان يموتوا جوعاً . قال ارسطو « ان الثورات تنشأ من سبب تقسيم الثروات » . ويقول بوليب « ان كل حرب اهلية تنشأ فهي لنقل الثروات من يد الى اخرى » .

ومن تم كان الفريقان يقتتلان اتد قتال على محوما يحدث ابداً بين الجيران فنظف الفقراء باديء بدء في ميلت واكرهوا الاغنياء على الحرب من المدينة تم اسفوا لانهم لم يذبحوهم فاحذوا اولادهم وجمعوهم في الانابير تحت ارجل البقر ودخل الاغنياء المدينة فاصبحوا اصحابها الحاكمين فيها واخذوا هم ايضاً ابناء الفقراء وزفنوهم (دهنوهم بالزفت) واحرقوهم احياء .

الحكم الجمهوري والحكم الافرادى — كان لكل من الاغنياء والفقراء شكل خاص في الاحكام يجرونها في المدينة عند ما يقوى احد الفريقين . فكانت حكومة الاغنياء من نوع الحكم الافرادى (اوليكارشي) تعهد بالاحكام الى بعض افرادها اما حكم الفقراء فكان حكمهم ديمقراطياً يكون حكمهم الى مجلس الامة وكل واحد من الفريقين ينفق مع الفريق المائل له في المدن الاخرى وبذلك تألفت عصابتان تقاسمتا بينهما جميع المدن اليونانية : عصاة الاغنياء او الحكم الافرادى وعصاة الفقراء او الحكم الجمهورى . وبدأت هذه الطريقة في الحكم خلال حرب المورة فكانت آئنة تعصد الحزب الديمقراطى واسبارطة تماليء الحكم الافرادى فاتحدت المدن التي كان فيها سلطة للفقراء مع آئنة كما اتحدت المدن التي تسلط عليها الاغنياء مع اسبارطة .

واقدمت الحروب الاهلية بين الاغنياء والفقراء نحو ثلاثة قرون (من ٤٣٠ الى ١٥٠) ذبح في حلالها كثير من ابناء البلاد وطرد منهم عدد اكثر من ذلك فاحذوا بهيمون في اطراف الارض على وجوههم لا مورد لهم يعيشون منه ولا يعرفون الا صناعة واحدة وهي الجندية فيسخرطون متطوعين في الجيش الاسبارطى والآتيني وفي جيش الحاقان الاعظم والجيش الفارسى بل وفي كل جيش يدفع اليهم اجورهم فكان من ابناء يونان حمسون الفاً في حدمة دارا عند ما قاتل الاسكندر وهم لا يكادون يعردون الى بلادهم متى خرجوا منها .

العصابات — ضعفت الشعوب التي حكمت على بلاد اليونان واسبارطة وآئية ونيبية ولم يبق في القرن الثالث من اهل الشدة والبأس غير سكان عربي البلاد فالانيوليون يسكنون الجبال في تماليء حايچ كورنت والآتيون النازلون في شاطيء المورة في جنوبي هذا الخليج . وقد نظموا احوالهم عصابات لا مدناً واحتفظت كل مدينة بحكومتها وكانت لها كلها مجلس للعصاة يقرر فيه الحرب واليهود ويفرض الحند الذي تقدمه وينتخب القائد الذي يقصى عليه ان يقود جيش العصاة .

فانقسمت المدن اليونانية بين هاتين العصابتين المتعادتين . ومن العادة ان تعصد العصاة الايتولية الحرب الديمقراطى والعصاة الآتية الحرب الاوليكرتية . وقد رأس العصاة الآتية صابطان شهيران احدهما ارتوس في القرن الثالث وهو الذي طاف بلاد اليونان سبعمائة وعشرين سنة (٢٥١ — ٢٢٤) طارداً الظالمين من جميع المدن آخذاً بيد الاغنياء معيداً اليهم اموالهم ومقلدهم حكم البلاد والقائد الثاني فيلو يان في القرن الثاني وقاتل الظالمين في اسبارطة فقتله المسينيون .

احلاف الرومانيين - لم يكن احد من تينك العصابتين من القوة بحيث يجمع جميع المدن اليونانية وعندئذ ظهر الرومان محاربهم من ملوك اليونان فيليب ملك مكدونية (١٩٧) تم ملك سورية الطيوخس (١٩٣ - ١٦٩) فنكست اعلامها كليهما ودمرت رومية جيوشها واستولت على اساطيلها وقاتلت « برسي » ملك مكدونية الجديد وأسرتة وحرقت مملكته (١٦٧) .

ولم يحاول اليونان قط ان يجمعوا للدفاع عن انفسهم وظل فقراؤهم واعنيائهم يقتتلون وكل حرب يمقت الحرب المعادي له اكثر من بعضه الغريب وتحالف الحزب الديمقراطي مع ملك مكدونية ودعا الحرب الاوليكراتي للرومانيين . وبينما البيبيون من الديمقراطيين يقتاتلون في جيش فيليب كان مواطنوهم من الاوليكراتيين يفتحون ابواب المدينة للفائد الروماني وقد حكم بالاعدام في رودس على كل من قاموا او تكلموا بما يحالف رضى رومية كتب كاليكرات احد اشياخ الرومانيين من الآتيين قائمة بال وطني اتهمهم انهم كانوا يسيرون للبرسي فارسلوا الى رومية وأمسكوا فيها عشرين سنة بدون ان يحاكموا القتل - لم يطهر الرومانيون اولا في مطهر الاعدام وقد ذهب القمص فلامايبوس سنة ١٩٧ بعد ان علم ملك مكدونية الى ررح كورنت واسلم امام اليونانيين المحتسعين للالاعاب البرزخية بان جميع الشعوب اليونانية حرة وطارب الحزب ر لقوله واقربوا منه ليتركوه يريدون ان يسلموا عليه وهو محررهم وان يروا صورته ولبسوا يده ويلقوا عليه اكاليل النصر واقات الزهور فازدحم الناس عليه حتى كاد يخنق .

ولم يلبث الرومانيون ان اصبحوا سادة محدهم انفسهم بان يقودوا الملاد فاطاعهم الاغنياء عن رضى لان رومية كانت لهم واسطة للخلاص من حرب الفقراء ودامت هذه الحال اربعين سنة . وما شعلت رومية بقرضه سنة ١٢٧ اعادت للحزب الديمقراطي حياته في بلاد اليونان فاعان الحرب على الرومانيين فذعر لذلك فريق من اليونانيين وتقدم كسيرون الى الحمد الروماني ووتسوا اليهم براطبيهم بل وتسوا بانفسهم وبعضهم فرما الى اتاعي المدن وآخرون القوا بانفسهم في الآبار او الهوات وصاد رعياء المتأوهين اموال الاغنياء واغوا الديون واعطوا سلاحا للعيد وكان الجهاد شديدا واد غلب الآسيون للمرة الاولى عادوا فشدوا جيشا وساروا الى القتال مستصحبين نساءهم واولادهم وحبس القائد ديوس نفسه وجميع عياله في بيته والتي فيه النار .

وكانت كورنت مركز المقاومة فدخلها الرومانيون وذبحوا الرجال وباعوا النساء والاولاد

(١٤٦) ونهبت المدينة وحرقت وكانت مملوءة بالنفائس وكنت ترى صور كبار المصورين مطروحة في الغبار والجند الروماني مستلقياً فوقها يلعب بالنرد اه .

الرومان

وصف ايطاليا

شعوبها القديمة — سكنت ايطاليا عدة اجناس من الامم لم يتحدوا في عاداتهم ولغاتهم فكان يعتبر السهل العظيم الشمالي بين جبال الالب والابنين جزءاً من ايطاليا وهناك نزل شعوب من الغالين اتوها من الشمال . فكان الاتروسكيون ينزلون في البلاد الواقعة بين جبال الابنين والبحر (هو اقليم توسكانيا) الى مهر التيبر وفي جنوبه ينزل اللاتين . ولقد سكنت قبائل كثيرة في جبال الابنين الوعرة وراى السهول الرومانية في الشرق والجنوب ولم تدع كل هذه الشعوب اسم واحد ولم تؤلف امة واحدة بل كانت تنقسم الى اومبريين وصابنيين ومولسكيين وايكين وهركيين ومارسيين وسامنيين واكنهه يكادون كلهم يتكلمون بلغة واحدة ويعبدون اربانا واحدة ولهم عادات واحدة . يتكلمون كالفرس واليهود واليونان بلغة آريه وابعدهم وراء جبالهم عن الاحتلاط بغيرهم احفظوا عاداتهم القديمة وعاشوا عصابات مع قطعانهم مستئين في الخلاء ولم يكن لهم مدن ولا حواضر بل كانوا يلجؤون زمان الحرب الى حصون أقمت في الجبال وقد عرفوا بالتجارة والقتال وبسلامة الاخلاق ومثابرتها وكان منهم بعد حين اعظم قوة للجيش الروماني وفي امثالهم " من يستطيع ان يغلب على المارسيين او ان يغلب عليهم " .

حاء في احدى اساطيرهم ان الصابنيين رلهم حطب فادح فاعنقدوا ان الارباب ساحطون عليهم فعقدوا العزم على ان يسكنوا عضيها وان يقدموا ضحية الى رب الحرب والموت كل من يولدون من الاولاد في احدى فصول الربيع . ودعيت الضحية " الربيع المنذور " فاصبح جميع الاطفال الذين وضعهم أمهاتهم تلك السنة ملكاً للرب حتى اذا بلغوا سن الرحال عادروا البلاد وبعدها عنها الى القاصيه وتألفوا عصابات فاحترت كل عصابة احد حيوانات ايطاليا المقدسة دليلاً من مثل الصرد والذئب والتور وهي تتبعه كأنها تتبع مرسلاً من الرب وحيثما وقف الحيوان نزل العصابة وتخذة موطنها لها . وقيل ان عدة شعوب من ايطاليا كان اصلها من تلك الأسرات من النازحين وما زالت محافظة على اسم الحيوان الذي كان اجدادها اتبعوا آثاره في القدم وذلك مثل المربيذيين (شعب الذئب) والبيسانثيين (شعب الصرد) والسامنيين وكانت عاصمتهم تسمى بوفيانوم أي مدينة البقرة .

السامنتيون — كان السامنتيون من اقدر تلك الشعوب وقد سكنوا في اقليم الابروز وهو معصى حقيقي فينزلون الى السهول المخصبة في نابلي وبويل وينهبون المدن الاتروسكية والمدن اليونانية . جاهدوا قرنين في الرومانيين فكانوا كل مرة يردون على اعقابهم خاسرين اذ لم يكن لهم موطن ولا نظام تم يعاودون القتال . وكان جهادهم الاخير شديداً . واقد اتى شيخ الى زعماء الجيش بكتاب مقدس كتب على نسج من الكتان فاقاموا داخل المعسكر سوراً من نسج الكتان وجعلوا في وسطه مذبحاً والحند واقفين من حوله شاهرين سيوفهم ويدخل اشجع اشجار بين الى السور وتؤخذ عليهم العهود ان لا يهربوا من الرحف امام العدو وان يقتلوا المنهزمين فاخذ من اقساموا الايمان المغلظة وكانوا ستة عشر الفاً البسة من الكتان فنألفت منهم (كتيبة الكتان) وترعت في القتال فقتلت عن آخرها .

يونان ايطاليا — سكن ايطاليا الجنوبية طواري من اليونانيين كما سكن بعضهم مدينة سيبارس وكرتون وتارانت وقوي فيها امرهم وكثر سوادهم . بيد ان اليونانيين لم يلقوا بانفسهم قط الى الوقوع في التهلكة اذ لم يقصدوا رومية خوفاً من الاتروسكيين وما عدا مدينة كومس فان المستعمرين من اناء يونان كانت لهم الى الترن الثالث صلات قليلة مع الرومانيين . الاتروسكيون — أطلق اسم الاتروسكيين على اقليم توسكانيا فسمي تروسكي وهو اقليم حار رطب مخضب للغاية . وظلت حال الاتروسكيين الى الآن طليماً من الطلاس لم نمكهم فهم لم يكونوا يشبهون جيرانهم ولا يعلمون اين اتوا بل اننا لا نعرف اللغة التي يتكلمون بها الا ان اجديتهم تنبه احدى اليونان ونكس الآبار التي عرفت عن هذا الشعب قصيرة لا تمكن معها من استنبات لغتهم .

كان الاتروسكيون يحسنون استخدام ارضهم في الزراعة على انهم عرفوا الحارة والتجارة ايضاً وكانوا يذهبون كالفينيقيين الى البلاد القاصية للبحث عن عاج الهند وسبر البلطيق وعن القصدير والارجوان الفينيقي والحلي المنيكية المكتوب على احروف هيروغليفية وعن بيض النعام . وانك لتجد من جميع هذه الاشياء في قبورهم . وكانت سفنهم تنقدم نحو الجنوب حتى جزيرة صقلية . وقد كان اليونان يكرهونهم ويدعونهم (الديرينيين المتوحشين) او القرصان الاتروسكيين . وكل بحار في تلك العصور ساعدته الاحوال يأتي منه قرصان بحر فكان من مصلحة الاتروسكيين حاصه ان يردوا التجارة اليونان ويصدونهم ليخلوا لهم الجو في الساطي والغربي من ايطاليا ويستأثروا بتجارته . ولم يبقوا من آثارهم الا جوائط حصينة وقبوراً . وعند ما يفتح قبر احد الاتروسكيين تشاهد وراء باب ذي عمدة غرفة فارغة . وقد امتدت عليها جنت وحواليها حلي من الذهب والعاج والعنبر واقمشة الارجوان وفرش واوان كبيرة

منقوشة اما الجدران فيرسمون عليها صور حروب والعبابا وولاتم ومشاهد غريبة .
وان ما استخرج من القبور بالالوف من الاواني الاتروسكية فازدانت به متاحفنا
وصنع على مثال الاواني اليونانية هو من صنع الاتروسكيين انفسهم وفيها متاهد ميتولوجية
يونانية ولا سيما صور الحروب التي جرت حول طروادة والاشخاص نائثة حمراء على صفيح اسود
وقد أسس الاتروسكيون في طوسكانيا اثني عشرة مدينة ولكل منها ملكها وحكومتها وكان
لهم من الجانبين مستعمرات فلم اثنا عشرة مستعمرة في اقليم كامبانيا في جوار نابولي واثنا
عشرة في سهل بو .

ديانهم — اعتقد الاتروسكيون بارباب جبارين وربما كانوا اشرارا وارقي اولئك
الارباب الارباب المستورون المجهول امرهم ثم يحيى بعدهم الارباب الذين يرسلون
الصاعقة وعددهم اثنا عشر رناً يؤلفون مجلساً لهم ويعتقدون انه يقيم تحت الارض في
مدافن الاموات ارباب متائم وكثيراً ما كانوا يملون صورهم على اوان من صنع ايديهم
فيملون ملك الجحيم المدعو ماتوس في صورة جبار منحج جالس وتاج على رأسه ومتعل بيده
كما يملون شياطين آحرين مسلحين سيف او مطرقة والحيات يقبضون عليها بايديهم وهم
يتلقون ارواح الموتى واهمهم الشيطان شارون المعروف عند اليونان بهذا الاسم ايضاً وقد
تحيلوه على صورة شيخ ذي هيئة قبيحة يحمل مطرقة ثقيلة ليضرب بها صحاياه . ويعتقدون
ان ارواح الموتى وتسمى « المان » تخرج بلاتة ايام في السنة من مقرها في عالم الظلمات
وتطوف الارض تروغ الاحياء وتؤديهم فيقدم لهم الاتروسكيون ضحايا بتسرية تسكيناً
لغصبتهم لانهم يحبون الدم . وكانت معارك المصارعين المشهورة التي اصطلح عليها الرومان ضحايا
دموية اكراماً للميت في اصل نساتها وكان للعرافين الاتروسكيين الذين دعوا بالهاروسيسييين
او اهل الفأل قواعد يجرون عليها للتنبوء عن المستقبل فيرصدون احتساء الصحايا كما يرصدون
الصاعقة وطيران الطير فيقف العراف ويدبر وجهه نحو الشمال ماسكاً بيده عصا معقوفة
ويحط خطا بقطع به السماء شطرين فسطر الترق وهو على اليمين يكون فال خير وسطر الشمال
يكون فال شر (١) ثم بقطع السطر الاول على قطع الصليب ويؤلف خطوطاً متوازية يكون
منها في السماء شكل مربع يدعونه المعبد فيرمي العراف بصره الى الطيور التي تمر في ذلك المربع
فبعضها كالنسر علامة خير واخرى كالبلومة طالع شؤم .

واقدم نبتاً الاتروسكيون عن مسنقيلهم انفسهم فهم الشعب الوحيد من بين الشعوب

(١) هذا اشبه بالسائح والبارح عند العرب ولعلها اخذته عن الرومان نقول العرب :

من لي بالسائح بعد البارح اي بالمبارك بعد الشؤم قال ابو عبدة سأل يونس رؤبة وانا شاهد

القديمة الذي لم يعتقد بانه خالد وكانوا يقولون ان بلادهم يدوم امرها عشرة قرون . وهذه القرون لم يكن كل واحد منها مؤلفاً من مئة سنة ولا تعين مدة القرن الا بعد ان يجري له فال . ففي سنة ٤٤ وهي سنة وفاة قيصر ظهر في السماء نجم مذنب فقال احد العرافين من الاتروسكيين في رومية في جمع من الامة ان هذا النجم يشير الى نهاية القرن التاسع وابتداء القرن العاشر وهو آخر قرن يستقيم فيه امر الاتروسكيين .

نفوذ الاتروسكيين — كان الرومان امة نصف متوحشة فاقتدوا كثيراً بالاتروسكيين وهم اكثر منهم تمدناً واخذوا عنهم بعض المصطلحات الدينية خاصة مثل البسة الكهنة والحكام والشعائر الدينية وعلم معرفة الغيب وزجر الطيور وعند ما كان الرومانيون يؤسسون مدينة يجرون على شعائر الاتروسكيين فيحط المؤسس لها بالمحرات سوراً مربعاً وللمحرات سكة من النحاس يجرها نور ابيض وبقرة بيضاء فيتبع الداس المؤسس ويلقون بزبد العناية جميع مدر الارض من ناحية السور وتصبح كل الهوة التي يشقها المحرات مقدسة لا يستطيع احد ان يتعداها للدخول في السور ولذلك اقتضى ان يقطع المؤسس تلك الانلام او الهوى المقدسة من عدة مواقع فكل مكان بخطاه المحرات يشق فيه باب وكل فرحة لم يمسها السكة تبقى غير مقدسة وتكون باناً يسوع منه الدحول . ولقد أسست رومية بحسب هذه المراسيم الدينية وكانت تسمى رومية المربعة ويقولون ان مؤسسها قبل احاء عقابا له عن تجاوز السور المقدس الذي حطه تم جرى الاصطلاح ان تحطط اسوار المسنعمرات والمعسكرات الرومانية بل وحدود المساكن بحسب هذه القوائد الدينية ونخطوط اصص عندسيه . وكان دين الرومانيين من اصل اتروسكي فقلوه الى ارجاء العالم القديم بأسره ولذلك حق لآباء الكنيسة ان تسمى بلاد الاتروسكيين « ام الحرافات »

اللاتينيون — رل اللاتينيون في بلاد الآكام والسحاب الواقعة جنوبي نهر النيبير وهي يطلق عليها اليوم اسم رية رومية وكانوا قليلاً عددهم ولم تكن مساحة البقعة التي يسكنونها اكثر من ٢٧٠ كيلومتراً مربعاً وكانوا من عنصر واحد كسائر الطليان يشبهوهم باللغة والدين والاحلاق ولكنهم يفوقونهم في التمدن اعرض الشيء يررعون الارض وينوب عن الساحج والبارح فقال الساحج ما ولاك ميامنه والبارح ما ولاك مياسره وقال ابو عمرو الشيباني : ما جاء عن يمينك الى يسارك وهو اذا ولاك جانبه الايسر وهو انيسه فهو ساحج وما جاء عن يسارك الى يمينك ولاك جانبه الايمن وهو وحشيه فهو بارح قال ابن بري العرب تختلف في العيافة يعني في التيمن بالساحج والتساؤم بالبارح فاهل نجد يتيمنون بالساحج (المترجم)

المدن الحصينة وينقسمون الى شعوب صغيرة مستقلة ولكل شعب ارضه الخاصة به ومدينته وحكومته وتدعى تلك المملكة الصغيرة مدينة .

واقدمت ثلاثون مدينة لاتينية فالقت منها مجتمعاً دينياً يشبه مجتمع الاممكتيون اليوناني واخذوا كل عام يحتفلون احتفالاً عاماً بعيد لهم وندب كل مدينة عنها من يمثلها في مدينة الب فيذخون بوراً صحية للرب المشترك بينهم وهو كوكب المشتري الازتي .

رومية الاصلية

رومية - على تحوم قطر اللاسيوم من ناحية بلاد الايتروسكيين يمتد سهل ذو بطائح تحمله آكامات وتنامت هناك على صفة هيرالتيبر أنشئت مدينة رومية مقر الشعب الروماني المنفرد في الحلاء . ولقد كانت الحميات لثبات تلك البلاد وحالتها من الكآبة والبؤس على جانب ولكن كان موقعها حميلاً وهرالتيبر بمتابة هوة قائمة في وحه الايتروسكيين كما كانت تلك الآكام كالحصون وبين تلك المدينة والبحر سنة اميال وهو بعد لا يكاد يحياها من سطوة قرصار البحر وبقربها قليلاً من ناول البصائع الواردة عليها . وكان مرماً اوستي عمد مصباً هيرالتيبر حياً من احياء رومية كبير مثل بيرة مرماً آتية . فهو موقع رومية كان والحالة هذه مناسباً لحال امة حربية تجارية .

تأسيس رومية - لا تعرف من حال القرون الاولي لرومية غير اساطير . والرومانيون انفسهم لم يعرفوا عنها شيئاً مثلنا . وقد ادعوا ان رومية كانت لاول امرها مدينة صغيرة مربعة المساحة قائمة كلها على رابية «بالاتين» ويدعى مؤسسها رومولوس وهو الذي اختط سورها محرات مراعيها في تخطيطها التعاثر الايتروسكية . وكان الرومانيون يحتفلون كل سنة يوم ٢١ اربل (نيسان) بعيد هذه المدينة فيطوفون حول سورها الاصيلي فيدق احد الكهنة مسامراً في بعض المعابد تذكراً للحفلة . وكان يُقدّر ان الاحتفال بتأسيس تلك المدينة قد وقع في سنة ٧٥٤ قبل المسيح .

أشئت على الروابي الاخرى قبالة جبل بالاتين عدة مدن صفرى وبرت عصابة من سكان الجبال من السابنيين في معبد الكايتول كما حلت عصابة اخرى من متشردى الايتروسكيين في جبل «سليوس» وربما كان تمت ايضاً شعوب اخرى . وانتهت الحال بجميع اولئك الجماعات الصغيرة ان يجتمعوا في مدينة رومية الواقعة على رابية بالاتين تم التي سور حديد احاط بالسيبع اكامات . اما ساحة المريح حيث يقف الجيس فكانت ممتدة الى هيرالتيبر من الساطي الاخر من النهر خارج السور فكان الكاتول في رومية مثل الاكروبول في آثينة . ولقد قامت على هذا الصخر معابد الارباب الثلاثة حامية المدينة وهي المشتري

وجوبون ومبيرفا وهنالك التلعة التي حوت حزانة الحكومة وسجلات الامة . وفي اساطيرهم انهم عثروا عند ما حفروا أسس المدينة على رأس رجل قطع حديثاً فكان هذا الرأس فألاً حسناً اولوه بان رومية سنغدو رأس العالم .

ثقاليدها أن الملوك وانتاء الجمهورية - جاء في هذه الثقاليده انه حكم رومية ملوك مدة قرنين ونصف ولم تذكر فيها اسماؤهم وتاريخ وفياتهم بل ذكرت تراجمهم وقيل اهم كانوا سبعة ملوك حرج الال وهو رومولوس من مدينة آلب اللاتينية فاستأمد مدينة الالين وقتل احاه الذي ارتكب محرماً بان قفر من فوق حدق سور المدينة ثم حالف احد ملوك الالبيين المدعو تاتيوس . وفي تقليد آحراه انتأ في سنخ المدينة حياً محاطاً بسياج حتر اليه جميع المتسردين الذين احبوا الانصمام اليه .

اما الملك الثاني وهو نوما نومبيليوس فقد كان ساسياً وهو الذي رتب الديانة الرومانية آحذاً برأي احدي الرباب « ايجري » التي كانت تسكن في عانة . وكان الملك الثالث المدعو تولوس مارتوس حفيد نوما الموما اليه بنى حسراً من حشب على نهر التيبر وانتأ جسر اوستي وعليها كانت تمر تجارة رومية منذ ذلك الحين . وكان الملوك الثلاثة الآحرون من الاليتروسكيين وحدث من امر تاركين النديم ان وسع انملكة الرومانية وادخل الاحتمالات الدينية السائعة في بلاد ايتروريا والاليتروسكيين . ونظم سرفيوس تويوس الميوس الروماني بان ادخل فيه جميع اهل البلاد بدون تمييز في موالدهم واعمارهم ووزعهم مئآت مئآت بحسب تروتهم . اما الملك الاحير المدعو تاركين الباهر فقد ظلم الاسرات الكدرى في رومية فتممر عليه بعض الاتراف ووقفوا الى طرده .

ومذ ذلك العهد (٥١٠) لم يملك على الرومانيين ملك فكانت البلاد الرومانية او كما يقال الملك العام يحكم عليها كما كان يجتاران كل سنة ويسميان « القناصل » . وليس من الممكن ان نعلم ما في هذا التقليد من الحقيقة لانه انتأ قبل ان يبدأ الرومان في وصف تاريخهم برمن طويل وفي هذا التقليد من الاساطير ما لا يسعنا قبوله برمته . وقد حاول بعضهم ان يفسر اسماؤ هؤلاء الملوك ويستدل منها بانها رمز الى جنس او الى طبقة خاصة كما حاول بعضهم ان يستبيء تاريخ رومية في عهده الاول على ضروب من الصور ولكن كلما بُذلت العناية للنظر فيه صعب الاتفاق بين المشتغلين في ذلك على تقرير امر وكثر الخلاف بينهم .

وصف ترتيبات الرومانيين على سبيل الايجاز - كان في رومية نحو القرن الخامس بل المسبح طبقان من الناس وهما الباترسين والبلبين (اي الاشراف والعامه) فكان

البارسيون من اسل قدماء الأسرات المقيمة منذ القدم في البقعة الصيقة في ظاهر مدينة رومية وكان لهم وحدهم الحق ان يطهروا في مجمع الامة وان يحضروا الحفلات الدينية وان توسد اليهم الوظائف . ويعتقدون ان احداهم اسسوا المملكة الرومانية او كما كان يقال المدينة الرومانية واوصوا بها لهم فكانوا هم من تم الشعب الاصلي في رومية اما البلبين فهم من نسل العرباء النازلين في المدينة ولا سيما من العلويين من سكان المدن المجاورة اذ ان رومية احضت بالندريج جميع المدن اللاتينية وصمت سكانها اليها بالقوة فاصبحوا رعايا لرومية لكنهم ظلوا عرباء عنها يخضعون لحكومة رومية دون ان يشركوها في شيء . الامر فلا يدينون بالدين الروماني ولا يسوع لهم ان يحضروا الحفلات الدينية ولا ان يتزوجوا من الاسرات الترفيفة وكانوا يدعون بالبلب اي الجمهور ولا ينظر اليهم بانهم حرة من الشعب الروماني . وقد وُجدت في الصلوات القديمة هذه العبارة « لخير الشعب وخبير البلبين في رومية » .

وكان يجتمع اناء البلاد وعليهم اسلحتهم كل سنة خارج المدينة في ساحه الماورات (ساحة المريج) يتخبون زعيمين يطلقون عليهم اقب القضاة او القناصل . وكان هؤلاء القناصل في حلال السنة التي يتوظفون فيها يحكمون رومية ويقودون جيشها ويدهم حياة جميع افراد الامة وموتها . يرافقهم اثنا عشر رجلاً من حملة العووس اشارة لما لهم من السلطة فيحمل كل منهم فأساً وحرمة قضبان للحد المجرمين او ضرب رقابهم . فيجلس القناصل على عادة قدماء الملوك على دكة تشبه العرش وهو كرسي عال من العاج . ويستعاض في اوقات الحروب الخطرة عن القنصلين بحاكم واحد يلقون اليه برام السالطة فيصبح الحاكم المتحكم والامر الناهي وحده ويكون في قبضته الاربعة والعشرون حلالاً ولكن سلطته لا تدوم الا ستة اشهر .

فيجمع القناصل مجلس الشيوخ وهو مؤلف من رؤساء الأسرات وكبار ارباب الاملاك للمفاوضة في المسائل المهمة ويدعى هؤلاء بالآدك ويدعى اسلمهم بالاشراف فكان مجلس الشيوخ يصدر رأيه ويطلقون عليه « رأي الشيوخ » ومن العادة ان يلتزم القناصل امتتاله فكانت من تم رومية محكوماً عليها من القناصل ومجلس الشيوخ في آن واحد .

التراع بين طبقات الشعب - كان العامة واهل الطبقة الوسطى عبارة عن شعبين متباينين سادة ورعية . ومع هذا كان حال اهل الطبقة الوسطى يشبه كثيراً حال الاشراف وهم يخدمون في الجندية مثلهم ويخدمون في الجيش على نفقتهم وينفادون بارواحهم في خدمة الشعب الروماني وهم من اهل الفلح والكرت يعيشون في قرأهم واما كههم وكان كثير

من اهل هذه الطبقة المتوسطة اغنياء، ومن أسرة قديمة والفرق بين الطبقة المتوسطة وبين الاشراف ان الاول كانوا من نسل أسرة عظيمة من بعض المدن اللاتينية المعلومة على حين كان الاشراف من نسل أسرة قديمة من سكان المدينة الغالبة . ولم ترض نفوس اهل الطبقة الوسطى ان تظل ساكنة على ما قضي به عليها من المهانة بل تاربيهم وبين الاشراف نزاع دام قرنين (من نحو ٢٩٣ الى نحو سنة ٥٠٠) واليك كيف بدأ ذلك على نحو ما ورد في اساطيرهم .

رأى اهل الطبقة المتوسطة دات يوم انفسهم مهانة فانتصموا في جبل هناك وعليهم اسلحتهم وعزموا ان يناوئوا الشعب الروماني فحال عزمهم جماعة الاشراف فبعثوا اليهم بالقائد مينيوس اعربيا ليقص عليهم قصة الاعضاء والمعدة فرضيت الطبقة الوسطى بالدخول في الطاعة وعقدت محالمة مع الشعب فمخ رؤساء هذه الطبقة الحق في ان يمدوا يد المساعدة لاهل الطبقة الوسطى للاخذ بايديهم من حيث يحكم الامة ولأجل ان يحولوا دون قيام امر يحالف رعائهم . وقد كان يكفي ان يلطم احدهم قوله « فتو » اي اني اعارض فيتوقف البت في الامر . وقد كان الدين يحظر الانتقاض على المدافع عن حقوق الشعب ومن فعل ذلك استحق العقاب من ارباب الجحيم .

وظل ارباب الطبقة الوسطى آخذين انفسهم بجاهدة حصومهم من اهل الطبقة العالية واد كانوا اعز منهم نفراً واكثر عنى وأيداً انتهت بهم الحال ان ظفروا بهم فتوصلوا اولاً الى وضع قوانين عامة للجميع وان يسمح بالرواح بين اهل الطبقة العالية والطبقة الوسطى وكان اصعب ما في هذا التعبير روع الاستئثار بسلطة الحكم او الذهب فضل الشرف وقد كان الدين يأمره يجب قبل ان يعين رجل حاكماً ان يطلب من الارباب فيما اذا كانت توافق على انتخابه ام لا . فيسألون الارباب عن رأيها في ذلك بزجر الطيور ويسمونه احذ الفأل . يد ان الديانة الرومانية القديمة لم تكن تسمح لباحذ الفأل الاعلى اسم رجل من اهل الطبقة العليا وما كان يحظر في نال القوم بان الارباب يقبلون بحاكم من اهل الطبقة الوسطى . وكان ثمة اسر كبرى من الطبقة الوسطى تحرض على ان تصح مساوية لاسر الاشراف في تولي المناصب كما كانت تساويها في العنى والمكانة فاضطر اهل الطبقة الاولى الى ان تتخلى لها جميع المناصب شيئاً فشيئاً وبدوا يدخلون في مجلس القناصل سنة ٣٦٦ وفي مجلس الحكم ٣٥٥ والقضاء سنة ٣٣٧ والمراقبة سنة ٣٣١ وزعامة الدين الكبرى سنة ٣٢٢ ومن داك العهد امترج الاشراف اهل الطبقة العليا اهل الطبقة الوسطى واصبحوا شعباً واحداً .

الديانة

ارباب الرومان — اعتقد الرومان كاعتقاد اليونان بان كل ما يحدث في هذا العالم

هو مما قضت به ارادة خالق ولكنهم لم يعتقدوا بالله واحديدر العالم بل قالوا بتمدد الارباب
تعدد المطارد المختلفة التي تُجلى فيها اوامرهم ونواهيهم . فهناك رب ينبت البذر و آحر يحمي
حدود الحقول وتالت يحرس التمار . ولكل رب اسمه وجنسه وعمله . واهم الارباب «المتتري»
رب السماء و «جاوس» ذو الرأسين و «المرنج» رب الحرب و «عطارد» رب التجارة
و «فولكان» رب النار و «نبتون» رب البحر و «سريس» رنة الحصاد والارض والقمر
و «جونون» و «منيرفا» .

تم يحيى الارباب من الدرجة الثانية فكانت تُجسد في بعض تلك الارباب صفة من
الصفات كالبناء والاتحاد والراحة والسلام ويشرف بمصها على عمل من اعمال الحياة فعند
ما يولد المولود يأتيه رب يعلمه الذئق و رنة تعلمه الشرب و آحرى تقوى عظامه و رباب
يرافقانه الى المدرسة و آحران يرجعان به وبالجملة فانهم كانوا يعتقدون بوجود جيش من
الارباب من الدرجة الثانية . ويعتقدون بان هناك ارباباً تحمي مدينة وحارة وجبلاً
وعانة . ولكل نهر ولكل نبع ولكل شجرة رب خاص بها حتى لقد قالت امرأة سالحة في
احدى القصص من تأليف ترون الكاتب اللاتيني «ان بلادنا عاصة بالارباب بحيث
يسهل عليك ان تلقى فيها رباً من ان تصادف رحلاً» .

ولم يمثّل الرومانيون كليونان اربابهم على صورة مخصوصة فقد مضى زمن طويل ولم
يكن في رومية صم فكانوا يعبدون «المتتري» في صورة حجر و «مارس» على صورة سيف .
ولم يعتقدوا الا مؤحراً باتحاد الاصنام من الخشب على مثال اصنام الايتروسكيين واصنام
الرحام على مثال اصنام اليونان ولم يتصوروا على العكس في اليونان ان بين الارباب صهراً
واسبياً ولا عروا اليهم قصصاً كما يفعل اليونان مع اربابهم ولا يعرفون لهم جنة يعتقدون فيها
بجالسهم . وكان في اللغة اللاتينية لفظة مشهورة للتعبير عن الارباب وهي «التجليات»
فكانوا يعتقدون انها تجليات قوة الالهية مجبولة . ولذلك لم يصورهم الرومان في صورة من
الصور ولا نسبوا اليهم رحماً ولا صهراً ولا تاريخاً وكل ما كان يعرف عن الارباب
الرومانيين هو ان كل واحد منها يسيطر على قوة من قوى الطبيعة ويستطيع ان يعمل للناس
الخير والشر على ما يحب ويهوى .

العبادة — فلما يحب الروماني اولئك الارباب المجهولين الصفر الباردين . والظاهر
انه كان يخاف منهم فيخياً وحبهم عند ما يتوسل اليهم وربما اتى ذلك لثلا يقع بصره عليهم
ولكنه يذهب الى ان الارباب قادرون وان من يرضيه يخدمونه . قال بلوت (التاسع)
المزلي اللاتيني) ان الرجل الذي يرضى عنه الارباب يكسبونه مالاً . ويعتقد الروماني

بان الدين عبارة عن مقايضة المنافع فيقدم المرء للرب نذوره وقرابينه ويمنحه هذا بعض المنافع فاذا قدم المرء ما يجب تقديمه للرب ولم يظفر بمتمناه يعتبر نفسه فانطاً مخدوعاً . واند قدم الشعب للارباب في خلال مرض القائد جرمانيكوس نذورا لثمن عليه بالتفاء ولما ذاع خبر موته سخط العامة وقلت المذابح والقت في التوارع تتايل الارباب لان هذه لم تعمل . ما كان يرجى منها ان تعمله وهكذا فانا رى الفلاح الايطالي لهدنا هذا يشتم القديس الذي لم يعطه ما طلبه منه .

فالعبادة اذا عبارة عن القيام بما يرضى عنه الارباب من الاعمال والشعب بأنهم بالتار واللبن والحمر ويصحي لهم الحيوانات . وفي بعض الاوقات يخرجون تماثيل الارباب من معابدهم ويجعلونها على سرر ويولون لها وليمة ويقومون بما يقوم به الشعب في بلاد اليونان فيبنون لهم دورا جميلة وهي المعابد ويحفلون باربابهم .

ولم يكن يكفي في تعظيم ارباب الرومانيين ان ينفق الناس مالا في سبيل اكرامهم بل كانت تنظر الى الصور التي يقوم بها ذلك الاكرام فنقضي ارادتها ان تجري جميع اعمال التعبد والنذور والالعب بما رسمته القواعد القديمة (الطقوس) فتمت اريد تقديم صحبة لا تتري كان عليهم ان يخناروا حيوانا ايض وان يذروا على رأسه دقيقا ملحاً وان يصرب بعأس وان يقف المقدم لده الصحية على قدميه ويدها مرفوعتان الى السماء حيث يقم المشتري وان يلفظوا بجملة تقديسا لاسمه . فاذا علط المقدم بما يقول معنى ذلك ان الصحية لا تساوي شيئا ويذهب القوم الى ان الرب لا يرضى عما قدم له . ولقد قام احد الحكام بالعب اكراما للارباب الحامية لرومية فقال شيتسرون « ادا عبرت عبارة واذا وقف اللاعب بالتباب او انقطع المتل فتكون الالعب غير موافقة للتعائر الدينية فيجب اذ ذاك اعادتها » ولذلك كان اهل الراي من الناس يحضرون كاهنين احدهما يتلو الصلاة والاخر يتناهه فيما يقول يجتمع الكهنة وهم يدعون « احوه ارفال » كل سنة في معبد بجوار رومية فبرقصون رقصا مقدسا ويتلون الصلوات وهي مكتوبة بلعة قديمة لا يفهم منها احد شيئا ويقضي في اوائل الصلاة ان يدفع الى كل كاهن مجموع قوانين مكتوبة في اول الجلسة . وظل الرومانيون بعد ان سبت هذه اللغة نقرون يتلونها كل سنة دون ان يعيروا منها حرفا . ومما يدل على ان الرومانيين كانوا يرمون الى الوقوف عند حد ما رسمه اربابهم هو انهم كانوا يقومون احسن قيام بقواعد الدين . ولذلك يرى الرومانيون انفسهم من اكثر البشر تدبنا . قال شيتسرون « انا احط من جميع الامم او مساوون لهم من كل وجه ولكننا نفوقهم من كل وجه في امور الدين اي بعبادة الارباب » .

الصلاة — اذا صلى الروماني فليست صلاته لتزكية نفسه ومناجاة ربه بل ليطلب منه معونة ويسأله حاجة له . فمن ثم تراه يبحث قبل كل شيء عن الرب الذي يستطيع ان ينيله رغبته . قال فارون (الشاعر اللاتيني) : « يلزمنا ان نعرف اي الارباب يتيسر له ان يعيننا في احوال مختلفة كما نعرف اين يقوم النجار والحزاز » وهكذا نصت الحال بان يعمد الى سيريس للحصول على زروع جيدة والى عطارد لاكتساب المال والى نبتون للمعونة على ركوب البحار . فيلبس المسنعت البسة نظيفة لما وقر في الادهان من ان الارباب يرغبون في النظافة . ويقدم بين يدي نجواه صحية لان الارباب لا يحبون من يحيى وايديه فارعة ويقف المسنعت وقد كشف رأسه فينادي الرب الا انه لا يعرف اسم الرب الذي يناديه ويقول الرومانيون انه ما من احد يعرف اسماء الارباب الحقيقية . بل يكتبي بان يقول له متلاً : « ايها المستري الاعظم الرحيم او ناي الاسماء تحب ان تدعى بها » تم يعرض عليه ما يريد عرضه متوقفاً استعمال حمل صريحة كل الصراحة حتى لا يهدع الرب فادا قدم له حمر يقال له : « تقبل طاعة هذا الحمر الذي أهرقه » لانه يسهل على الرب الاعتقاد انه يقدم له حمر آخر غير الذي قدم له وان يعاقب به . ولذلك كانت صلواتهم مطولة كثيرة الحثو مملوءة بالترادفات .

الفأل — يعتقد الرومان كاليونان بالفأل فيذهبون الى ان الارباب يعرفون المستقبل ويرسلون للباس آيات يدركونها فيسنتصح الروماني الارباب قبل ان يتسرع في عمل فادا ما ازمع القائد فيهم ان يهجم على عدوه يبحث في احتشاء الموتى والحالكه قبل ان يجمع لديه مجلساً ينظر الى الطيور السائرة (وهذا ما يدعونه اخذ الطالع والفأل) فادا كان فيها اشارة موافقة يدركون بان الارباب استجبت . استروع والاشعناهم اهمر غير راصين عنه . وكثيراً ما يرسل الارباب الآيات من قبلهم ومن دون ان يسئلوا ارسالها . وكل ظاهرة لم تكن متوقعة تُعدُّ فألاً على حادثة غير منظر . فقد ظهرت نعمة مذبة قبل موت قيصر فذهب القوم الى انها اشارة الى نعيه واذا ارعدت السماء عند ما كانت الامة تجتمع للمفاوضة في امر فمعنى ذلك ان كوكب المشتري لا يجب ان يبتوا امراً ذلك اليوم ولذلك ينفسون كل حادثة طفيف ويؤلونه بانه رمز الى امر يقع . فاذا ابرق الدرق او سمعت كلمة من متكلم او وقف جرد في الطريق او شوهده عراف فكل ذلك يأخذون منه العبر حتى ان مارسوس كان اذا عزم على البداءة بعمل امر بان يحمل في محفة مغلقة ليكون على ثقة من انه لا يرى شيئاً ينفاءل به .

وما كان ذلك مجرد خرافات للعامة بل كان للجمهورية الرومانية ستة طوابع لتنبأها

بالمستقبل فكان لها كتاب للنبيات تبالغ في العناية به دعته كتاب « سيبيلين » وكان لها فراخ مقدسة يقوم على تربيتها الكهنة وما كان يجري عمل عام ولا تلتئم جمعية ولا يشرع بانتخاب ومفاوضة بدون ان يعتمدوا الى اخذ الطالع اي انهم يظنون الى السارح والبارح . وقد شاع سنة ١٩٥ ان الصاعقة انقضت على معبد للتتري وانه نبتت شعرة على رأس تمثال هر كول فكتب احد الولاة بانه ولدت فرحة ذات ثلاث ارجل فاجتمع مجلس الامة للمفاوضة في هذه الفؤل .

الكهنة — لا يقوم الكاهن في رومية بما يقوم به في بلاد اليونان من الاعمال الروحية بل كان ينقطع فقط لخدمة الرب فيلاحظ معبده ويدير شؤون املاكه ويقوم بالاحفالات لا كرامه وهكذا كانت جمعية السالين (الرقاصين) تحفظ تترس سقط عليها من السماء كما زعموا وكان يعبد كما يعبد الصم وكانت نقيم تلك الجمعية كل سنة حفلة رقص بالسيوف وهذا ما كان يتوفر عليه اعضاء تلك الجمعية . والاحبار يراقبون الحفلات الدينية فيصمون نقوياً للسنين ويحددون اوقات الاعياد التي يجب الاحتفال بها في ايام مخصوصة من السنة ورئيسهم هو الخبر الاعظم .

وما كان الكهنة ولا العرافون ولا الاحبار يؤلفون طبقة خاصة بهم بل يجري اختيارهم من كبار الرجال وبقون على القيام بجميع وظائف الحكومة فمنهم من يتولى القضاء ومنهم رئاسة الجمعيات ومنهم قيادة الجيوش . ولذلك لم يتألف من الكهنة الرومانيين على قوتهم كما تألف من الكهنة المصريين طبقة كهنوتية فقد كان لحكومة رومية دين خاص بها ولم يكن للكهنة حق الحكم فيها .

عبادة الموتى — اعتقد الرومانيون كما اعتقد الهنود واليونان بان الروح تبقى بعد موت الجسد فان عنوا بدفن الجثة بحسب العادات فقد اعتقدوا بان الروح تذهب لتجيا تحت الارض وتصبح ربة والا فالروح ليس في استطاعتها الدحول الى عالم الاموات بل كانت تعود الى الارض تدخل الرعب على قلوب الاحياء وتعذبهم ليدفنوها . حكى بلين لجون قصة تسبح كان يختلف الى احد البيوت ويهلك سكانه هلعاً فاكتشف احد الفلاسفة ممن كان له قوة قلب تمكنه من اقتفاء اثره الى المكان الذي وقف فيه ذاك الطيف — عظاماً لم تدفن بحسب العادات المتبعة . وهكذا كانت روح الامبراطور كاليجولا تطوف في حدائق القصر فاقتضى اخراج جثته ودفنه ثانية على ما رسمته الشعائر الدينية .

فن ثم كان مما بهم الاحياء والاموات على السواء المحافظة على العادات الدينية فكانت أسرة الميت تنصب كومة حطب يحرقون فيها الجسد ويحملون الرماد في صندوق يضعونه

في القبر . وكان لهم معبد صغير خاص بدفن ارواح الارباب اي الارواح التي اصبحت ارباباً فيأتي اهل الميت في اوقات معينة الى زيارة القبر حاملين طعاماً . لا جرم اهمم اعتقدوا قديماً ان الروح محتاجة الى الغذاء لان القوم كانوا يهرقون الحجر والابن على الارض ويحرقون لحم المنكوبين ويتركون في الاواني لبناً وحلاوى . وكانت هذه الاحتفالات بالموتى تدوم ما شاء الله ان تدوم وما كان لاهل بيت ان يتخلوا عن ارواح اجدادهم بل يظلمن على العناية بقبورهم ويأتونهم بالغذاء لا طعامهم . ثم ان تلك الارواح التي نتأله او تصح في عداد الارباب تحب ذريتها وتحمي احفادها من البوائق وهكذا كان لكل أسرة ارباب يحمونها يدعونها آلهة البيت .

عبادة البيت - اعتقد الرومان كاعتقاد اليهود بان الالهيب رب كما ان البيت مذبح وكان لكل أسرة بيت تعبده وتقوم على العناية به ليل نهار تحمل اليه الريت والتخم والحمر والخور ويتصاعد اللهب ويستطع كأنه منبث من العجينة . فكان الروماني قبل ان يبدأ بتقديم الطعام للميت يشكر لرب البيت ويدفع اليه جزءاً من الاطعمة ويصب له قليلاً من الحمر وهذا ما يدعونه بالصب والاهراق حتى ان هوراس نفسه على قلة اعتقاده كان يتعشى امام بيته مع خدمته ويصب الطعام ويصلي الصلاة المعتادة

وكان لكل أسرة رومانية في بيتها قبر جعل فيه ارباب البيت وارواح الاجداد ومذبح البيت . وكان لمدينة رومية نفاها بيت مقدس في قبر الالهة فسنا وهي عبارة عن اربع عذارى من اعظم الاسرات الرومانية عمدة اليهن حراسته وذلك لانهم يرون ان لا ينطوي الالهيب المقدس مطلقاً ولا يعهد بالقيام عليه الا لانس من الاطهار فاذا ابت احدى تلك العذارى ان تقوم بما فرض عليها التور عليه من هذه الخدمة يدفنونها حية في قبور لاهبا ارتكبت عملاً طالحاً واوقعت الشعب الروماني في خطر .

الجيش الروماني

الخدمة العسكرية - لم يكن يكفي لقبول الرجل في خدمة الجيش الروماني ان يكون وطنياً رومانياً بل يجب ان يكون له بعض الموارد ليجهز نفسه بالسلاح على نفقته لان الحكومة لم تكن تعطى الجندي سلاحاً حتى انها لم تكن تعطيه جراية بأكلها الى سنة ٤٠٢ وعلى هذا لم يكن يجند من الوطنيين الا من كانوا يملكون بعض ثروة اما الفقراء فكانوا يعفون من الخدمة العسكرية وبعبارة ثانية ليس لهم الحق في خدمتها ويحق كل وطني له بعض الغنى ان يقبل في الجيش بعد ان يكون الى بلاء حسناً في عشرين حملة واذا لم يقم بذلك فهو تبع للقائد اي منذ سن السابعة عشرة الى السادسة والاربعين فكل فرد في

رومية كما في المدن اليونانية وطي وحندي في آن واحد والرومان امة مؤلفة من صغار ارباب الاملاك المدربين على القتال .

التجنيد — متى احتاحت الحكومة الى جند يصدر القنصل امره الى جميع الوطنيين اللائقين للخدمة بان يجتمعوا في معبد الكابتول وهناك يلتئم ضباط تحتارهم الامة وهم يختارون من ينمي لهم من الجند لتأليف جيش وهذا هو التجنيد عند الرومانيين ويسمونه الاحتيال . تم يجري التحايف العسكري فيبدأ الضباط اولاً يقسمون اليمن المألوفة تم الحد وكلهم يقسمون على الطاعة للقائد وان يقاتلوا دون اعلامهم حتى يكونوا في حل من ايمانهم في نظره . فيتلورحل عبارة وينقدم كل فرد في نوبته فيقول « وانا ايضاً » ويرتبط الجيش ادراك بالقائد ارتباطاً دينياً .

دُعي الجيش الروماني اولاً الفرقة او التجنيدة واما الشعب اصبح يؤلف بدل الفرقة فرقاً والفرقة الرومانية عبارة عن ٢٠٠ او ٥٠٠ رجل كلهم من ابناء البلاد . وكان اصغر جيش على الاقل عبارة عن فرقة وكان كل جيش بقيادة قنصل عبارة عن فرقين على الاقل . ويتألف نحو نصف الجيش من هذه الفرق وكان على جميع شعوب ايطاليا الخاضعة لرومية ان تبعث اليها ببعوتها وبدعي هؤلاء الجود « المخالفون » وهم تحت قيادة الضباط الرومانيين . وكنت ترى المخالفين في الجيش الروماني اكثر عدداً من كتائب الوطنيين . وجرت العادة ان يبعثوا مع كل اربع فرق (١٦٨٠٠ حندي) عشرين الف راجل من المخالفين وهكذا كان الشعب الروماني في حروبه يستخدم رعاياه اكثر من مواطنيه .

التسليح — اعتاد الرومان كاليونان ان يجاروا مترجلين متدرعين بالدروع والحوذ والمسامي (الطماقات) قابضين بايديهم اليسرى على ترسة ليدفعوا بها الصربات . مضي عليهم زمن وهم يقاتلون ، لرمح والسيف فكانوا اذا تلاقوا بالعدو يجتمعون كتيبة واحدة على نحو ما كانت تجتمع الكتائب الرومية تم عمدوا الى استعمال ضرب آحر من ضروب الكر والفر . ونقسم الفرقة الى سرايا صغيرة كل سرية مؤلفة من ١٢٠ جندياً « مانيبول » اي الفرقة لان علمهم عبارة عن حزمة من الحشيش فنصطف كل فرقة على شكل رقعة التطرنج على ثلاث خطوط وكل فرقة منفصلة عن جاريتها بحيث يكون المجال امامها متسعاً للعمل على حدتها فيضرب جنود فرق الصفوف الاولى بجراهم ويضعون سيوفهم في ايديهم ويبدوون بالقتال . فاذا اندحروا يتراجعون الى الفضاء الذي وراءهم فيزحف الصف الثاني من الفرق في نوبته الى القتال فاذا ما دُحر ينكفي راجعاً نحو الخط الثالث . وهذه الفرق

هي حيرة رجال الجيش يحملون الرماح وهم واسطة لقيادة احوامهم الآخرين لقتال الاعداء بهم .

وبعد فان الجيش الروماني لا يتألف جملة واحدة للقتال في آن واحد بل ان القائد يعي حنده مراعيًا حالة الارض التي يتخذها ساحة لقراع الاعداء . ولما التقى كتائب جنود الرومانيين وقرق المكديونيين في جبال سينوسيفال في تساليا للمرة الاولى وهما اشهر ما عهد من الحيوس في العهد القديم كان ميدان القتال عبارة عن أ كبات وتلعات فلم يكن في امكان الستة عشر الف محارب من المكديونيين ان يطلوا متماسكين متجمعين بل كانت صفوفهم ذات فروج فرحت الفرق الرومانية ودحلت الفضاء الذي كان يتخالل صفوفهم ومزقت شملهم كل مرق .

التمرينات — لم يكن لرومية محال للالعاب الرياضية فكان الجنود يقرنون في ساحة المناورات اي في ساحة المربخ من الضفة الثانية من نهر التير وهناك كان الشاب يسير ويعدو ويقفز وعليه العدة الكاملة من السلاح يلعب بسيفه ويصرب بجرته ويستعمل معوله فاذا ما علاه الغبار والعرق يجتاز نهر التير عائمًا . وكثيرًا ما كان الرجال المدربون بل والقواد يشاركون فتيان الجند في تمريناتهم اذ كان من دأب الروماني ان لا ينقطع عن التمرين حتى كانت القاعدة المتبعة اذ ان لا يترك الجنود حتى في الحرب بلا عمل فيقرنون مرة في اليوم على الاقل ويستغلونهم باثناء الطرق والحسور والمجاري ادا لم يكن امامهم عدو يقاتلونه ولا متاريس يقيمونها .

المسكر — يحمل الجندي الروماني حملًا ثقيلًا مؤلفًا من سلاح واوان واظمة تكفيه ايامًا وتند و يبلغ وزن مجموعها ستين رطلاً رومانيًا وادا تلاقى الجيش بجيش العدو يسهل عليه الحرب بسرعة اذ لا يكون له من الاثقال ما يتغله .

وكل مرة كان يريد الجيش الروماني الوقوف ليعسكر يحيط المساح نطاقًا مربعًا ويحفر الخند في محيط ذلك النطاق هوة عميقة وبقون التراب من ناحيتهم في الداخل يكون منحدرًا يضرنون فيه اوتادًا وهكذا يكون المعسكر محميًا بنطاق من اوتاد وارض ذات وهاد وفي داخل هذه القلعة الموقفة يصرب الجنود حياتهم ويجعلون مرادق القائد في الوسط ويبقى العيون والحراس طول الليل يحرسون المعسكر وهكذا يكون الجيش في مأمن من كل عدو مفاجيء .

تعليم الجند — يعلم الجيش الروماني تعليمًا قاسيًا فيحق للقائد ان يبيت حنده او يبق عليهم والجندي الذي يترك محله او يركن الى الفرار في الزحف يحكم عليه بالموت

فيربطه حملة الفؤوس بعمود ويضربونه بالعصي ويقطعون رأسه او يقع عليه الجند فيضربونه بالعصي .

واذا تمردت كتيبة من الجيش يقسم القائد المجرمين الى عصابات كل عصابة مؤلفة من عشرة اشخاص يقتربون في كل عصابة على واحد يكون نصيبه الاعدام ويسمون هذا التعشير اي احد واحد من عشرة اما الباقيون فيقتضى عليهم بان يعطوا حيز شعير ويتركونهم يعسكرون خارج المعسكر ليكونوا اعداء على حطر من مفاجأة العدو لهم .

لا يقبل الرومانيون ان يغلب جندهم ولا ان يؤسروا فقد سلم من القتل ثلاثة آلاف جندي بعد وقعة « كان » وراحوا يهيمون على وجوههم الا ان مجلس الشيوخ ارسلهم يخدمون في صقلية بدون جرايات ولا القاب شرف ربما يخرج العدو من ايطاليا ويبقى ثمانية آلاف جندي في المعسكر فقبض عليهم وقد عرض هانيبال ان يعيدهم الى الحكومة لقاء فدية طفيمة تدفعها عنهم فابى مجلس الشيوخ ان يفتديهم .

الغلبة — متى كتب الظفر لاحد القواد يصدر مجلس الشيوخ امره اليه بان يحتفل بما تم له من الغلبة دليلاً على تشريفه فيحتفل بذلك احتفالاً دينياً في معبد المشتري فيسير في المقدمة الحكام والشيوخ ثم تأتي العجلات مملوءة بالعنائم والاسرى مقيدين من ارجلهم وفي المؤخرة عجلة مذهبة تجرها اربعة حياض يأتي القائد الغازي متوجاً بالعار وجنده يتبعونه مترنمين نادوا دينية يرددون فيها اسم الظفر فيجتاز هذا الموكب المدينة بهذا الاحتفال ويطلع الى معبد الكابتول وهناك يضع الغازي اغصان اعار على ارجل المشتري ويحمده على انه كان سبباً في نصرته وعند انتهاء الحفلة تضرب اعناق الاسرى كما فعلوا مع الزعيم الغالي فرسنتور كس او ان يلقوا الاسير في مطبق (حبس مظلم) يموت جوعاً كما فعلوا مع جو كورتا ملك فوميديا او انهم يكتفون بان يسجنوا الاسير . وقد دام ظفر بولس اميل الذي تغلب على ملك مكدونية (١٦٧) ثلاثة ايام مرت في اليوم الاول ٢٥٠ مركبة تحمل لوحات وتماتيل وفي الثاني ما عمه من الاسلحة و٧٥ برميلاً من المال وفي اليوم الثالث ١٢٠ تورا من تيران الضحايا والملك يرسي في المؤخرة لابساً السواد يحف به حاضته مقيدين وثلاثة اولاد له مدوا ايديهم للامة يضرعون اليها واخذوا يحركون شفقتها .

فتح ايطاليا — كان في رومية معبد خاص بالرب جانوس تبقى ابوابه مفتحة مادام الشعب الروماني في الحرب . ولم يغلق هذا المعبد الا مرة واحدة دامت بضع سنين في خلال خمسمائة سنة التي طال فيها عمر الجمهورية الرومانية وعليه فان رومية عاشت في حرب دائمة

واذ كان جيشها اقوى جيش في عصره انتهت بها الحال ان تغلب على جميع الشعوب الاخرى وان تفتح العالم القديم .

فبدأت باخضاع جيرانها اولاً فاخضعت اللاتينيين اولاً ثم الشعوب الاخرى النازلة في الجنوب مثل الفولسكيين والايكيين والمريكيين ثم الالبتروسكيين والسامنتيين ثم المدن اليونانية . وكان هذا الفتح من اتقى الفتوح وابطئه : بدأ على عهد الملوك ولم ينته الا في سنة ٢٦٦ اي بعد اربعة قرون (١) وذلك لانه كان على الرومانيين ان يقاتلوا شعوباً هم واباهم من عنصر واحد وهم على شاكلتهم في القوة والمجدة والشجاعة . ومن هذه الشعوب من ابى ابائها ان تخضع للرومان فما كان من رومية الا ان ابادتهم فاصبحت سهول فولسكا الغنية فقراً اذا بطائح ومستنقعات ولم تعد بطائح بونتين صالحة للسكنى حتى يوم الناس هذا وقد كانت بلاد السامنتيين تعرف بعد ثلثمائة سنة من الحرب التي وقعت فيها بما بقي فيها من بقايا المتاريس اكثر مما تعرف بحلوجوارها من السكان وكان فيها ٤٥ معسكراً للامبراطور دسيوس و٨٦ للقائد فايوس .

الطرق العسكرية — اقام الرومانيون في جميع ايطاليا طرقاً عسكرية ليتسنى لهم ان يبعثوا بالبعوت الى القاصية وكانت هذه الطرق عبارة عن طرق مستقيمة مرصوفة بالحجر والحجر والرمل وبلغ من متانتها انها صبرت على الايام خلال ذاك العهد برمته . وقد اكثر الرومان منها في عامة بلاد ايطاليا فليس فيها بقعة لا ترى فيها الى اليوم اثرًا من آثار تلك الطرق الحربية وكانوا يسمونها باسم الوالي الذي امر ببنائها واهم هذه الطرق طريق ابين الممتد الى الجنوب الى بطائح بونتين حتى تراننا وبرندس ثم طريق فلاننين الذي يحتاز طريق انين ويصل الى بحر الادرياتيك وطريق اورلين الذي يقطع اقليم طوسكانيا آخذاً الى الشمال على طول الساطي حتى بلاد الغال ثم طريق الملين الممتد من بحر الادرياتيك محتازاً جميع سهل « يو »

فتح حوض البحر المتوسط

صبغة الدياسة الرومانية — لم يحظر للرومان ان يفتحوا العالم أولاً حتى انهم تمهلوا بعد ان بسطوا حكمهم على ايطاليا وقرطاجنة مدة مئة سنة قبل ان يخضعوا الشرق الى سلطانهم (١) لم يكن للرومانيين من احبار جميع هذه الحروب في ايطاليا سوى اساطير لفق اكثرها ليكون منها دليل على رجولية بعض اجداد احدى الاسر الشريفة

والظاهر انهم فتحوا فتوحاتهم دون ان يحتطوا لها حطة من قبل لان مصالحتهم كلهم كانت بان يفتحوا الفتوح ويدوحوا الممالك .

فكان يرى الحكام وهم قواد الحيوتس من الفتوحات فرسة لنيل علائم التشريف بالظفر الذي يكتب لهم ويكونون على ثقة من الاستتار بين أممتهم والتأثير فيها . وكان أعظم رجال الحكومة في رومية مثل بابيريوس وفايوس وسيبيون الاول والثاني وكانوا من القواد الذين فتحوا الفتوح وكتب الظفر لاعلامهم . ويرجع الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ ادا كتر سواد رعايا رومية فيذهبون كما يذهب الحكام لقبول احتراماتهم وهداياهم . اما الفرسان أي الصيارف والتجار ، ارناب المتاربع فان كل فتح حديث كان لهم بمثابة مشروع حديد يستثمرونه

والامة نفسها لتتفهم من الغنائم التي تؤخذ من العدو . وقد بيعت الصرائف بصورة دائمية بعد ان دخلت حرانة الدولة الرومانية كنوز ملك مكدونية . اما الجنود فكانوا يقبضون رواتب عالية من قوادهم وقد أخذوا يبحرون البلاد الغنية دع عنك ما كانوا يمدون اليه ايديهم من مال العلوبين . وعلى هذا فقد فتح الرومان العالم للفوائد المادية اكثر من المجد

قرطاجنة — لما امتد سلطان رومية الى جزيرة صقلية حملت علي قرطاجنة وعندئذ بدأت الحروب الفينيقية محدثت ثلاث حروب فكانت الحرب الاولى من سنة ٢٦٤ — ٢٤١ حرباً بحرية ولا يعرف عنها شيئاً الا ماروته الاساطير بعد زمن من حدوثها . فذكروا ان الرومانيين لم يملكوا سفناً بحرية قط واهم جعلوا سفنهم على مثال سفينة قرطاجنة وقامت بالعرض في التساطي فأخذوا يبرنون مجذفيهم على استعمال المجاذيف على اليابسة . وهذه القصة لا اساس لها لان بحرية رومية قديمة اما الرومان فقد نقلوا احبار هذه الحرب كما يلي . علب القنصل دو بليوس الاسطول القرطاجني في ميلي (٢٦٠) وكان رل الى افريقية من البحر حيش روماني على عهد الخاكر جولوس فعل وتمزق شذر مذر (٢٥٥) واسر جولوس وأرسل الى رومية ليعقد الصلح وقرر مجلس الشيوخ اباء الصلح فرجع هذا الى قرطاجنة حيث قصى نحوه في العذاب . تم حمي وطيس الحرب في صقلية فكتبت العلبة للاسطول القرطاجني اولاً (٢٤٩) تم دمر بالقرب من جزائر ايعات (٢٤١) وبعد ذلك حوصرها مليكار في جبل اركيس فوقع على الصلح ودخلت صقلية في حوزة رومية

ونتبت الحرب الثانية (من سنة ٢١٨ الى ٢٠١) وكان قائدها هانيبال من نسل الاسرة القرطاجنية صاحبة الحول والسطوة في بادكاس وكان قاداوه هامليكار الى صقلية جيشاً قرطاجنياً في الحرب الفينيقية الاولى تم عهد اليه ان يفتح اسبانيا وكان هانيبال اذ ذاك طفلاً

وصحبه ابوه . وكانت العادة ان تقدم الضحايا للارباب عند ما يعاد الجيش البلاد ويقال
 ان هامليكار بعد تقديم الضحايا حلف ابنه ان يكون اعدوا ازرق للرومان
 ربي هانيبال وسط الجند فأصبح احسن قائد وامهر راجل في حرب . ولم يكن يعرف
 من الحياة الا انه محارب وكانت عنايته منصرفة الى تعهد حصانه وأسلحته واشتهر أمره
 كثيراً حتى اذا هلك القائد اسدرو وبال الذي كان يقود الجيش الاسباني اتجبهوه قائداً عليهم
 دون ان ينظروا وأمر مجلس الاعيان القرطاجي في ذلك . وهكذا أصبح هانيبال في
 الحادية والعشرين من عمره قائد جيش لا يطاع أحد سواه فدخل عمار الحرب على الرعم
 من مجلس التسيوخ في قرطاجنة وراح يحاصر ساعونت حلينة رومية فاستولى عليها وحررها
 ومما كتب به المجد لهانيبال انه عوضاً عن ان ينظر الرومانيين جراً على ان يقتحمهم في
 عقودارهم من بلاد ايطاليا ولم يكن له اسطول يحمله وحيشه اليهم فعم على اجنيار البلاد
 اليهم رآ فقطع جبال البيرنيه ونهر الرون وجبال الالب ومن لنفسه مخالفة الشعوب العالية وقطع
 جبال البيرنيه دون أن يلقى فيها مقاومة في جيش مؤلف من ستين الف مقاتل من الخنود
 المستأجرة من الافريقيين والاسبانيين ومعه سبعة ولاثون فيلاً مدربة على الحرب وقد
 طمع بعض الشعب العالي ان يحولوا بينه وبين المسير في نهر الرون فأرسل هو فرقة من جيشه
 تقطع النهر على مسافة بضعة أميال من اعلاه وتهاجم العاليين من وراهم على حين يجتاز
 معظم حيشه النهر على زوارق وتجرف الفيلة على ارمات كبيرة . تم صعد وادي ايزر وانتهى
 الى جبال الالب في أواخر شهر تشرين الاول (اكتوبر) فقطعها على ما كانت معتادة به من
 التلوج وعلى الرغم من غارة السكان الجبلين عايه فوقع كثير من الرجال والحيول في
 الهاويات . وقضى تسعة أيام لبلوغ قمة جبل الالب وصعب عليه الدورول لان المضيق الذي
 كان يجب عليهم السير فيه عطته التلوج والصقيع فاقتضى لجيشه ان يتخذ له طريقاً يحمره في
 الصخر ولم يصل الى السهل الا وقد اصبح جيشه نصف ما كان . تم لقي هانيبال ثلاثة حيوش
 رومانية في مسافة متدانية على شاطيء نهر تيسين وصمة نهر تريبيا وبالتقرب من بحيرة
 ترازيمين في انروربا فهزمها كلها وكان كلما تقدم الى الامام يرداد جيشه وينضم المخارنون
 من العاليين « ايطاليا الشمالية » تحت لوائه ليخدموه وينصروه على الرومانيين
 فاجتاز هانيبال ايطاليا واتخذ لزوله اقليم اوليا في الجهة الثانية لرومية وهاجمه فيها
 الجيش الروماني . وكان جيشه نصف جيش ولكن كان معه فرسانه الافريقيون يركبون
 خيولاً سريعة وقد رابط في سهل « كان » بحيث جعل الرومانيين يقابلون بوجوههم الشمس
 والتراب الذي ييره الريح فاحاط العرسا بالجيش الروماني احاطة الدوار بالمعصم وذبحوه

عن آخره (٢١٦) وكان يظن ان سانيبال سيزحف على رومية الا انه لم يكن على تعبئة تامة . وهكذا ظل هانيبال في ايطاليا الجنوبية تسع سنين يحاول ان يفصل عن رومية الشعوب المخالفة لها ولم ينجح الا بالاستيلاء على بضع مدن حاصرها الرومان وخربوها وبعد ذلك سافر احوه اسدروبال في جيش اسبانيا للانتحاق به فوصل الى اوساط بلاد ايطاليا فسار الحيطان القرطاجنيان احدهما على الآخر يقابل كلاً منهما جيش روماني بقيادة احد حكام الرومان . وكان يرون محادياً لهانيبال جراً على قطع ايطاليا الوسطى لينضم الى رصيفه مقابل اسدروبال . ولقد سمع اسدروبال في صبيحة ذات برم الابواق تبوق مرتين في المعسكر الروماني وكان في ذلك اشارة الى انه كان في المعسكر قنصلان او حاكمان فوقع في نفسه ان احاه علب وانهرم وان الرومان يطاردونه وانه قتل وذبح جيشه عن بكرة ابيه تم رجوع نديون الى الجيش الذي غادره امام هانيبال والتي في معسكر قرطاجنة رأس اسدروبال (٢٠٧)

فلم يبق لهانيبال غير قوته يعتصم بها واقام خمس سنين في اقليم كالابراوما كره على الخروج من ايطاليا الا لما علم بان جيشاً رومانياً كان نزل الى افريقية واحذيهدد قرطاجنة فدبح هانيبال الجند الايطالي الذي ابي الالتحاق به وركب البحر الى افريقية (٢٠٣) وانتهت الحرب بوتعة زاما (٢٠٢) وكان هانيبال اعتمد بحسب عاداته ان يسوق الجيش الروماني الى الدخول في صفوه ولكن القائد الروماني سبيون تبت مع جيشه وما كانت الا هزيمة واحتها حتى ركب هذا اكتاف عدوه وهرم جيشه شرهزيمة .

فاضطرت قرطاجنة الى عقد الصلح ونازات عن كل ما تملكه خارج افريقية وتركت اسبانيا للرومانيين . واضطرت زيادة على ذلك الى تسليم سفنها وفيلتها وان تدفع مبلداً من المال يربو على خمسين مليوناً من الفرنكات وتعهدت بان لا تعان حرباً قبل الاستئذان من رومية . وكانت عاقبة الحرب الثالثة (من سنة ١٤٩ الى ١٤٦) القضاء على قرطاجنة فطال حصار الرومان كتبراً لها حتى احذوها عنوة وجعلوا عاليها سافلها وفتحوا اقليمها واعمالها وجعلوها ولاية افريقية خاضعة لسلطانهم .

مكدونية والترق - كانت ملوك اليونان احواف قواد الاسكندر انقسموا الترق وحارب اعظمهم سطوة مملكة رومية وغلبوا مثل ملك مكدونية فيليب سنة ١٩٧ وابنه برسي سنة ١٦٨ وملك سورية انطيوخوس سنة ١٩٠ وهكذا حلا الجول للرومانيين فاخذوا يفتحون البلاد التي يرونها ثماستهم واحدة بعد اخرى فافتحوا مكدونية سنة ١٤٨ ومملكة فرغانة (١٢٩) وبقية آسيا (من سنة ٧٤ الى ٦٤) بعد هزيمة ميتريدانس ومصر (٣٠)

وما عدا مكدونية لم يندب السرق لقتالهم غير جنود مستأجرة او برابرة غير منظمين ينفرون ايدي سبا لاول صدمة يلقونها . ولم يقتل في الغلبة العظيم على انطيوتوس في مانيزيا سوى ٣٥٠ جندياً رومانياً وفتح سيللا بانه لم يفقد من جيشه في شيروبيا سوى انبي عتري جندياً .

ودخل الرعب قلوب سائر الملوك مخضعوا للسلطان مجلس الشيوخ من دون مقاومة فان انطيوتوس العظيم ملك سورية بعد ان فتح جزءاً من ديار مصر جاءه بويليوس مندوباً من قبل مجلس الشيوخ بأمره بالخلاء عما بسط يده عليه من البلاد فتردد انطيوتوس وكان بيد بويليوس محزنة فاحتط بها في الارض حطوطاً حول ملك سورية وقال له : أجب مجلس الشيوخ قبل ان تخرج من هذه الدائرة التي رسمها لك . فلم يسمع انطيوتوس الا الحصوع والتي حبل مصر على عار بها . وحاء روزباس ملك بيتنيا وقد حلق رأسه ولبس ثياب العبد المعق وركع امام مجلس الشيوخ الروماني . وحاول ميتريداس ملك بون ان يقاوم وحده فطرد من بلاده بعد حرب خمس وعشرين سنة (٦٣ - ٨٩) واضطر الى ان يتناول السم ويقول بيدي لا بيد عمرو .

اسبانيا وغاليا الجنوبية - لم يستطع الرومان ان يغلبوا على الشعوب البربرية والمخار بين في الغرب بادنى سبب كما تغلبوا على غيرهم فقصوا قرناً لاحضاع اسبانيا لسلطانهم . وقد ناضهم الحرب في جبال الريفال رحل من الرعاة اسمه فيريات (١٤٩ - ١٣٩) وهزم خمسة جيوش واكره احد قناصل الرومان على عقد الصلح معه ولم يتخلص مجلس الشيوخ من شره الا بقتله . واهلك الاريفاكيون وهم شعب صغير في الشمال الشرقي عدة جيوش رومانية واقتضى لرومية ان ترسل احد قوادها سديون للاستيلاء على عاصمة تلك البلاد وهي المدينة الصغرى المسماة نوماس . وكانت الشعوب الصغيرة الحاملة في صيتها المعتصمة في جبال جين كثيراً ما ناض الرومانيين القتال . وكان الغاليون اتد الاعداء على رومية وهم منتشرون في جميع سهل بويزحفون على ايطاليا الجنوبية وقد استولت احدى عصاباتهم على رومية سنة ٣٩٠ فكان جندهم يدخل الذعر على قلوب الحند الروماني باح امهم الضخمة البيضاء وسبلاتهم الطويلة الشمقراء وعيونهم الزرقاء واصواتهم التي تعج فيبلغ صداها عن السماء . والخوف يستولي على رومية عند ما يبلغها مجيء العسكر الغالي فيصدر مجلس الشيوخ امره بجمع عامة الجند .

وكانت هذه الحروب شديدة جداً ولكنها تضع اوزارها في الحال ففي الحرب الاولى استولى الرومان على اقليم غاليا المعروف بسيرالين اي ايطاليا الشمالية وتسببت الحرب الثانية

(١٢٠) للدفاع عن مارسيليا حليفة رومية فدمر الجيش الغالي واحضمت رومية بلادالرون وشاطيء البحر الرومي (اقليم لانكدوك وبروفانس ودوفينه)

عواقب الفتوح

سريان الاصطلاحات اليونانية — ان الفتوح هي التي دعت الرومان الى رؤية الروم والمشاركة عن أمم فاستوطن رومية الوف من اليونان جاؤوها اسرى او للاتجار وتعاطى بعضهم الطب وآخرون التعليم وغيرهم العرافة وغيرهم التمثيل . وكان القواد والضباط والحنود الرومانيون يعيشون في آسيا وسط الشعوب التي تتكلم اليونانية فتخلقوا باحلاق باليونان وهكذا عرف الرومان عادات حديثة ومعتقدات جديدة لم يكن لهم بها عهد واخذوا يعملون بها على التدرج وقد بدأ هذا التبدل بعد الحرب المكثونية الاولى (٢٠٠) ودام الى اواخر المملكة الرومانية القائدان كاتون وسبيون — بينما كانت الاحلاق تتغير استتهر احد رجالهم كاتون باحتفاظه بعادات اسلافه . ولد هذا الرجل سنة ٢٥٢ في بلدة توسكولوم وقضى شببته في الحرت والكرت وفي السابعة عشرة من سنه دخل في الجيش بحسب العادة المتبعة واشترك في عامة الحملات على هانيبال . ولم يكن من الاشراف ولكنه استتهر بقوته واستقامته وزهده وقد انتخب مرات وزيراً للمالية وناظراً للابنية والملاعب وقاضياً وقنصلاً ووكيلاً للاحصاء وتغفل مناصب الشرف عامة وكان في جميع حالاته على قدم قدماء الرومان فاسياً حاقاً محتتماً وقد ونج قنصله عندما كان وزيراً للمالية وكان القنصل سبيون غالب هانيبال فاجاند لست في حاجة الى ناظر مدقق مثلك الى هذا الحد . ولما عين ناظراً للابنية والملاعب في ساردينيا ابى ان يمس المال الذي دفعته اليه تلك الولاية للنفقة . ولما صار قنصلاً تكلم بشدة عن قانون اوبيا القاصي بالخطر على النساء الرومانيات بان لا يتزين بالحلي الثمينة فظفر النساء بمظلمهن وألعي ذلك القانون . ولما ذهب لقيادة الجيش الروماني في اسبانيا اتى باموال طائلة دفعها الى حراة الامبراطورية وابع حصانه عند ما ركب البحر ليقتصد من نفقات نقله ولما عين وكيلاً للاحصاء اسقط من قائمة مجلس الشيوخ عدة من الاعاظم لما عرفوا به من الترف والبدخ واحال جباية الاموال الاميرية بثمن عال وقدر حلي النساء وزينتهن وعرباتهن بعشرة اضعاف ما تساوي وبعد ان حفت له اعلام النصر لم يستنكف من الخدمة في الجيش الروماني ضابطاً بسيطاً .

صرف كاتون حياته في مناهضة الاشراف والعض من بذخهم وترفهم وتجملهم وحمل خاصة على امثال القائدين سبيون متهماً اباهم بالاختلاس الا انه لم ينج هو ايضاً من الصاق التهم به فاتهم اربعاً واربعين مرة ولكنه كان يبرأ كلما اتهم . وكان يحرق ارضه مع عبده

ويواكلهم ويضربهم بالعصي متى رأهم يجيدون عن جادة الصواب وقد ذكر في رسالته في الزراعة التي كتبها الى ابنه جميع ما كان يأتي الفلاحين الرومانيين من الايرادات ويرى ان من الواجب على المرء ان يغتني وكان يقول : « للارملة ان تصرف من مالها وعلى الرجل ان يريد وكل من شهدت دفاتر حساباته بعد موته بانه ربح اكثر مما ورت جدير بالتهرة وملهم من الارباب » ولما رأى ان الزراعة لا تأتيه نارباح طائلة احذ يقرض ماله ليحبر به سفناً تجارية واتخذ له خمسين شريكاً جهروا كلهم مائة وخمسين سفينة ليتقاسموا بينهم الاخطار التي نال سفنهم والارباح التي تأتيهم بها . وعلى هذا كان كاتون زارعاً ماهراً وجندياً عظيماً عدواً للبدح حربياً على الكسب فهو مثال الروماني الاصيل وانموذج الفضيلة والتبات وعلى العكس منه كان القائد سبيون مثلاً للاهتمام بالفنون والافكار الفلسفية اليونانية فكان سبيون الذي استولى على قرطاجنة وبوماس يتكلم باليونانية وهو صديق المؤرخ اليوناني بوليبي الذي أمسك في رومية رهينة . ولم يكن يهتم بجمع المال وقد دفع الى شقيقاته دفعة واحدة مبلغاً من المال كان عليه ان لا يدفعه اليهن الا في اوقاف محتلمة وانازل لآخيه وكان اقل منه مالاً عن حصته في ارث ابيه ولم يخلف بعده سوى كمية قليلة جداً من الاواني الذهبية والفضية .

الاحلاق القديمة — مضى زمن طويل على قدماء الرومانيين وهم يتفرون على زرع حقولهم وقتال عدوهم والقيام بفرائض دينهم حتى كانوا حقاً الربيفيين العاملين الجفاة . فكانوا يررعون جانباً صغيراً من اقليم لاتيوم اولاسابين وهم من نسل اللاتين والايطاليين الذين تغلبت عليهم رومية . وقد صور لنا السخ كاتون في كتاب له في الزراعة شيئاً من احلاقهم بقوله : كان اجدادنا اذا أرادوا الثناء على رجل يصفونه بانه زارع ماهر وحرث مجيد وهذا عاية ما يمدح به انسان (١)

فكان هؤلاء الزراع أشداء في اعمالهم واهل طمع في مكاسبهم ومنتظمين في شؤونهم واقتصاد في نفقاتهم وبذلك كانوا قوة الجيوش الرومانية . ولطالما تألف منهم مجلس الامة ايضاً وكانت لهم القوة العظمى في الانتخابات . فيجي الاستراف الذين يطعمون في ان ينتجوا حكماً الى ساحة السوق ليهزوا ايدي هؤلاء الفلاحين . رأى أحد المرشحين انفسهم للانتخابات يد احد الحراثين وهي شتنة عليظة فآله : هل تمشي على يدك ؟ وكان السائل من الاشراف ينتسب الى أسرة كبيرة ولكنه لم ينتخب

(١) وقد اورد ايضاً شيئاً من امثالهم القديمة منها : « ادنى الزراع من يتناع شيئاً ما تغله له ارضه » « واحط المقتصدين من يعمل في النهار ما يتأتى له ان يعمل في الليل »

سكن الرومان بيوتاً ضيقة ذات طبقة واحدة لانظام في نائها وكان الاثر يوم أهم ناحية من الدار وفيه المكان المقدس وهو مكتوف من أعلاه يرل منه ماء المطر . والانات عبارة عن بضعة صناديق ومقاعد من الخشب . وطعامه بسيط مؤلف خاصة من حساء معمول بالبر ومن حذر وعض بقول وما كانوا يتناولون اللحوم الا في الاعياد وما تترب النساء الحرقط والرجال يتناولون منه على المدره . ولباسهم عبارة عن قميص يلبسون فوقه رداء من صوف زمن البرد . ويلبس الوطنيون في أيام الاعياد حلة من الصوف مرينة من جهة العنق ويلبسون في ارجلهم نعالاً مطاطة سيور . ويقصون حياتهم في الوفير على اعمالهم فالرجال يصطادون دون ان يجرتوا والنساء يغزلن الصوف وتنسجن الاقمشة ويطحن الحبوب ليحلمنها برآ . ولم يكن للرومانيين من ضروب التسلية الا ان يذهبوا كل تسعة أيام الى السوق أو يحضروا الاعياد التي اقام اكراماً للارباب

كان يرى قدماء الرومان ان الرجل التسديد هو عاية ما تطمح اليه الآمال ويقال ان ان سيد سياتوس كان يسوق محراته نفسه عند ما اتاه نواب الامة من قبل مجلس الشيوخ يدفعون اليه الامر بتنصيبه . ولم يكن عند فاريسيوس من الاواني غير كأس وملحة من فضة . وكان كور يوس واتاتوس وهو غالب السامنتيين حالساً على مقعد يأكل نقولا في قصعة من خشب عند ما اتاه منده بو السامنتيين ليقدموا اليه المال فقال لهم : اذهبوا وقولوا للسامنتيين ان كور يوس يؤثر ان يقود من عندهم ذهب اكثر مما يؤثر ان يكون هو مالكا له . هذه هي بعض الاقاصيص التي يروونها عن قواد الازمة القديمة وسواء كانت حقيقية او ملفقة فانها تدل على ما كان الرومانيون بعد يذهبون اليه بشأن قدماء احدادهم

الاحلاق الجديدة - احذ كثير من الرومانيين بعد القرن الثاني ولا سيما طبقة الاشراف يقلدون الاجاب . وكان زعماءهم قواداً رأوا بلاد اليونان والشرق عن أمم فكتبت الغلبة لسبيون على ملك سورية ولفلامنيوس ونولس اميل على ملوك مكدونية ثم للوكلوس على ملك ارمينية . فعزت نفوسهم عن الحياة القاسية الصعبة التي كان عليها اجدادهم وأحدوا يسيرون في حياتهم على البذخ والرفاهية وما زال الحال كذلك حتى نسج على منوالهم عامة النبلاء والاعنياء بحيث لم يطلع فجر القرن الاول حتى لم يعد في ايطاليا الاسادة عظام يعيتمون المعيشة الشرقية او اليونانية

يرى الشرقيون من دواعي العجب ان يعرضوا للانظار الاقمشة البديعة والاحجار الكريمة واثاث الفضة وأواني الذهب وان يستكثروا في بيوتهم من الخدم على غير طائل

وان ينشروا على الشعب المجتمع دراهم ليدهتهوم (١) فكانوا يرغبون في الاعلاق النفيسة
النادرة أكثر من رغبتهم في النفائس الحميلة المناسبة

واصبح للرومان على شدة عجبهم وضعف استعدادهم في الصناعات ذوق في هذا الضرب
من البذخ فكانوا قلما يحفلون بالجمال أو بالموافق ولم يعرفوا قط الا الأبهة والنفخحة فاستؤوا
لهم بيوتاً ذات حدائق متسعة وحسروا اليها التماثيل واقاموا فيها المصاييف الراهية التي تمتد
الى البحر وسط الحدائق المتسعة واستكثروا من الحدم والحشم وأخذوا هم ونساءهم يعناضون
عن ألبستهم المعموله من الصوف بالتصوف (رنجك - كريتة) واكسية الحرير والقصب .
ويفرشون في ولائهم بسطاً مطررة وأذرة من الأرجوان وأواني من ذهب وفضة (وكان
عند الحاكم سيللا مئة وخمسون صحفة من الفضة وورن ما عند ماركوس وروزوس من
الاولاني الفضية عشرة آلاف ليرة) واد ظل العامة يأكلون قعوداً بحسب عادة الشعوب
الايطالية القديمة وبالخاصة من الاغنياء اتبعوا العادة الشرقية في الاكل مصطحجين على
سرهم ثم سرت عادة التأنق في المآكل على الاسلوب الشرقي والاستكتار في المطاعم من
الابازير والصباغ (سلسا) والصيد واسمك الغريب ومخاخ الطواويس والسنة الطيور
واستحكم منهم السرف حتى تقدمت أحد الحكام سنة ١٥٢ وقد ذكر في وصيته قوله «للم
يكن الاكرام الحقيقي عبارة عن أبهة باطلة بل هو لتذكر اقدار المتوفى وأجداده فانا أمر
أولادي ان لا ينفقوا على جنازتي أكثر من مليون آس (مئة الف فرنك) »

العلوم الادبية اليونانية — رأى الرومانيون في بلاد اليونان المصانع والتماثيل والالواح
التي كانت منذ قرون تغص بها المدن وعرفوا الادباء والفلاسفة فصار لبعضهم ذوق في
الصناعات النفيسة واولع آخرون بالحياة العقلية فجعل امتال القائد سبيون حولم اناساً من
اليونان المنورين ولم تطمح نفس بولس اميل من جميع الغنائم التي عمها جيشه من مكدونية
الا الى الاستيلاء على مملكة الملك رسمي وعهد بتربية اولاده الى اساتذة يونان وبذلك
صارت الكتابة والتكلم باللغة اليونانية من الامور المستحسنة في رومية (٢) واراد الاشراف
ان يظهروا في مظهر العارفين بالتصوير والنقش فجلبوا بالالوف التماثيل وقلد كورنت المشهور
(١) تجدد مثالا من هذا الذوق الشرقي في الابهة الباطلة التي تمثل لك في حكايات
الف ليلة وليلة

(٢) ولذلك كان يخاف الشيخ كاتون عادية اليونان وقد كتب لابنه ما يأتي : اقول ان
ملاحظته في آثينة ان هذا الجنس من اخبت الاجناس واصعبها مراساً الا فاستمع لما اقول
كما تسمع لماتف رباني الا ان هذه الامة اليونانية كلما اتتنا بصناعاتها نفسدنا كلنا

وملأها بيوتهم . ودخل في ملك الحاكم فريس شيء كثير من النفائس والاعلاق جعلها في رواق وكانت مما نهبه من صقلية .

وهكذا اخذ الرومان على التدرج من الفنون ظواهرها ومن الآداب اليونانية قسورها . وسمي هذا التهذيب الجديد فن الادب معارضة للختونة التي كان عليها اهل الريف من الرومان ومع هذا لم تكن الا قسوراً فقط فلم يعرف الرومان ان الجمال والحقيقة يرغب فيهما لذاتهما بل كانت المناعات والعلوم عندهم اموراً يقصد بها الرينة والبذخ ليس الا . ولم يكن الرومان على عهد تيسرون يعتبرون من اهل الاعمال غير الجندي والحرات والسياسي والتاجر او المحامي اما الكتابة والتأليف والاشتغال بالعلم والفلسفة والنقد فكل ذلك كان يسمي عندهم بطالة . وما قط اصاب ارباب الفنون والعلماء من الاعتبار في رومية ما يساويهم بتاجر غني . قال لوسين احد كتاب اليونان : « متى صرت مثل فيدياس النقاش اليوناني تصنع الف قطعة بدیعة من النقوش لا يرعب احد ان يتقيل مثالك لانك مها بلغت من الخدمة لا يطلق عليك الا لقب صانع ولست اذ ذاك غير رجل يعيش بكد يمينه »

لوكلوس - ولد لوكلوس وهو مثال الروماني الحديث سنة ١٤٥ من أسرة شريفة وعنية جداً ولدا سهل دخوله في سلك ارباب المناصب والتصرف واشتهر في عزواته الاولى بانه يعطف على المغلوبين ويعاملهم باللطف ثم عين قنصلاً وقاد الجيش الذي اندب لقتال ميتريداتس . وقد رأى سكان آسيا ساخطين من كثرة السرقة وفضاعة العسارين فعني بجعل حد لتلك الاعمال وحظر على حنده ان ينهبوا المدن المغلوبة وبذلك جلب لنفسه حب الآسيويين الباطل وبغض العسارين والجنود الخطر . فدست الدسائس لتستدعيه حكومته وكان قد هزم ميتريداتس واحذ يطارده وهو سائر الى حليفه ملك ارمينية وقد هزم جيشاً من البرابرة بجيشه الصغير المؤلف من عشرين الف مقاتل فسلبت منه القيادة وسلمت الى بومبي نديم العسارين وحببيهم

واذ ذاك اعتزل لوكلوس الاعمال للاستمتاع بما جمعه في آسيا من الثروة واصبح يملك في احياء رومية حدائق غلبا وله في نابولي مصيف قام في البحر مبنياً بالحجر الصلد . وفي توسكولوم قصر صيفي وفيه متحف للاعلاق والنفائس فكان يقضي الصيف في توسكولوم بين اصحابه وجماعة العلماء واهل الادب يطالع مصنفات اليونان ويبحث في الادب والفلسفة . وتروى عن بذخه حكايات كثيرة . منها انه كان ذات يوم يتغدى وحده فرأى مائدته اكثر بساطة من العادة فويج الطاهي فاعتذر بقوله ان عدم وجود الضيوف هو الذي دعاه الى تقليل المآكل فاجابه لوكلوس : « اما علمت ان لوكلوس يتغدى اليوم عند لوكلوس ؟ »

ودعا يوماً قيصر و تيشرون فقبلا دعوته على شرط ان لا يغير شيئاً من عاداته فاكتفى
لوكلوس بان قال لاحد الخدمة فقط اجعل الطعام في قاعة ابولون وكانت المأدبة على غاية
من التأنق بحيث عجب منها المدعوان . ولما سئل عن اخلاله بشرط الضيافة قال انه لم يأمر
بشيء وان نفقات طعامه محددة بحسب القاعة التي تجعل فيها وان بسط الموائد في قاعة ابولون
لا يمكن ان يكلف اقل من خمسين الف فريك

وظلّ لوكلوس في رومية ممثلاً للاخلاق الجديدة كما كان كاتون يمثل الاخلاق القديمة
ويرى قدماء الرومان ان كاتون هو الروماني الصالح وان لوكلوس هو الروماني الفاسد ومع
هذا فقد كان لوكلوس يتعد عن عادة الاجداد ولذلك كان واسع المدارك حسن التربية
لطيف المأثى مفطوراً على العطف على الخدم والرعايا .

الاتقلاب الديني والعقلي

العبادات الجديدة — لم يكن بين ارباب الرومان وارباب اليونان من شبه حتى في
الاسماء ومع هذا اعتقد اليونان بان معظم الارباب المعبودة في رومية كانت اربابهم احبوا
ان يعترفوا بانها كذلك . والى ذلك العهد لم يكن للارباب الرومانية شكل خاص ولا
تاريخ معين وهذا مادعا الى الارتباك في حالتها مجرى تمثيل كل رب روماني على صورة رب
يوناني واخترعوا له تاريخاً وحكايات .

تخلطوا بين المستري اللاتيني وزيوس اليوناني وجونون مع هيرا ومنيرف ربة الذاكرة
مع بالاس ربة الحكمة وديان زوجة جانوس مع اريتمس الصيادة البديعة ومزجوا هر كول
رب السواد بهيرا كليس العالب على الغيلان . وهكذا دخلت الميثولوجيا اليونانية تحت
اسماء لاتينية واستحال ارباب رومية الى ارباب يونان . امتزجت الارباب بعضها ببعض
حتى اعتدنا ان نطلق على الارباب اليونانية اسماء لاتينية فلا نزال نقول اريتمس ديان
وبالاس منيرفا . وبالميثولوجيا اليونانية اعتاد الرومان ان يصوروا اربابهم في تماثيل كما
اقنيسوا ايضاً بعض الاحتفالات اليونانية وكانت الحكومة الرومانية ادخلت الى بلادها
عبادة ابولون وبدأ بعض الافراد يعبدون باحوس رب الكرمة . ويخففون من يعبدون باحوس
بعبادته من الليل سرّاً ولا يطلعون احدًا على حفايا العبادة بالباحوسية واحذ المجلس يحقق فرأى
المتعبدين بهذه العبادة سبعمائة شخص بين رجال ونساء اشتركوا معاً في هذه الاسرار ففضى
عليهم بالموت .

ثم ان الرومان اخذوا ايضاً يعبدون ما يعبد شعوب الشرق فقد كان سنة ٢٢٠ سي في

رومية معبد للرب سيراييس المصري فامر مجلس الشيوخ بهدمه فلم يجسر احد الفعلة على ذلك وبقى المعبد لا يمس بسوء حتى جاء القنصل بنفسه فضرب ابوابه بالفأس وبعد سنين اي في سنة ٢٠٤ خلال حرب هانيبال بعث مجلس الشيوخ الى آسيا الصغرى بوفد للبحث عن المعبودة سيبييل وكانت هذه الام الكبرى كما كانوا يدعونها مصورة على حجر اسود فاتي بها مندوبو مجلس الشيوخ باحتمال حافل وجعلوها في رومية وقد لحق بها كهنتها واحذوا يطوفون التوارع على اصوات الازامير والصنوج لابسين البسة شرقية وهم يتوكفون الاكف على الابواب

تم غصت بلاد ايطاليا بالسحرة من الكلدان ولم يكن العامة يعتقدون وحدثهم بهؤلاء العرافين . ولما هدد رابرة السمر مدينة رومية سنة ١٠٤ تقدمت عرافة من سورية اسمها مارتا فعرضت على مجلس الشيوخ الروماني بانها لتوسط في غلبة رومية على عدوتها فطردها مجلس الشيوخ ولكن النساء الرومانيات بعنن بها الى المعسكر فاقاها مازيوس القائد العام لديه وما فتى يا حذرأبها الى ان وصعت الحرب اوزارها . ورأى سيللا في نومهرنة كابودسيا فعمل بنصيحتها وسار الى ايطاليا .

السفسطائيون — لم يكن يأتي الى رومية كهنة وعرافون فقط بل كان يرل فيها فلاسفة يحنقرون الدين القديم . ومن اشهرهم كارنياد سفير الآتيين فانه كان يصرح بافكاره في رومية امام الجمهور فيحرف شبان الرومان الى سماع اقواله حتى اراد مجلس الشيوخ على الخروج من المدينة الا ان الفلاسفة ظلوا على بت مبادئهم في رودس وآتينة حتى اصبح من السنن المألوفة ان يبعث الرومان نفتياهم الى تينك المدينتين يتعلمون فيها الفلسفة

وفي القرن الثالث قبل المسيح ألف ايفهمير اليوناني كتابا نبي فيه وجود الارباب واما ليست الا رجالا ألهم الناس حتى ان المشثري نفسه كان ملكا على كريت . فانتشر كتابه اي انتشار ونقله الشاعر انيوس باللاتينية . وعلى هذا النحو احد اشرف رومية يسخرن من اربابهم ولم يقوا من الدين القديم الا على مراسيمه وظواهره (١) وكان اهل الطبقة العالية في المجتمع الروماني مدة زهاء قرن يعتقدون بالحرافات اعتقاد سفسطائيين لا يؤمنون بشيء الحياة العقلية — كان غاية ما يعلم اليونان الاقدمون اولادهم القراءة فقط في الزمن الذي كان فيه بوليب في رومية (قبل سنة ١٥٠) ويعهد المحدثون من الرومان بتعليم ابنائهم الى مربين من اليونان ولذلك افنتح اناس من اليونان في رومية مدارس لتعليم الشعر والبلاغة والموسيقى . وكانت الاسرات الكبرى لتقسم الى اناس يتعلمون على الطريقة القديمة وأحرين (١) قال شيشرون : يجب ان نبتي على عادة اخذ الطالع لثلاث نسم العامة في معتقداتهم

على الحديثة . ولكن بقي في الاذهان شيء من الموسيقى والرقص فكأبوا ينظرون اليهما بانهما من الصناعات المهينة بمن يتعاطاها اذا كان كريم المحتد . قال سبيون املين حامي اليونان في كلامه على مدرسة رقص كان يختلف اليها بنون وبنات من الخاصة : ما كنت اتوهم عند ما ذكر لي ذلك ان اناساً من الاشراف يعلمون مثل هذه الامور لاولادهم ولما اخذوا بيدي الى مدرسة الرقص رأيت فيها زهاء خمسمائة صبي وست وفي جملتهم ولداً شريفاً في الثانية عشرة من عمره وهو احد المرشحين للانتخابات برقص على اغمات البوق « كروتال » وقال سالوست في كلامه على عقيلة رومانية قليلة الاعتبار انها كانت تصرب على الطنبور وترقص احسن مما يليق « امرأة محتتمة » .

التربية — استهوى ساء الرومان حب الادبان الترقية والبذخ الشرقي في اسرع ما يكون فكن يذهبن زرافات ررافات الى معابد باحوس ومساجد ايزيس . وقد سنت لهن قوانين يمنعن بها من لبس الالبسة التميئة وركوب العجلات واتخاذ الحلي والجواهر ولم تلبت ان اغتبت فصار النساء في حل من ان يلبسن كالرجال ما يتسأن . وانقطع النساء النبيلات عن العمل والجلوس في بيوتهن وانشأن يخرجن في أبهة ويختلفن الى دور التمثيل والملاعب والحمامات والمجتمعات . واذ كن بلا عمل ومن الجهل على جانب سرى الفساد اليهن في الحال حتى اصبح النساء الطاهرات في طبقة الاشراف من النوادر

سقط النظام القديم في تربية الاسرات وجعل القانون الروماني الزوج سيد زوجته واندعوا صرباً جديداً من الزواج يجعل المرأة تحت تصرف ايها ولا يكون للزوج ادى سلطة عليها وكان الآباء يجيرون بناتهم بجهاز وصداق ليجعلوهن اكثر استقلالاً .

وكان من حق الزوج وحده ان يطلق امرأته ومن العادة ان لا يحاد عن هذا الحق الا في احوال استثنائية شديدة فصار للمرأة الحق ان تترك زوجها واصبح منذ ذلك العهد من اهل اللين ان يفصم الزوجان عرى ارتباطهما ولم يعودا يحتاجان الى حكم حاكم ولا الى سبب مشروع ويكفي احد الزوجين متى استاء من زوجه ان يقول له : « احمل ما يحصك واعد لي ما املكه » وبعد الطلاق بتيسر اكل منها بل للمرأة ايضاً ان يتزوجا في الحال .

وبلغت الحال في الطبقة الرومانية العالية ان تعتبر الزواج عقداً مؤقتاً فقد تزوج سيللا بنخمس نساء وقيصر باربع وبومبي بنخمس وانطونيوس باربع . وتزوجت ابنة شيترون من ثلاثة رجال وطلق هورتانسيون زوجته ليزوجها من احد اصدقائه

بيد ان هذا الفساد لم يصب غير اشراف رومية ومن هذا حذوهم من اهل العممة الحديثة

اما في أسرار رومية والولايات فقد حفظت قروناً آداب الدور القديم القاسية الشديدة واخذت تربية الاسرة ترق شيئاً فشيئاً والمرأة تحرر من استبداد الرجل سطاء

التبدل الاجتماعي

زوال الطبقة الوسطى — كان الشعب الروماني القديم مؤلفاً من صغار ارباب الاملاك وهم يتعاطون زراعة حقولهم بانفسهم ومن هؤلاء الفلاحين الصالحين الاقوياء يتألف الجيش والمجلس . وكان عددهم كثيراً سنة ٢٢١ خلال الحرب الفينيقية الثانية . وفي سنة ١٣٣ لم يبق منهم احد . لا حرم انه هلك منهم كثيرون في الحرب التي اعلنتها رومية على البلاد القاصية ولكن هلاكهم يُحمل في الاكثر على انه كان من المتعذر عليهم البقاء . فقد كانوا يعيشون من زراعة القمح عند ما احدثت ترد على رومية حبوب صقلية وافريقية فسقطت اسعار الحنطة بحيث لم يتيسر للحرثين الايطاليين ان يستخرجوا من علاتهم ما يعدون به اسراتهم ويحملوا اعباء الخدمة العسكرية فقصي عليهم من ثم ان يبيعوا حقولهم فيبتاع كل غني من جاره الفقير ارضه فعدت الحقول الصغيرة ملكاً عظيماً لواحد وصير ارباب الاملاك من تلك الاراضي مروجاً يقيمون فيها ماشينهم واذا عنّ لهم ان يررعوها يبعثون اليها برعاة وحرثين من العبيد بحيث لم يمض قليل حتى لم يبق على ارض ايطاليا الا بعض كبار ارباب الاملاك وجماعات من العبيد . وكان بلين القديم يقول ان الاملاك العظيمة قد اخطأت ايطاليا ومع هذا فالدوائر العظمى هي التي قضت في الارباب على احرار الفلاحين . فصاحب الارض القديم الذي اباع حقله لم يستطع ان يبقى اجيراً بل قصي عليه ان يتخلى عن مكانه ليحل محله العبيد وبذا اصبح هائماً على وحيه لا يعمل له ولا تتعل قال فارون في رسالته في الرامة ان معظم زعماء الاسرات دخلوا بيوننا تاركين المنجل والمحراث وآبوا يؤثرون التصفيق بايديهم في الملاعب على العمل في حقولهم وكرومهم .

الطبقات الاجتماعية — ليس الشعب في رومية كما هو في يونان عبارة عن مجموع السكان بل هو مجموع الوطنيين وكل رجل ينزل أرض البلاد لا يعد وطنياً بل الوطني هو الذي له حق التمتع بحقوق الوطنية . وللوطني عدة امتيازات فله الحق وحده ان يكون عضواً في الهيئة السياسية وله الحق وحده ان يقترح في مجالس الشعب الروماني وان يخدم في الجيوش الرومانية ويحضر احتفالات رومية المقدسة وينتخب حاكماً رومانياً وهذا ما يسمونه بالحقوق العامة . وللوطني الحق وحده ان يحمي القانون الروماني ويحق له فقط ان يتزوج على طريفة مشروعة ويكون رب أسرة أي حاكماً مطلقاً على زوجته وأولاده وان يوصي بما يتناه ويبيع ويبتاع ممن يتناه وهذا ما يسمونه بالحقوق الخاصة

. ولا يحرم من لم ينالوا حق الوطنية الرومانية من الخدمة في الجيش والمجلس فقط بل لا يسوغ لهم ان يكونوا ازواجاً ولا آباءً ولا أصحاب أملاك مستروعة ولا ان يتقاضوا الى القانون الروماني ويحاكموا في المحاكم الرومانية ولذا تألفت من الوطنيين طبقة من الاشراف بين سواد الامة من غير طبقتهم الا لا يتساوون بينهم أيضاً . فبينهم فرق في الطبقات أو كما يقول الرومان في الصفوف .

النبلاء - النبلاء هم في الصف الأول من الامة فكل وطني يعد في النبلاء اداسبق لاحد أجداده ان تولى شيئاً من امر الامة لان الحكم في رومية من علائق الشرف يبيل به من تولاه كما يكون بضعة شرف لا خلافة من بعده . اذا نصب احد من الوطنيين ناظر الملاعب والاشية أو قاضياً أو قنصلاً تحلج عليه حلعة مطررة بالارحوان ويحج كرسياً كالعرس ويحج له ان يرسم ويصور . وهذه الصور عبارة عن تماثيل صغيرة تعمل من الشمع اولاً ثم تطلي بالفضة وتجعل في مرار الدار (انريوم) بالقرب من الكاون وارباب البيت وتجعل في محادع خاصة بها كما تجعل الاصنام ويعبدها الدرية من اهل البيت . ومتى مات احد في الاسرة يخرجون الصور ويحرونها على مركبة في موكب و يأخذ احد اسباء المتوفى بعد مصماته ويرثيه . وهذه الصور هي التي تشرف الاسرة كلما احتفظت بها وكلما كثرت الصور في أسرة تزداد شرفاً فيقولون فلان شريف بصورة او شريف بعدة صور . والاسر الشريفة في رومية قليلة جداً (ولم يكن فيها اكثر من ثلثائة امرة) لان المناصب التي تولى صاحبها ترفاً توسد في العال الى اناس حازوا الشرف من قبل

الفرسان - تجيء طبقة الفرسان بعد طبقة النبلاء . وهم أعنياء الوطنيين الذين لم يعهد لهم حدود من الحكم فتقيد ترواتهم في سجلات الاحصاء ويبيعي ان لا يقل ما يملكه احدهم عن اربعمائة الف سسترس (او مئة الف فريك) مهمم التجار والصياف والملازمون وهم لا يحكمون بل يغتنون . ولهم في دور التمثيل اما كن خاصة بهم تقع الى ما وراء مقاعد طبقة الاشراف . وربما ساع للعارس منهم ان ينتخب حاكماً وعندها يدعوهم الرجل الحديث النعمة ويصبح ابنه شريفاً

العامة - العامة هم غير طبقة الاشراف والفرسان وهم جمهور الامة ويكونون من سل اناء البلاد في ايطاليا وينقلون من فلاحين اصحاب املاك الى وطنيين رومانيين . و يعد في طبقتهم العبيد المعتوقون او قدماء العبيد واناؤهم . ويحافظون على محيرات اصولهم ولا يقبلون في خدمة الجيش الروماني ولا ينتخبون الا بعد غيرهم . ولقد مصت ازمان وصغار ارباب الاملاك يؤلفون السواد الاعظم من الامة وبينما كانت الارباب تصفر من قلة

الناس عصت رومية بالواردين عليها فانها لعلها اليونان والسوريون والمصريون والآسيويون والافريقيون والاسانيون والغاليون ممن أخذوا من بلادهم وبيعوا ببيع العبيد تم اعتقالهم مواليهم فاصبحوا وطنيين ضاقت بهم المدينة فهم كانوا شعباً حديداً ليس له من الرومانية غير اسمها

حطب سيون غازي قرطاجنة ونوماس جمهوراً من الناس في احدى الساحات فقاطعه العامة ناصواتهم فقال لهم: « صر ايها الابناء الادعياء المتسبون لايطاليا زوراً فمن العبت ما نفعلون لان من جلبتهم الى رومية مقيدين لاهابهم ولو حلت قيودهم » وهذه الطبقة الجديدة من السوق تعيش بكدها او يقضى على الحكومة ان نطعمها وقد احدثت الحكومة سنة ١٢٥ تقدم لعامة الوطنيين حنطة نصف تمنها المعتاد تأتيها من صقلية وافر يقية . ومنذ سنة ٦٣ احدثت توزع الحنطة مجاناً وتشفعها بريت . ورأى قيصر سنة ٤٦ ان من كانوا يناولون هذه الحراية بلغوا ٣٢٠ ألفاً

العبيد - جميع الاسرى وسكان البلد المفتوح ملك للفاتح يتصرف فيهم فاذا اشى عليهم ولم يقتلهم يستعبدهم له . هكذا كان الحق القديم . وقد ظل الرومان يعملون به بالحرف يعاملون الاسرى كأنهم بعض العنينة يبيعونهم من الخاسين الذين يتبعون الجيش واذا حملهم الى رومية فانما يحملونهم لبيعهم في المزاد (١) وهكذا كانوا يبيعون عقيب كل حرب الوفاً من الاسرى رجالاً ونساءً والاولاد الذين يولدون من اسيرات يكونون اسرى كامهاتهم فالام المعلوبة للرومانيين هي مادة الرقيق الروماني

العبد ملك صاحبه فهو لا يعتبر اعتبار شخص بل اعتبار متاع فمن تم ليس له حق من الحقوق فلا يكون وطنياً ولا مالكاً ولا زوجاً ولا ابناً . قال احد الابطال في رواية هرلية رومانية . « اي شيء هذا أعرس عبيد ما اعجب عبداً يتزوج ! ان هذا مخالف لعادة جماع الام » .

ولمولى جميع الحقوق على عبده يرسله حيث يريد ويشعله على ما يرى بل يشغله اكثر من طاقته ويطعمه احسن طعام ويصره ويمدبه ويقنله دون ان يسأله احد عما جنى . وعلى العبد ان يخضع لرغائب سيده كلها . ويقول الرومان ان العبد لا وحدان له وان الواجب عليه ان يطيع مولاه طاعة عمياء فاذا قاوم او ابقى من بيته فالحكومة تعاون سيده على قمع (١) نقام سوق الرقيق في كل مدينة ذات شأن كما نقام سوق للبقر والخيول فيعرض العبد الذي يراد بيعه على دكة وقد نيطت في عنقه بطاقة كتبت فيها سنه وصفاته وعبوبه

جماحه او القبض عليه وكل من يؤوي عبداً آبقاً تجري عليه احكام اللصوص كأنه سرق بقرة او حصاناً لغيره .

والعبيد في المملكة الرومانية اكثر من الاحرار ويملك اغنياء الوطنيين من عشرة الى عشرين الف عبد وعند بعضهم منهم من يكفون اتجنيد جيش كامل . وكان لسيلوس ايزدوروس احد قدماء العبيد زهاء اربعة آلاف عبد وكان عند هوراس سبعة ابيد فكان يشكو من فقره . ومن علائم الفقر في رومية ان لا يملك المرء سوى ثلاثة ابيد . واذ كان العبيد يعملون اسقى الاعمال او يسترسلون في البطالة مكرهين وهم ابداء عرضة للضرب بالسياط والتعذيب اصبحوا بحسب وطهرهم اما متوحشين اغبياء او اندالاً مستعبدين ومن كان منهم على تبيء من التهامه ينحرون وغيرهم يميتون كالآلة السماء . وكان السبخ كاتون كثيراً ما يقول : على العبيد دائماً ان يعمل او ينام . ومعظم العبيد يفقدون الاحساس والشرف ولذلك كانوا يقولون هذا عمل عبيد يريدون به انه دنيء رذل

الحياة السياسية

الحكام — ينتخب الشعب كل سنة رجالاً يتولون امره ويفوض اليهم السلطة المطلقة و يطلق عليهم اسم الحكام « اي ولاة الامر » فيسير امامهم حملة الفؤوس يحملون حزمة من القضبان وفأساً . ومعنى هذا الرمر ان للحاكم ان يضرب ويقتل على ما يراه مناسباً ومن حق الحاكم ايضاً ان يرأس مجلسي الامة والتيوخ وان يكون له محل في المحكمة ويقود الجيوش وهو السيد المسود في كل مكان فيجمع المجلس ويفضه بحسب ما يرى ويصدر الاحكام برأيه وحده .

وفي زمن الحرب يفعل ما يتشاء بالجند ويقنلهم دون الرجوع الى رأي ضباطهم . وقد كان مافليوس القائد الروماني في احدى الحروب التي أعلنت على اللاتين حظر على الخنود الخروج من المعسكر فدعا احد المقاتلين من جيش العدو انه الى المبارزة فخرج لبرازه وقتله فلم يعتم مافليوس ان قبض على ابنه واعدمه في الحال .

وللحاكم بحسب التعبير الروماني سلطة ملك ولكن هذه السلطة قصيرة موزعة وذلك لانه لا ينتخب الا لسنة واحدة وله رصفاء لم مثل سلطته في رومية فنصلان او حاكمان يتوليان امر الامة وقيادة الجيش وفيها عدة قضاة يتولون الحكم او القيادة بالنيابة ويصدرون الاحكام وهناك كثير من الحكام ومراقبان واربعة نظار للابنية والملاعب للنظر في الطرق العامة والاسواق وعشرة محامين عن حقوق السوق وصيارفة يتولون النظر في خزائن المملكة الاحصاء — ارقى الحكام هما الوكيلان المسيطران وهما مكلفان كل خمس سنين

بنظيم احصاء للشعب الروماني فيتمثل امام المكافين باحصاء جميع ابناء البلاد ليذكر والها وهم يقسمون الايمانات - اسماء هم وعدد اولادهم وعبيدهم ومقدار ثروتهم يقيد كل ذلك في سجلات خاصة . والقائمون باحصاء الامة هما اللذان يكتبان قائمة باسماء اعضاء مجلس الشيوخ والفرسان والوطنيين ويحددان لكل واحد مقامه في المدينة ثم هما مكلفان ايضاً بان يحضرا احتفال الثريا وهي حفلة عظيمة تقام للتزكية كل خمس سنين فيجتمع ذلك اليوم عامة الوطنيين في ساحة المربخ اجتماعهم في حرب ويطوفون ثلاث مرات حول المجلس يحملون ثلاث صحايا لتكبر عن السيئات وهي عبارة عن تور وبعجة وخدير يحرقونها ويرشون المجلس بدمها وبذلك تصبح المدينة مزكاة مطهرة وسليماً مع الارباب .

وللقائمين بالاحصاء الحق ان يقيدا وان يجعلا كل انسان في المنزلة التي يريانها ولها ان يجردا احد الشيوخ باسقاطه من قائمة مجلس الشيوخ وان لا يحسبوا احد الفرسان في جملة اهل طبقته او يجرمان احد الوطنيين بان يحدفا اسمه من سجلات القبائل . ويسهل عليهما عقاب من يرثهم مجرمين ويتجاوزان عن السيئات التي لا تقدر بمنطوق القانون . ولطالما رأوها يجردان والوطنيين لانهم لم يحسبوا التوفير على حقوقهم ولصرفهم كثيراً على خدمتهم وتجنبا احد الشيوخ لانه كان يملك عشرين ليبرات من الاواني الفضية واحر لانه اهمل تعهد قبور اجداده . وغيره لانه طلق زوجته . هذه السلطة المفترضة هي ما يطلق الرومان عليه « حكومة الاخلاق » فوكيلا الاحصاء هما سيدا المدينة على الجملة .

حاسة مجلس الشيوخ - يتألف مجلس الشيوخ من نحو ثلثمائة رجل يعينهم وكيل الاحصاء الا ان هذا لا ينصبهم كيفما انفق فلا ينتخب من ابناء البلاد الا الاعنياء اصحاب المكنة وسلالة الاسرات الكبرى ومعظمهم من قدماء الحكام ويختار على الاعلى دائماً اناساً كانوا في المجلس من قبل بحيث ان عصو مجلس الشيوخ يبق في هذا المصب طول حياته . مجلس الشيوخ هو محل اجتماع اهم رجال رومية ولذلك كانت لهم سلطة وسطوة

فاذا حدث امر يجمع احد الحكام اعضاء الشيوخ في احد المعابد ويعرض عليهم المسألة ثم يسألهم رأيهم فيها فيجيبه كل واحد بمفرده مراعين في ذلك مراتبهم في الشرف وهذا ما يدعى اخذ رأي مجلس الشيوخ ويسطر الحاكم بعد ذلك رأي الاكثرية وهذا ما يسمونه مرسوم ديوان الاعيان او الشيوخ ويكون قرارهم عبارة عن رأي لان ليس من حق مجلس الشيوخ ان يقنن القوانين . بيد ان رومية تعمل بهذا الرأي عملها بأمر مفروض . وللشعب ثقة بشيوخه لعلمه بانهم اكثر خبرة منه ولا يجراً الحكام على مقاومة مجلس مؤلف من اكفاء يساؤونهم في الشرف . ولذلك كان المجلس يفض جميع المسائل فيقرر الحرب ويعين

عدد الحيوش ويقبل السفراء ويعقد السلم ويفرض الدخل والخرج فيصدق الشعب على قراراتهم والحكام ينفذونها . وفي سنة ٢٠٠ قرر مجلس الشيوخ اعلان الحرب على ملك مكدونية فاجس الشعب خيفة ولم يوافق على ذلك فصدر امر مجلس الشيوخ بجمع المجامع من جديد وان يلقي عليهم خطاب يكون ابلغ في اقناعهم من الخطاب الاول وعندها لم يسمع الشعب الا الموافقة . وبذلك رأيت ان الشعب في رومية كان يحكم كما يحكم الملك في انكثرا ولكن كان الحكم لمجلس الشيوخ

المجالس والانتخابات — تسمى حكومة رومية « الجمهورية » اي متاع الشعب وجماعة الوطنيين المدعو بين شعماً كأنهم سادة مسنقلون في المملكة فمنهم الذين ينتخبون الحكام ويوافقون على الحرب والسلام ويسنون الترائع ويقول الفقهاء ان القانون هو ما امر به الشعب والشعب في رومية كما في آتينة لا يعين نوابا وعليه ان يوافق على كل شيء نفسه حتى ان حكومة رومية بعد ان قبلت في المدينة زماء خمسمائة الف رجل كانوا مشتتين في اطراف ايطاليا كلها اضطر الوطنيين للحصول على حقوقهم ان يحضروا بالمدات الى رومية .

ويجتمع الشعب في الساحة ويسمى المجلس « المجتمعات » يدعو الحاكم الى الالتئام برياسته وكثيراً ما يدعى الوطنيين الى الاحتجاج بصوت البوق فيذهبون الى ميدان العمل (ساحة المريخ) يصطفون فرقا تظلمهم اعلامهم وعندها يتألف منهم مجتمعات ذات فرق وكثيراً ما يجتمعون في ساحة السوق « الفوروم » منقسمين الى ٣٥ جماعة يسمونها القبائل فتدخل كل قبيلة في نواتها الى مكان مسور بسدود لتوافق على ما تقرره وتسمى المجتمعات بحسب القبائل . والحاكم الذي جمع المجلس يبين له المسألة التي يجب عليه الموافقة عليها ومتى فعل ينفذ . فمن تم كان الشعب حاكماً واكدته اعتداد الخضوع لرعائه .

والمجلس ايضاً هو الذي يختار كل سنة الحكام فينتخب بحسب الفرق جميع الحكام الذين كان انتخابهم الشعب قديماً مثل القماصل والقضاة وكلاء الاحصاء ونظار الابنية والملاعب . ومجلس القبائل ينتخب حكام اهل الطبقة المتوسطة ومحامي الشعب ونظار ابنية الشعب . وقد ضاقت ساحة الفوروم منذ القرن الثاني فاخذت تجتمع جميع مجالس الانتخابات في ساحة المريخ فنقسم الرحبة بجواز ذات مراتب صغيرة تلقب بجذائق الغنم فنقطع كل قبيلة الى احدى تلك الرحاب وتلاحظ كل قبيلة اكثرية الوطنيين في التصويت اذ ليس لكل قبيلة غير صوت واحد .

سلك المناصب — ليس تولي الحكم او المشيخة عن الامة في رومية صناعة من الصناعات فان الحكام والشيوخ يصرفون وقتهم ومالم دون ان ينالوا اجراً فمنصب الحكم في رومية

يعدّ من دواعي الشرف فلا يتطالّ اليه غير الاشراف او الفرسان على الاقل على شرط ان يكونوا اعياناً ثم لا يطمع امرؤ ان يبلغ ارقى مناصب الحكم الا بعد ان ينقلب في المناصب الاخرى ومن اراد يوماً ان يحكم على رومية يجب عليه اولاً ان تكون له في الجيش عشر وقائع وحملات وبعدها يسوع له ان ينتخب صرافاً فيعهد اليه النظر في احدى خزائن المملكة . ثم يصير ناظرًا للابنية والملاعب فينظر في امور الشرطة والبياعات وبعد ذلك ينتخب قاضياً ليجري احكام العدل وعقيب ذلك يصح قنصلاً ويقود جيشاً ويرأس المجالس وعندئذ تحدّثه نفسه بان يكون وكيل احصاء وهذه هي الدرجة التي دونها في العلوكل درجة لا يبلغها المرء قبل ان يبلغ الخمسين من العمر . فترى بهذا ان رجلاً واحداً يكون مالياً وادارياً وقاضياً وقائداً وحاكماً قبل ان يتولى وظيفة وكيل الاحصاء الغربية وهي عبارة عن تنظيم المجتمع وتسمى سلسلة هذه الوظائف سلك المناصب ولا تدوم كل وظيفة من هذه الوظائف الا سنة واحدة وللارتقاء للوظيفة التالية يقضي انتخاب جديد . ويجب على الموظف في خلال السنة التي نتقدم انتخابه ان يظهر في الشوارع بلا انقطاع ويسير كما يقول الرومان او يطمع في امتياز المنصب وان يلتمس اصوات الشعب والعادة في خلال هذه المدة ان يلبس حلة بيضاء وهذا معنى مرتج باللغات الافرنجية اي المكتسي بالبياض .

ادارة الولايات

التعوب الحاضرة — ما انقضى القرن الاول قبل المسيح الا وقد احضعت رومية . عامة الاقطار الواقعة حول البحر الرومي منذ اسبانيا الى آسيا الصغرى ولم تضاف هذه البلاد الى المملكة الرومانية ولم يصبح سكانها وطنيين رومانيين ولم تغد ارضهم ارضاً رومانية بل ظلوا غرباء وانصموا فقط الى هذه المملكة اي اهم اصبحوا تحت استيلاء الشعب الروماني كما ان الهنود اليوم ليسوا وطنيين انكليزاً بل هم رعايا انكلترا والهند جزء لا من انكلترا بل من المملكة الانكليزية فقط

فلا يصبح سكان البلاد المملوكة وطنيين في رومية بل يبقون غرباء اجانب ولكنهم رعايا الشعب الروماني يؤدون اليهم الجزية وعشر غلاتهم واناوة من المال ورسماً على كل رأس وعليهم ان يخضعوا لجماع ما يأمر ونهيه به واذا ليس في استطاعة الشعب ان يحكم بالذات ليعت محكام يندبهم لان يحكموا عنه وكل بلد خاضع لوال كان يسمى ولاية ومعناها «المهمة» كان في اواخر عهد الجمهورية (في سنة ٤٦) ١٧ ولاية منها عشر في اوروبا وخمس في آسيا وتنتان في افريقية ومعظمها مننائية الاطراف جداً فلم تكن بلاد الغال كلها سوى اربع ولايات واسبانيا ولايتين . قال شيشرون ان الولايات املاك الشعب الروماني فاذا اخضع

هذه الشعوب بأسرها فذلك طمعاً في فائدتها لا لاجل منفعتها ولذلك لا يتوحى ان يدير تلك الولايات بل يحرص على استئثارها .

الولاية — يتخذ الشعب حاكماً لإدارة كل ولاية وهو اما ان يكون قنصلاً او قاضياً حرج من الوظيفة فيطيل امد سلطته و ايس هذا الموظف الكبير قنصلاً بل هو وال يترى عن القنصل والوالي كما للقنصل سلطة مطلقة يسير فيها على هواه لانه وحيد في ولايته (١) وليس لديه حكام آخرون ينازعونه السلطة ولا محامون عن الطبقة الوسطى ليصدوه عما يريد ولا مجلس تشويح يسيطر على اعماله فهو وحده يقود الحيوس ويحملهم على القتال ويرل بهم حيثما يشاء فيتخذ له مقاماً في محكمته حاكماً ، الغرامة والسجن والموت ويصدر اوامر تكون قانوناً متبعاً وله وحده السلطة المالية لان فيه يتجسد الشعب الروماني

وكان هذا الحاكم الذي لا يقاوم مقاوم مستنداً حقيقياً فيقبض على من يريد ويحبس و يضرب بالعصي و يعدم من لا تروقه حالتهم واليك ممالا من ألوف الامثلة التي كان الحكام يجرون فيها مع الهوى كما رآه احد خطباء الرومان قال . « جاء القنصل مؤجراً الى تيانوم نخطر لامرأته ان تلد بالاستحمام في حمامات الرجال فاحرج من الحمام الرجال الذين كانوا يستحمون فيه فتكت المرأة من انطانتهم وقلة استعداد الحمام فنصب القنصل عموداً في الساحة العامة واحصر اشهر رجل في المدينة يجعله عليه فخر من يباهه وضرب بالعصي » والوالي يأخذ من ولايته ما يستطيع من المال وينظر اليها كأنها ملك له ولا تعوزه الوسائط لاستئثارها بل يمد يديه الى حرائن المدن ويرع التايل والحلي الموسوعة في المعاند ويحبي من السكان الاعياء اتاوات من المال او البر . واد كان له الحق ان يرل حموده حيث اراد فالمدن تقدم له المال لتعنى من قبول حموده واد كان في حل من ان يعدم كل من يترآءى له فالافراد يعطونه المال ليأمنوا عائلته . وادا طلب شيئاً بعيداً او مبلغاً من المال يجاب في الحال الى ما طلب ولا يجراً امرؤ ان يأتي عليه طلبه واتباعه يسرون على مثاله وينهبون باسمه بل بحمايته ويسرع الوالي في جمع المال اد الواجب عليه ان يعتني في سنة ولعدها يعود الى رومية ويحمله آخر يعود بتل ما بدأ فيه سلفه .

على ان هناك قانوناً يحظر على كل وال ان يقبل هدية ومحكمة مخصوصة (منذ سنة ١٦٩) نظري دعاوي الاحتلاس . بيد ان هذه المحكمة تؤلف من طبقة الاشراف والفرسان الرومانيين فلا يرون ان يحكموا على ابن بلدهم والعاقبة المهمة في هذه الطريقة كما قال شيترون

(١) كانت تبق رومية في بلاد الشرق بعض اقبال اي ملوك صغار مثل الملك هيرو في بلاد اليهودية ولكنهم يؤدون الجربة ويخضعون للحاكم او الوالي الروماني .

ان يضطر الوالي الى اخط يده في السلب من ولايته ليتسنى له ان يرشي الخلفين في المحكمة ولا ينبغي العجب اذا رأينا اسم الوالي مرادفًا لاسم مستبد ومن اشهر هؤلاء اللصوص فيريس والي صقلية وقاضيا وقد حطب في بيان اعماله الحطيب تيشرون لاسباب سياسية خطبًا اشتهر بهاد من المحتمل ان كثيرين مثله قد اتوا ما اتاه .

العتارون — كان للشعب الروماني في كل ولاية مواد مهمة من الجمارك والمناجم والصرائب والحقول الهلجة لزرع الحنطة والمراعي يؤجرونها من شركات متعهدين يسمونهم العتارين فكان هؤلاء مثل المزارعين العموميين في فرنسا قديمًا يتناعون من الحكومة حق جباية الحراج ويجب على سكان الولايات أن يطيعوهم كأنهم وعود الشعب الروماني وكان في كل ولاية عدة شركات من العشارين ولكل شركة مستخدمون من الكتاب والحباة يظهرون في مطهر السادة ويثألون أكثر مما يجب لهم أخذه ويسلبون نعمة الاهلين وكثيرًا ما يبيعونهم كما يباع الرقيق وكانوا يأخذون في آسيا حتى السكان بدون سبب ولما طلب ماريوس من ملك بينثيا ان يقدم له جنديًا أجابه الملك ان العتارين لم يبقوا عنده من الرعايا عبر النساء والاطفال والشيوخ وقد عرف الرومان هذه المظالم حق معرفتها وكتب الحطيب تيشرون الى ابيه وكان هذا كما اد ذاك . « ادا وفقت الى طريقة ترصي بها العتارين دون ان تهلك سكان الولايات فتكون قد رزقت مهارة رب » بيد ان العتارين كانوا قضاة في محاكمهم حتى ان الولاة انه هم حاضون لهم . وقد اراد سكاروس والي آسيا المشهور بالافراط في العفة ان يمنع العشارين من اطلال اليد الادي في ولايته فلما عاد الى رومية رفعوا عليه شكوى وحكموا عليه

ولطالما اتار العشارون سيجط سكان الترق الحاضعين الساكنين فقد ذبحوا بامر ميتيريدانس في ليلة واحدة مئة الف روماني وبعد ترن اي على عهد المسيح كان اسم عتار مردافًا لاسم لص .

الصارف — جمع الرومان في بلادهم تروة الامم المغلوبة ولذلك كانت الدراهم كثيرة جدًا في رومية ونادرة جدًا في الولايات فكان في رومية يمكن الاقتراض بفائدة اربعة او خمسة في المئة اما في الولايات فلا يجرد المستدين مالاً يقرضه ناقل من انبي عشر في المئة . وكان الصارفة الرومان يقرضون مالا من رومية ويقرضونه للولايات ولا سيما باسم الملوك او المدن

واذا لم يستطع المستدين ان يوفي رأس المال و رباها يعمد الصارفة في ثقاضي اموالهم الى الطرق التي يستعملها العشارون فقد اقترضت مدن آسيا سنة ٨٤ على نية ان تدفع مبلغا

كبيراً لتستعين به على الحرب فبعد اربع عشرة سنة فقط اي في سنة ٧٠ صار المبلغ نفوانده ستة اضعاف ما كان فاضطر الصيارفة مدن آسيا ان تبيع حتى التحف والطرف وقد شوهد انون يبيعان اناءها وبناتهما . وبعد بضع سنين افرض برونوس من حكام الرواقيين ومن اشهر رجال عصره من الرومان واعلامهم كعباً ومكانة لمدينة سلامينة في قبرص مبالغاً من المال نفائدة ٤٨ في المئة (اي ٤ في المئة كل شهر) فلما طالب وكيله سكاتيوس بالمال مع فائضه تعذر على المدينة ان تؤدى اليه مطلوبه فقصد سكاتيوس الوالي ايوس فاصحبه هذا بفرقة من الفرسان فجاء الى سلامينة وحاصر مجلس شيوخها وكان اعضاؤه في قاعة الجلوس فمات خمسة منهم جوعاً

رعايا رومية — كان سكان الولايات لا حول لهم ولا طول مع هؤلاء الظالمين باسراهم وذلك لان الولاة كانوا يماثلون العشارين والصيارفة على رغائبهم ويأخذون بايديهم في كل ما يطلبونه ووراء الوالي الحيتس والتعب الروماني يعصده انه فكان يسمح للوطي الروماني ان يتسكى السلايين في الولايات ولكن لايمس الوالي بأذى ولا تتأني شكايته الا مرة واحدة عند ما يخرج من الخدمة فيصدر عليه الرعايا يسلبهم ويعتدي كما يشاء ريثما تنقضي مدته وادا اتهم عند عودته الى رومية فتكون محاكمته امام محكمة مؤلفة من الاشراف والعشارين ممن تكون مصالحتهم في معاضدته لاني احقاق الحق ورفع ظلامه اهل الولاية التي كان فيها واذا صادف ان حكمت عليه المحكمة يستعيز عن الحكم بالنفي فيذهب الى احدى مدن ايطاليا يتمتع بما فيه ايام ولايته وهذا القصاص لا يوازي ما اتاه التتة ولا يعد انتقاماً ولذلك كنت ترى سكان الولايات يؤثرون ان يجمعوا ولاتهم محصوعهم لهم فيعاملوهم كما يعاملون الملوك ويناقوهم ويهادونهم ويقيمون لهم التماثيل وربما نصبوا للوالي في آسيا هياكل (١) وبنوا لهم المعابد وعبدوهم كما يعبد الرب

ولئن عامل الشعب الروماني رعاياه بقسوة فلم يكن بأذى عليهم الاصلام اليه كما كان شأن المدن اليونانية بل ان الغريب يصبح وطنياً رومانياً ارادة الشعب الروماني والشعب يمنح هذه العاطفة احياناً وكثيراً ما يمنحها الى شعب برتمه فمنح حق الوطنية الرومانية الى اللاتين اولاً في سنة ٨٩ ومنح هذا الحق للطلينان في سنة ٤٦ ومنحه لاهل االيا فاصبح سكان ايطاليا والرومانيين سواء حتى ان العبد الذي يعتقه سيده يسوع له ان يكون وطنياً في الحال . وكما عرضت للشعب الروماني عوارض الضعف ونقص في الانفس يريد عدده

(١) ذكر تيشرون الخطيب الروماني المعابد التي اقامها له سكان سيسليا التي كانت والياً عليها .

برعايا جدد وعبيد جدد فكان عدد الوطنيين يريد في كل احصاء ولا ينقص فبلغ عددهم في قرنين من ٢٥٠ الفاً الى ٧٠٠ الف . وهكذا ظلت رومية عاصمة بالسكان ولم تحمل منهم كما حلت اسبارطة بل كانت تمتليء بالقادمين اليها من المعلوبين على التدرج .

قانون الاراضي

الا املاك العامة — متى طلب تبع تلبه رومية على امره ان يعقد معها الصلح يجب على نوابه ان يلفطوا بالجملة الآتية « نتخلى لكم عن الشعب والمدينة واخقول والمياه وثمانيل الارباب الحامية للحدود والالات وجميع ما يملكه الارباب والناس قد جعلناه بيد الشعب الروماني » وهذا التسجيل تصبغ الامة الرومانية مالكة لما يملكه المعلوبون لهم ناسره بل مالكة حتى لا يتخاصمهم . وكثيراً ما يبيعون السكان وقد اناح بولس اميل مئة وحمسين الفاً من اهل اير على هذه الصورة كانوا استسلموا اليه . ومن العادة ان تمنح رومية لمن تغلب عليهم حريتهم وان تبقى املاكهم ملكاً للشعب الروماني يجعلونها ثلاث حصص متساوية . فيعطى للاهالي قسم من اراضيهم على ان يدفعوا شيئاً معلوماً من المال او الحبوب عنها وتحفظ رومية لنفسها الحق ان تاخذ منها كما تشاء . وتوخر الحقول والمراعي الى اناس من الملتزمين وتترك الاراضي البائرة شاغرة بأخذها من يريد ويحق اكل وطني روماني ان يقيم فيها ويررعها .

قوانين العقارات — شملت قوانين الاراضي التي احتلها نظام رومية الاملاك العامة وما كان لاحد الرومان ان يحظر في ناله برع الاملاك من اربابها لان حدود تلك الاملاك نفسها كانت ارباباً يدعوها آلهة التخوم والدين يمنع من نزعها . الا ان الشعب كان يستولي بموجب قانون الاراضي على اراض من الاملاك العامة فقط يوزعها بصفة ملك على مواطنيه وللشعب من حيث الشرع الحق في ذلك لان الاراضي كلها ملكة الا ان الرومانيين تسامحوا قرونا بان تركوا اناساً من رعاياهم او ابناء وطنهم يتمتعون بغلات تلك الاراضي وقد انتهت بهم الحال ان صاروا ينظرون الى تلك الاراضي كأنها ملكهم يجسونها وبيعونها ويتاعونها ولو أحدث منهم اقضي على جمهور عظيم من الامة بالافلاس في الحال . وقد حدث في ايطاليا خاصة ان يرع من اهل مدينة ناسرها جميع ما يملكون . هكذا برع اغسطس جميع اراضي مانتو من سكانها وكان الشاعر ورجيل في جملة المنكوبين فواصل بفضل شعره الى ان تعاد له املاكه ولكن سائر الشعب الذي لم يكن شاعراً كفرجيل بقي مسلوباً من املاكه . وتوزع هذه الاراضي المأخوذة على تلك الصفة احياناً على اناس من فقراء الوطنيين في رومية وفي الاعلب على جماعة من قدماء الجند وقد وزع سيللا اراضي اهل ايروربا على ٢٠ الفاً من قدماء الاجناد .

الاخوان الاشراف الكيان - كان الشقيقان تيبيريوس وكايوس غراشوس من اشرف
أسرات رومية ولكن حاول احدهما بعد الآخر وقد تولى زعامة السوق ان يدع الحكومة
من يد الاشراف الذين يتألف منهم مجلس الشيوخ .

وكان في ذلك العهد في رومية بل في ايطاليا جمهور كبير من الوطنيين لا سبد لهم ولا
لبد يلطمحون الى احداث ثورة ومنهم الاعنياء ومعظمهم من طبقة الفرسان الذين يتكبن
من حرماهم من الحكومة . فعرض تيبيريوس غراشوس نفسه على ان يتولى الدفاع عن
العامّة وسعى الى توطيد سلطته هذه وكان في قلق مما يراه في بلاد الاريايف في ايطاليا
من اقامة الرعاة العبيد يحلفون قداماً اصحاب الاملاك الملاحين ومن رؤية رومية خاصة
اناس من الوطنيين لا يملكون فتيلاً ولا تقيراً

قال مرة في خطاب له يحاطب به العامة . « للوحوش البرية في ايطاليا معاور تأوي
اليها والرجال الذين يهريقون دماءهم في الدفاع عن بيضة ايطاليا ليس لهم الا النور والهواء
الذي يستنشقهون هيمون على وحوهم مع ارواجهم وانائمهم لا بيوت تؤويهم ولا منازل
يسكنونها . الا وان القواد الذين يحرضونهم على الدفاع عن مدافعهم ومعايهم ليكذبون في
اقوالهم . وليت شعري هل ملك واحد منهم حتى الآن مذبحاً مقدساً في بيته ومدفنأ يضم
رفات اجداده . يدعونهم سادة الارض وهم لا يملكون مدرة منها »

فاقترح على الشعب . ان قانون للاراضي وذلك بان تأخذ الحكومة من الافراد جميع
الاراضي التي هي من المنافع العامة فتضع يديها عليها ويترك لكل فرد منهم حسمائة
فدان . يوزع الباقي من الاراضي حصصاً صغيرة على فقراء الوطنيين فوافق المجلس على هذا
القانون محدث بذلك اضطراب عام في نظام التروات لان معظم اراضي المملكة على
التقريب كانت من الاملاك العامة ولكن وضع الواضعون ايديهم عليها واعتادوا ان يعتبروا
انفسهم مالكيها . على انه كان كثيراً ما يصعب التمييز بين الملك الخاص والملك العام اد لم
يكن للرومانيين مجالات للاراضي .

فاقام تيبيريوس ثلاثة مفوضين عهد اليهم قسمة الاراضي كما ان الشعب أعطاهم سلطة
مطلقة . وكان هؤلاء المفوضون هم تيبيريوس نفسه وأخوه وعمه . فقام حصوم تيبيريوس
يتهمونه بانه سن قانون الاراضي ليتخذ من ذلك حجة لتكون له بها السلطة . ثمضت
سنة وهو الديد المتحكم في رومية ولكنه لما أراد ان ينتخب محامياً من العامة عن السنة
التالية اقام أعداؤه الحجة (وهذا كان منافياً للعادات المتبعة) فمستات من ذلك فنتنة انتهت

بأستيلاء تيبريوس وأصحابه على معبد الكابول فنهض أنصار مجلس الشيوخ وعبيدهم مسلمين بالدبايس وخشب المقاعد وطاردوا تيبريوس واتباعه وضربوه (١٣٣) و بعد عشر سنين انتخب كايوس أصغر الاخوين غراشوس محامياً عن الشعب (١٢٥) و جدد التصديق على قانون الاراضي وقرر توزيع حنطة على فقراء الوطنيين وقرر ان يجري انتخاب القضاة من طبقة الفرسان ليتوصل بذلك الى هدم سلطة الاشراف فكانت كلمته هي العليا مدة حولين كاملين ولكنه لما قصد قرطاجنة ليسكن فيها جماعة من الطواريء (المستعمرين) الوطنيين تحلى الشعب عنه مدة غيابه حتى اذا عاد لم يتيسر له ان يعاد انتخابه اذ كان اعداؤه اعتموا تلك الفرصة للتخلص منه وعندها أمر الحاكم بتسليح اشياع مجلس الشيوخ وزحف على كايوس وأحبابه وكانوا اعتمموا في جبل افتتين فقتل كايوس بيد احد العبيد وذبح اشياعه أو ادموا في السجون ونقضوا بيوتهم من أسسها وصادروا املاكهم (١٢١)

ماريوس وسيللا

لم يكن النزاع بين الشقيقين غراشوس ومجلس الشيوخ الا عبارة عن هرج في شوارع رومية ينتهي بفتنة نشأ بين العصابات المسلحة على عجل اما الفتن التي حدثت بعد فكانت حروباً حقيقية بين جيوش منظمة وكان رؤساء الاحراب من القواد الحروب المدنية - ليس الشعب الروماني سوى مجموع فقراء لا عمل لهم وما الجيش الا حفنة من المتشردين نزاع الآفاق فلا المجلس ولا الكتائب خاضعة لمجلس الشيوخ لان الاشراف الفاسدين فقدوا كل سلطة اديبة لم يبق ثم سوى قوة حقيقية واحدة ونعني بها الجيش ولم يبق سطوة الا للقواد وقد أبى القواد ان يخضعوا فتعذر الحكم بواسطة مجلس الشيوخ حتى أصبح بيد القائد . وغدت الثورة لامناص منها ولكنها لم تنشأ دفعة واحدة بل تحمرت زهاء مئة سنة وكان مجلس الشيوخ يقاوم وقد امسى من الضعف بحيث لا يتيسر له ان يجري الاحكام بذاته على انه مازال على شيء من القوة تحول دون غيره من القبض على قياد الامة والقواد يتنازعون بينهم فيمن يكون السيد المتحكم وهكذا قضى الرومانيون قرناً يتخبطون في الفتن والحروب المدنية

ماريوس - كان اصل ماريوس القائد الاول الذي جعل جيشه تحت أمره في رومية من اربينوم وهي مدينة جبلية صغيرة ولم يكن من سلالة شريفة واشتهر بانه ضابط وانتخب محامياً عن العامة ثم قاضياً بمساعدة الاشراف له . ثم انتخب عليهم وانتخب قنصلاً وعهدت اليه محاربة جو كورتا ملك النوميديين الذي بدد شمل عدة جيوش رومانية

وعندها جند ماريوس جماعة من فقراء الوطنيين ممن أصبحت الخدمة العسكرية صناعتهم فتغلب ماريوس بجيشه على جوكورتا واهلك الشعوب البربرية كالسمايين والتوتون ممن اغاروا على غاليا وايطاليا الشمالية . واذ لم يكن للشعب ثقة في غيره اقيادة الجيش اتخذه قنصلاً ست مرات متوالية خلافاً للقوانين المتبعة

عاد الى رومية بعد هذه الانتصارات فاصبح مطلق اليد في الحكومة وعندئذ تألف في تلك العاصمة حزبان دعيا انفسهما باسم حزب الشعب (وهو حزب ماريوس) وحزب الاشراف (وهو حزب مجلس الشيوخ)

الحرب الاجتماعية - ارتكب اشياح ماريوس من الفظائع ما انتهى بتلويث شهرته بين الناس فاغتنم أحد الاشراف من أسرة كورنيوليوس الكبيرة واسمه سيللا هذه الفرصة لينازعه السلطة وكان هو أيضاً من جملة القواد . وفي خلال ذلك استشاط الطليان غيظاً من قيامهم بمثل مايقوم به الرومانيون من التكاليف دون ان يكون لهم مثل امتيازاتهم فنزعوا الى مقاومته لينالوا حقوقهم المدنية وهذا مادعوه بالحرب الاجتماعية أي حرب مقاومة المتحالفين فيمتواجبوتاً كبيرة تقدم احداها على مقربة من رومية وكان سيللا هو الذي انقذ رومية بقتاله الطليان أشد قتال . وبعد حرب دامت سنتين (٩١ - ٨٩) خضع الطليان بيد انهم نالوا ماطلبوه وعدوا وطنيين رومانيين

سيللا - طارت شهرة سيللا في هذه الحرب فنصب قنصلاً وعهد اليه ان يزحف على ملك بحر الحزميتريداتس الذي اعار على آسيا الصغرى وذبح فيها الرومانيين عن بكرة ابهم (٨٨) فحمل الحسد ماريوس على ان يتيرفتنة في رومية فخرج سيللا للالتحاق بجيشه الذي كان ينظره في ايطاليا الجنوبية وعاد معه وكان الدين الروماني يحظر على الجنود الدخول الى المدينة وعليهم اسلحتهم وعلى الحاكم نفسه قبل ان يحتاز الباب ان يخلع عنه رداء الحرب ويلبس الحلة الرومانية فكان سيللا القائد الاول الذي حسر على خرق سياج هذا المنع ودخل الى رومية فانهزم ماريوس امامه .

ولما وصل سيللا الى آسيا عاد ماريوس في جيش له من المتشردين ودخل رومية بالقوة (٨٧) وعندئذ بدىء بقتل المعتدين قبل محاكمتهم وجعل خاصة اشياح سيللا تحت الاحكام العرفية بل صدرت اوامر الحكومة ان يقتلوا حيثما وجدوا وصودرت اموالهم ومات ماريوس بعد بضعة اشهر وظل سيناام انتصاره يجري احكامه في رومية ويقتل كل من لا تروقه حالته وكان سيللا في خلال هذه المدة قد تغلب على ميتريداتس وضمن اخلاص جنده له بان اباح لهم نهب آسيا على ما يشاءون . وقد عاد (٨٣) في جيشه الى ايطاليا

فبعث عليه خصومه بخمسة جيوش فانهزم بعضها وانحاز الآخر اليه ثم دخل سيللا الى رومية وذبح الاسرى وحنق انصار ماريوس .

الاحكام العرفية - بعد ان مضت بضعة ايام في المذابح شرع سيللا ينفذ الاحكام العسكرية على الاصول وعلق ثلاث قوائم باسماء من يريداهلا بهم قال : «اعلنت اسماء جميع من ذكرتهم وقد نسيت كثير امهم وسأعلن اسماءهم كلما حطروا في مالي » وكل من علق اسمه في قائمة المحكوم عليهم كان معداً للقتل ومن اتى برأسه ينال مكافأة وتصادر اموال القاتل وكان يقتل الواحد بدون محاكمة بل تحرد هوى القائد وبدون ان ينذر بالقتل . وعلى هذا الوجه لم يكتف سيللا بذبح اعدائه فقط بل قتل الاعنياء الذين كان يطمع في ثروتهم و يروى ان احد الوطنيين البعيدين عن السياسة نظر وهو مار الى قائمة المحكوم عليهم بالقتل فرأى اسمه مسطوراً في اول القائمة وهتف قائلاً : « ما اتعني فقد قتلي بقي في آل » و يقال ان سيللا قتل الما وتمائة الف فارس .

قوانين سيللا - بعد ان تحلص سيللا من خصومه حاول ان ينظم حكومة تكون السكينة فيها لمجلس الشيوخ . فعيوه حاكماً مطلقاً (ديكتاتور) ويطلق هذا اللقب قديماً على القواد في ايام التده والخطر من تكون لهم السلطة المطابقة واستخدم سيللا هذه السلطة ليسن قوانين تغير النظام الدستوري القديم وذلك بان يتخ القصة بموجب هذا القانون من مجلس الشيوخ ولا تحري المداقسة في قانون قبل ان يوافق عليه مجلس الشيوخ ولا يحق لمحامي الشعب انه ان يقترحوا شيئاً واعد هذه الاصلاحات التي خولت مجلس الشيوخ سلطة مطلقة اسنقال سيللا من منصبه واحد نفسه بالانقطاع الى داره والعيش في العزلة (٧٩) وكان يعرف بانه في مأمن اذ كان له مائة الف من جنوده في ايطاليا .

بومبي

بومبي - عاد مجلس الشيوخ فقبض على السلطة لانه حسن في رأي سيللان يعيدها اليه ولكنه لم يكن له من القوة ما يستطيع معه المحافظة على تلك السلطة متى قام احد القواد ينازعه اياها . ودامت حكومة مجلس الشيوخ ايضاً في الظاهر اكثر من ثلاثين سنة وذلك لانه كان ثمة عدة قواد وكل مهم يحول دون حسمه ان يستأثر بالحول والطول . ولما هلك سيللا كان في البلاد اربعة جيوش على قدم الاستعداد انان منها خاضعان لقائدين من انصار مجلس الشيوخ وهما كراسوس وبومبي والآخران بقيادة قائدين حصيين لمجلس الشيوخ وهما لبيدوس في ايطاليا وسرتوريوس في اسبانيا . والمأثور انه لم يكن احد في تلك الجيوش على استعداد ونظام وان ليس في اولئك القواد حاكم له الحق بقيادة الجند .

وكان القوادى الى ذاك العهد ابدًا من القناصل اما الآن فاصبحوا من الافراد ينضم اليهم الجند لايخدموا الجمهورىة الرومانية بل ليغتنوا سلب الاهلين .

ولقد اهزمت جيوش خصوم مجلس الشيوخ وبقي القائدان كراسوس وبومبي وحدهما والفقما بينهما على الزعامة وجري اتخاها قنصلين .

سبارتا كوس — تكرر حدوث عصيان العبيد مرات (حروب العبيد) وكان ذلك في الاعلب في جزيرة صقلية وجنوبي ايطاليا حيث كان العبيد يحملون السلاح لحراسة القطعان . وبعد ان ولي الولاية القائدان كراسوس وبومبي بدأت اشهر تلك الحروب وذلك ان عصاة مؤالمة من ٧٠ مصارعاً هربت من كابو ونهبت عربة تحمل اسلحة وانتأت تحمل على البلاد حملاتها تخف العبيد والضموا اليها زراعات زراعات فلم تلبت تلك العصاة ان اصبحت جيشاً . وقد هزم هؤلاء العبيد على الولاة ثلاثة جيوش رومانية ارسلت لتأديبهم وكان سبارتا كوس زعيمهم أسرفى الحرب وهو من اقليم تراسيياحيء به الى ايطاليا ليستخدم في الصراع مخدبه نفسه ان يجتاز بلاد ايطاليا كلها للعود الى تراسييا بلده . بيد ان جيش كراسوس قاوم عصانات سبارتا كوس مؤحراً وكانت محتلة النظام فقم لها عن آخرها . وبعدها حطرت رومية على العبيد ان يحملوا سلاحاً . ويحكى انه أعدم راع من العبيد لانه قتل حنزيراً برياً بحربة كانت معه .

حروب في الشرق — عهد مجلس الامة لبومبي ان يتولى قيادة الجيوش في حربين متعاقبتين في الشرق . الاولى (٦٧) كانت مع قرصان البحر في سواطيء آسيا الصغرى وقد عزوا سواطيء ايطاليا ومهبوها والثانية (٦٦) كانت مع ميترىداتس الذي لم يبرح على ما اصابه من الفشل يدافع عن حوزته في اطراف آسيا الصغرى

ولقد عاد بومبي من آسيا في جيش يتفانى في الاخلاص له وكان في بضع سنين السائد المسود في رومية واذ كان ينظر الى الشرف اكبر منه الى السلطة لم يدخل ادى تعديل في الحكومة . وفي خلال ذلك نال الحظوة من الامة سباب من الاشراف اسمه قيصر فانفق بومبي وكراسوس وقيصر على اقتسام السلطة (٦٠) فانتخب قيصر قنصلاً تم والياً على ناليا وتولى كراسوس قيادة الجيش الذي ارسل الى آسيا للمحاربة على البارتيين ولقي حتفه سنة ٥٣ وبقي بومبي في رومية .

كاتالينا — بينا كان بومبي يحارب في الشرق حدثت في رومية ازمة كادت تؤدى الى ثورة وذلك ان احد الاشراف من قدماء انصار سيللا واسمه كاتالينا كان فقد ثروته لاسترساله في الشهوات فحاول ان يسترجع ماله بالقبض على ازمة الاحكام وكان رجلاً

قوي التسكينة جريء النفس مقداماً لا يتطرق الى قلبه وسواس وله اصدقاء كثيرون من اشراف الشبان المستهترين الفاسقين اخلصوا في حبه اذ كان يقضي معهم اوقات صفائه ويقرضهم مالا ويهديهم حيولاً وكلاب صيد . وله من الانصار قدماء اشباع سيللا وقدماء الجنود الدين اسكنهم سيللا في ايطاليا ممن باعوا اراضيهم واخذوا يهتفون عن مورد يعيشون منه .

فاتفق كاتالينا مع جمهور من هؤلاء الساحطين على ان يذبحوا في آن واحد القنصلين يوم يذهبان معاً الى معبد الكابتول فلم يفخوا فيما دبروه لان الخبر ترمى الى القنصلين الا ان كاتالينا احتفظ بانصاره وظل يدس الدسائس وكان اعداء مجلس الشيوخ وربما قيصر ايضاً يمشدون سرّاً فقدم نفسه لستخب قنصلاً فكان حصمه في هذا الانتخاب شيشرون اشهر محام واعظم خطباء الرومان وكان هذا توصل الى ان يتخب حاكماً لأن الاسرات الشريفة عدت منذ عهد ماريوس لا تسمح الا بانتخاب اناس من الاشراف .

وساعد اشباع مجلس الشيوخ الخطيب شيشرون فخرى انتخابه وسقط كاتالينا الا ان القنصل الآخر رصيف شيشرون وهو الطوبويوس كان ممالئاً مرّاً للمحانقين . فدبر كاتالينا مكيدة كبرى على ان يذبح اصحابه شيشرون واعضاء مجلس الشيوخ في رومية ويحرقوها بينما يكون قدماء اجناد سيللا المقيمين في اتروريا راحقين على رومية . فبلغ الخبر شيشرون فلم يخرج الا في كوكبة من الفرسان محدقة به الا انه لم يكن عنده جيش لقتال قدماء الاجناد الذين شرعوا يتجمعون ويتسلحون والعبيد الذين اخذوا يسلمونهم في كادوقصى جراً من السنة التي تولى فيها القنصلية وهو في قلق مستمر .

واخيراً رحع واليان بقودان حدوداً فتعرت شيشرون بقوة تمكسه من الدفاع فاستدعى مجلس الشيوخ ليوافق على قيام القناصل بما فيه سلامة الجمهورية الرومانية وان يعطي القناصل سلطة ليأخذوا عامة الاسباب التي يرونها مناسبة وادخل الجند الى رومية يرابطون في الساحات ودعا مجلس الشيوخ الى الاجتماع ثانية وفي هذه الجلسة التي حضرته الاولى في مقاومة كاتالينا وسأله متعراً اياه بما دبره من المكيدة التي افنضح امرها وانذرته بالانصراف فغادر كاتالينا رومية وذهب للاتحاق بقدماء الاجناد المتمردين في اتروريا وظل اشباعه في المدينة فانفقوا سرّاً مع وفود الالوبروج بان يقدموا لهم فرساناً ثم عبروا آراءهم وافشوا مر التآمرين . فطلب شيشرون خمسة من رؤوس زعماء المؤامرة واضطروهم الى الاقرار . تم استفتى مجلس الشيوخ فيما يجب ان يعاملوا به فاجاب بانه يجب اعدامهم ولكن كان احد المجرمين واسمه لاننتولوس فاضيا ولا يحق لاحد ان يوقفه الا حاكم له

مقام ارقى من مقامه فذهب تيشرون بذاته لتوقيف المجرمين الخمسة واخذهم الى سجن الكابتول وحنقهم وعاد يقول للجاس التيوخ : « لقد عاشوا »
 فاعلن كاتالينا الحرب ولم يكن سوى جزء من رجاله يحمل سلاحاً ومعظمهم انفصوا من حوله وزحف عليه جيش بقيادة القنصل انطونيوس آتياً من الجنوب وزحف آخر من الشمال ولم يبق لكاتالينا سوى ثلاثة آلاف رجل حاول منهم الفرار نحو الشمال ورأى جبال انين في وجهه مسدودة فانقض على جيش انطونيوس وهاجمه وقتل مع اصحابه جملة واحدة (٦٣) فقال اذ ذاك تيشرون من مجلس التيوخ لقب « ابوالوطن » دلالة على انه انقذ رومية من محال العدو ولكن لما انتهت سنة حكمه لم يعهد له بسلطة

فتح بلاد الغال

دحول قيصر الى غاليا — اتفق قيصر مع بومبي وكراسوس ان يتولى كل منهم القيادة في احدى الولايات العظمى على ان يكون له الحلق في ان يجيش جيشاً فوضع كراسوس يده على سورية وبومبي على اسبانيا وقيصر على التلات ولايات المجاورة لغاليا وذلك لمدة خمس سنين . وقد ذهب قيصر لما انقضت سنة حكمه بصفته والياً الى مقر ولايته ايشي، فيها جيشاً يكون هو قائده ودحل في الحال في عدة حروب وطلَّ عَشر سنين بعيداً عن رومية (ولم يدم حكمه اكثر من خمس سنين الى سنة ٥٣ ولكنه جدد دفعه ثانية الى سنة ٤٨) وكانت رومية الى ذلك العهد لم تخضع غير حرق من البلاد التي مرها الشعوب العالية بل لم يكن لها سوى ولايتين عاليتين : غاليا سيرالين وهي مؤلفة من البلاد الواقعة بين جبال انين . الالب (وهي اليوم ايطاليا الشمالية) . والروفاسيا وهي عبارة عن سواطيء البحر المتوسط وبلاد الرون من جبال الالب الى جبال البيريه . وكانت هذه البلاد مع اقليم ايليريا (الجبال الواقعة في شرقي الادرياتيك) هي التلات ولايات التي تولاها قيصر . اما باقي بلاد فرنسا الحالية التي دعاها الرومانيون غاليا فكانت مستقلة بعد يسكنها ثلاثة عناصر من الناس . أحدها الغليون وهم يتغلون القسم الاعظم من البلاد اي جميع فرنسا الواقعة بين نهر العارون ونهر السين ويصنعهم اليونان والرومان بان هؤلاء السكان من الرجال العظام بيض البشرة شقر الشعر زرق العيون طوال السبلات يأكلون اللحوم ويسكرون نبيد السرفواز (ضرب من الخمة) او بشراب الايدر ومل وهم أشد شهماً بالجرمانيين منهم بالهرسيس اليوم . وكان السواد الاعظم من هذه الامة يعيش شقياً في الاكواخ لاشأن لهم في ادارة شؤون بلادهم يحرصون لكبار ارباب الاملاك الذين يقاثلون راكبين صهوات خيولهم و يدعوهم قيصر بالفرسان و يذكرهم كما يذكر تجار بين شجعاناً للعباة ولا يهد

ان يكون هؤلاء الفرسان العالين تسميهم الجرمانيين هم من الفاتحين نزلوا وسط شعب اصغر منهم أجساماً اشقر اصب يتبه الشعب النازل اليوم في البلاد الغربية أي فرنسا و ايرلندا و بلاد الغال

و القسم الثاني من تلك العناصر الثلاثة هم البلجيكيون نزلوا البلاد الواقعة في شمالي السين الى نهر الرين وهم يشبهون كما كان يقول الرومان الجرمانيين النازلين في الساطية الآحر من نهر الرين والظاهر انهم كانوا أقل اختلاطاً بالشعب القديم من الغاليين واحسن الفرسان فيهم كانوا يقاتلون راكبين

و القسم الثالث من تلك العناصر هم الآ كينيون نزلوا في جنوبي نهر الغارون وهم ضئال الاحسام تحمان يشبهون الايريين في اسبانيا ويتكلمون بلغة ايرية و يعصرون سائر شعوب غاليا كأنهم غرباء و هؤلاء حضعو اقيصر اول الامر : و بعد فلم يكن الغاليون و البلجيكيون و الا كيتيون أمماً معدودة بل لم يكن نمة غير شعوب صغيرة يستولي أقدرها على نحو ثلاث أو اربع من مقاطعاتنا اليوم وكل مقاطعة تؤلف حكومة مسنقله ودعاها قيصر سيفيتا أي التي يحكمها كما يشاء و تحارب غيرها . وكان لبعض تلك الحكومات ملك و يحكم معظمها مجلس من الاشراف (الفرسان) وكان للكهنة عند الغاليين سلطة كبرى لم تدرح تلك الشعوب على حالة من التوحس بعد تعيش بما نتجه لها ماشيتها وما مدنها الا اسوار صغيرة محصنة يجعلون فيها مواشيهم و عيالهم انان الحرب ولئن كان معظم البلاد عابات و حراحا فقد بدؤا يررعون حنطة ليتيسر ان تطعم جيئساً رومانياً بأسره

جاء قيصر يوي فتح غاليا في جيش اختاره من سكان الولايتين الغاليتين الخاضعتين لرومية خاصة وكان مؤلفاً بحسب العادة الرومانية من مشاة و عظمين كتائب و عليهم اسلحتهم وهم مدربون اكثر من جيوش الشعب العالي ولقد عني قيصر بذكر خبر الفتح في مفكراته فاهم القاريء بان الغاليين ساقوا عليه جيوشاً اكثر عدداً من جيشه ومن المحتمل بانه لم يقل الحقيقة اذ لم يكن في استطاعة عاليا ان تطعم غير عدد قليل من الناس ومعظم سكانها ليسوا بحاربين

غارة الهيلفتيين والسويبيين - عند ما وصل قيصر الى بلاد الغال كان الايدوانيون النازلون في جبال مورفان اشد شعوب اواسط عاليا بأساً و عاصمتهم بيبراكت بالقرب من أوتون و بلادهم واقعة بين نهر السون والوار . ومن اشداء البأس الارفرنيون النازلون في البلاد الجبلية التي أطلق عليها اسمهم (اوفرنيا) وكانوا حاكمين على الامم النازلة في البلاد الصخرية الوسطى

فحارب الايدوانيون السكيانيين النازلين في جبال جورا لاختلاف طراً بينهم على الملاحه في نهرسون فاستدع السكيانيون من المانيا رعيماً سويافياً وهو الملك (ار يوفيست) فأتى بعصابة من حيرة الحار بين مؤلفة من العامه خاصة وهم السويافيون . وبعد ان تغلب الايدوايين طلب الملك ار يوفيست الى السكيانيين جرءاً من ارضهم ليبرل فيها جيشه . وكان السكيانيون صالحوا الايدوايين لقتال ار يوفيست الذين زلوا عليهم وعملها استجد الايدوانيون برومية ولما قاد قيصر جيشه الى بلاد سون تقدم على ابنه حليف شعب عالي لمقاومة مارة جرمانية وفي غضون ذلك اخذ الهيلفتيون وهم شعب عالي يسكن سويسرا بالهجرة من بلادهم فانقابوا منها يحملون أسراتهم ومواشيهم وامتعتهم محمولة على مركبات قائلين انهم يريدون مهاجمة بلاد العال ليستوطنوا شواطئ المحيط . وربما كان ذلك حيلة منهم ليذهبوا لنصرة الايدوايين على ار يوفيست ونقدموا الى قيصر ان يسمح لهم باجتياز تلك الولاية الرومانية فاني عليهم ذلك فلم يبق امام الهيلفتيين الا ان يقطعوا وادي سون فداهمهم قيصر بالقرب من مهر سون وحمل اولاً على ساقه جيشهم ثم هاجم مجموعهم فذبح منهم جزءاً عظيماً واضطر من افلتوا من القتل الى الرجوع الى بلادهم . ثم ارتد على اعقابه لقتال ار يوفيست واسرع حتى بلغ في جيشه الى فيرونوسيو (بزانسون) وحاذر جنده من هول هذه الحرب وهم في بلاد جبلية معتساء بالعابات يهاجمون برابرة اشداء على اهبة تامة فجمع قيصر قواد المئة من جنده (يوزباشية) وقال لهم على من يوجسون حيفة ان يسافروا مع الفرقة العاشرة فاجابه قواد المئة بانهم يتبعونه حيثما ذهب

وقطع الجيش الروماني مجاز جبال الفوسح ونزل الى سهل الالراس وجاء بعسكر امام الهدو . والى ار يوفيست معسكره من مركباته وتحصن وراها وكان قيصر يمرت جيشه في السهل ويعبئه للقتال ثم صحت عزيمة ار يوفيست على الخروج من المعسكر فداهم الجيش الروماني في ورسانه فخرج وفر جنده فطارده العدو حتى نهر الرين . وكان المهاجمون الجرمان يطردون الى خارج غاليا ولكن قيصر لم يأت مع جيشه الى ولايته بل رابط معه في وادي سون حيث قضى الشتاء وقد احذ يعامل بلاد عاليا كالبلاد المغلوبة فاضطرت الشعوب الغالية ان تحالف رومية .

فتح شمال عاليا — ابى البلجيكيون النازلون بين نهري السين والرين وهم اتجمع شعوب غاليا كافة ان يدخلوا في محالفة رومية فتعاهدوا بينهم وتحالفوا وجمعوا جميع المحاربين من ابنائهم في بلاد لاون . فجاء قيصر في الربيع في تماني فرق من الجند وعقد محالفة مع احد هذه الشعوب وهم الريسيون وورل في معسكر حصين على رايية يفصلها عن معسكر البلجيكيين

واد ذوبطائح وظل الجيستان زمناً احدهما قبالة الآخر واذ كان الجيش الروماني منظماً كانت تأتية النجدات من الطعام تباعاً اما البلجيكيون فشق عليهم ان يتغذوا في تلك الادعال والحراج فانفذ قيصر الايدوانيين احلافه يحرثون بلاد البيلوفاكين اهم تلك الشعوب المتخلفة ولما بلغ البلجيكيون ذلك انقضت جموعهم ليذهبوا للدفاع عن بلادهم فتخلص قيصر من جيش العدو بدون قتال وراح يطوف بلاد البلجيكين ويهاجم مدنها الواحدة بعد الاخرى مكرهاً كل امة ان تكون حليفة لرومية وان تعطيها على سبيل الرهن رجالاً من الأُسُرى النبيلة في بلادها .

وقد دام النيرفيون (اهل بلاد السامر) احد هذه الشعوب الجيش الروماني في عابة على شاطيء هير السامر بينما كان يبني معسكره وهرم الفرسان الغاليين احلاف الرومان وعساكر الرجالة الحفيفة الا ان الكتاب حمت المؤخرة ونحالت دون الهزيمة فاخذ قيصر يحارب النيرفين حرباً يريد بها ابادتهم عن آخرهم . ولما احضع الجيش الروماني الشعوب البلجيكية قضى الشتاء في وسط بلاد عاليا على شاطيء اللوار .

فتح العرب — قبلت الشعوب النازلة على ضفاف البحر المحيط ان تحالف رومية وتقدم لها رهائن وما جاء الشتاء حتى تحالفوا بينهم وابوا ان يرسلوا حنطة لاطعام الجيش الروماني واسروا عندهم مندوبي الرومان الذين حاوهم في طلب ذلك ليكرهوا قيصر على ان يعيد اليهم من استبقاهم عنده من رجالهم رهينة . وكان للفتنين (سكان فارس) وهم من الشعوب الخطيرة في داك الحلف سفن حربية صنعوها من تخر البلوط وجعلت بحيث تسير على ارادة ربانها ولها مقدم مرتفع يقاوم فعل الامواج وطبقات سفلى منبسطة تستطيع ان تبحر على قيعان الشاطيء وفي البحار الصغيرة فانسأ قيصر سمماً دات قلع في مصب نهر اللوارهاحم بها اسطول الفنتيين . وصعب عليه ان يحطمه لان سفنه لم يكن لها من العلو ما يكفي للوصول الى مساماة تلك السفن الفييقية وكانت مراكبه داخله في الماء كثيراً بحيث لا يتسى لها ان تطارد مراكب عدوه في وسط العهور والقيعان وبعد الاتيا والتي صنع الرومان مساجل دات مقابض وعصي طويلة قطعوا بها الحبال التي كانت تمسك قلع سفن الفنتيين فلما سقطت القلع من هذه السفن ولم يكن عندها مجاديف تقذف بها وقفت لا تبدي حراكاً فداهمها الجيش الروماني واخذها عنوة فطلب الفنتيون الصلح الا ان قيصر امر بترافهم فضربت اعناقهم وناع سائر الشعب ببع العبيد . وفي تلك المدة ايضاً كان اقتطع قيصر فرقة صغيرة من جيشه لتخضع لسلطان رومية جميع الشعوب النازلة في الاقليم المعروف اليوم باقليم نورمانديا وهناك فرقة اخرى له تحارب شعوب الاكتيين في جنوب نهر الغارون

وعلى هذا فقد اخضع قيصر في ثلاث حملات (٥٨ - ٥٦) عامة بلاد غاليا واغتنم فرصة الشتاء للعودة الى ولايته في ايطاليا المعروفة بسيزالين وفي العام التالي (٥٦) ضرب موعداً للقائدين الآخرين اللذين كانا يقاسمانه الحكم وهما بومبي وكراسوس واجتمع ثلاثتهم على تحوم ولايته وفي ولاية لوكس وقرروا تجديد حكومتهم لخمس سنين اخرى حملات الى خارج غاليا - حارب قيصر خارج غاليا دلالة على سطوته واشغالا لجيشه وكان شعبان جرمانيان اجتازا نهر الرين وهاجما بلاد البلجيك فسار قيصر في جيشه وفرسان شعوب عاليا على نهر الرين بالقرب من ملتقى نهر المور وهاجم الحرمان وذبحهم مع نساءهم واولادهم ثم بنى على الرين جسرا من جذوع الاسجار وذهب لتخريب الشاطيء الايمن ولما عاد الى غاليا ركب البحر مع فرقتين (٥٥) واجتاز بحر الماش ووزل الى بريطانيا (انكلترا) ولما انتأ في السنة التالية سفناً متسعة قليلا لقل الاثقال والخيول عاد الى بريطانيا في جيش كبير واحتاز الغابات التي دافع عنها المحاربون البريطانيون حتى بلغ نهر التيمس (٥٤)

قيام الغاليين - كان الاشراف في معظم الشعوب الغالية من اتياع رومية يقاتلون في الجيش الروماني على انهم رديء من الفرسان ويعاشرون الضباط الرومانيين وكان بعضهم من اصحاب قيصر الا ان السواد الاعظم من تلك الامم كانوا يتبرمون باولئك الجنود الغرباء الذين يسرون سير السادة فانسقى بعض الزعماء من حرب الاشراف وانفقوا بينهم سرا على تهيج الشعب . وكان قيصر قد وزع جيشه على شعوب كثيرة لقضاء فصل الشتاء وذلك لان القمم كان نادراً في تلك السنة . فقرر زعماء الغاليين ان يغتصموا هذه الفرصة لمهاجمة الفرق المنعزلة وقطع مواصالاتهم فانظروا ريثما يبتعد قيصر الى ولاية سيراالين حيث ذهب لقضاء الشتاء .

الا ان شعب الكاروت (شارتر) ابدى نواجد العصيان قبل ان يتم ما يروه مستشيطاً غضباً من ملكه الذي نصبه قيصر وحاكمه فحكم عليه بالاعدام وقتل . فباغ قيصر هذا الدبا فاستعد للحرب ولما ازمعت الفرقة الرابطة في بلاد السامبر الخروج من معسكرها داهمها الالبيرون وذبحوها . ورأت فرقة رومانية اخرى ان تبقى في معسكرها فاحاط بها الغاليون فاسرع قيصر وتمكن من انقاذها وعند ذلك استراحت الجنود الرومانية الى آخر الشتاء . ولما طلع الربيع ابى عدة شعوب غالية من الشمال ان يعثوا بوفودهم الى قيصر فجمع جيشه برمته وسحقهم واحداً بعد واحد فانقم من الالبيور بين تخريب زروعهم وحرق قراهم وذبح

السكان وطارد المنهزمين الى غابات آردن وما جاء الحريف الا وقد خضعت غايا الشمالية بأسرها .

الفارس فرسختور بكس - اجمع شعوب اواسط البلاد في خلال الشتاء امرهم بينهم على العصيان بانية وبدأ الكارثيون اولاً فداهموا مدينة سابوم على نهر اللوار فقتلوا فيها تجار الطليان كافة . وفي هذه المرة تسلمح عامة الشعوب النازلين بين نهر السين والعارون لقتال الرومان وبني الاكتيون على الحياض . وبدأت الشعوب المخالفة لرومية تنزع السلطة من يد الاشراف اتياع قيصر واقاموا زعماء جدداً ودخل هؤلاء في التحالف الغالي وكان زعيم الثورة سائناً من اشراف ارفرنا اسمه فرسختور بكس وهو فارس يحسن الفروسية حدم في الجيش الروماني وكان سديق قيصر واحدت ثورة في بلاده اولاً وما حاج سكان القرى حتى نزع السلطة من ايدي الاشراف واصبح منكأ على ارفرنا . تم بعت برسل الى الشعوب الاخرى وجمع جيئناً وجعل من نظامه ان يحرق الخائنين ويصلم آذان الآقين ويسمل عيونهم . فداهم الغاليون الرومانيين في آن واحد في الجنوب من ولاية بروفنسيا (من اقليم لانكدوك) وفي الشمال من البلاد الواقعة بين نهري السين والسون حيث كانت ترابط الفرق الرومانية واضطر قيصر ان يجتاز جمال سيفن وهي مكللة بالتلوج واكره فرسختور بكس من رجاله ان يعود للدفاع عن بلاده فاتسع الوقت لقيصر ان يجمع جيشه بالقرب من سانس ويذهب فيه الى اقليم اللوار محرب فرسختور بكس جميع البلاد وجعل المدن قاعاً صافصفاً لتكون قفراً لا يجد فيها العدو شيئاً يطعمه بيد ان البيتوريجيين لم يقبلوا بتحريب مدينتهم افار يكوم ودافعوا قيصر عنها زمناً

بعت قيصر في الربيع (٥٢) فيلقاً لمباغثة شعوب السين وذهب بنفسه في معظم جيشه للهجوم على جر كوفيا قلعة الارفرنيين فرد على اعقابه وخرج موقفه اذ لم يكن لديه طعام (لحراب مخازن ذخائره في رفر) وهو محصور بين شعوب الارفرنيين والابدوانيين الدين ذبحوا التجار الطليان ومع ذلك اصر على عدم اخلاء عاليها وتمكن من الوصول الى سانس . وفي خلال ذلك عين المجلس المؤلف من مندوبي جميع الشعوب العالية الرعيم فرسختور بكس قائداً عاماً على الجيوش العالية

فاستدعى قيصر من جرمانيا فرساناً اخذهم لحساب رومية وقاد جيشه من ناحية سون واعلمه فعل ذلك ليتمكن من مراسلة بروفنسيا فنبعه فرسختور بكس في جيشه وحاول ان يقطع عنه مواد الطعام ورمى الجيش الروماني وهو في مسيره بفرسانه الغاليين فهزمهم فرسان الجيش الغالي ورجع فرسختور بكس على اعقابه الى مدينة اليزيا الحصينة في بلاد

الآكام بين نهر السون ومصب نهر السين فنبعه قيصر وحاصره فيها جاعلاً حول اليربا سوراً تعلوه دائرة مجنحة ذات أبراج يحميها مخندق .

وصل جيش من الغاليين لرفع الحصار عن جيش فرسجتوريكس ودايم الرومانيين ولكن حال دون الوصول اليه ذلك السور الذي اقامه قيصر من ناحية الحلاء . وبعد اشتباك القتال بين الجيشتين رُدَّ الجيش العالي على اعقابه وفرق شذر مذرف لم يبق عند الجيش المحاصر في اليزيا شيء من الراد فسلم فرسجتوريكس (٥٢) فبعث به قيصر الى رومية حيث قضى ست سنين سجيناً ثم شهد حفلة انصار قيصر وصرب عنقه .

وهكذا انتهى العصيان العام . وقضى قيصر سنة اخرى في احصاع الشعوب التي كانت تقاوم واحداً بعد الآخر فابادها . وكان يفاخر بانه دبح في ثماني سنين مليوناً من السكان وانه اسر منهم مليوناً آخر باعه ببع العبيد وقضى سنة اخرى لتنظيم شؤون حكومة االيا وبعد ذلك صفا الجو لرومية مهلاك اعدائها . وقد وسد قيصر الحكم الى الاشراف اشباع الرومان والفرقة من العاليين لقبوها بالسنوبو وكان جيشه المدرب يحبه محذته نفسه ان يستخدمه في الاستيلاء على المملكة الرومانية باسرها . محضعت االيا لرومية مباشرة وانقسمت ولايات واكن نظمها لم يتم الا على عهد اعسطس .

عاقبة الجمهورية

كاتون الاوتيكي — بما كان القواد يتنازعون بينهم فممن يستأثر بالسلطان على العالم الروماني اشتهر رجل تعلقه بالديمستور الجمهوري القديم الذي احد يمزق ولما راه آخذاً في التداعي لم يلبث ان انتحر وكان كاتون هذا هو الملقب بعد كاتون الاوتيكي باسم المدينة التي انتحر فيها .

كان هذا الرجل من أسرة ترفيفة من احلاف كاتون ورير الاحصاء التهبير والمدافع عن الاحلاق الرومانية القديمة كتب له ان يكون صاحب تروة طائلة وهو شاب بعد . وكان قد تعلم فلسفة الرواقيين وجرى عليها فاشأ يعيش عيش الرهاد يأكل قليلاً ويشرب قليلاً ولا يتطيب وعود نفسه احتمال الحر والبرد الشديد يسافر ماشياً في كل فصل من فصول السنة حتى مع اصحابه الراكبين خيولهم ولا يلبس الا بياناً بسيطة رثة وقد وقع له ان خرج بدون حذاء .

ولما أرسل قائداً الاحد الحيوش الى احدى الحروب (بموجب امتياز فنيان الاشراف) احبه حمده واحترموه اذ رأوه يعيش متلهم عيشاً بسيطاً ولما وسدت اليه نظارة المالية عُعي بالظرفي الحسابات بنفسه على العكس فممن كان قبله من الاشراف يتولون هذه النظارة

فاهم كانوا يتركون الكتاب ينظرون في شؤون المالية وحدهم وبذلك اكتشف ترويرات
الكتبة وحاكم المرتكبين واشهر بعيرته وكان لا يأخر عن جلسة من جلسات مجلس التيوخ
او مجلس الامة فصار يضرب المتل اشرفه واصبح القوم يقولون عن الامر المتعذر « لا يمكن
تصديق هذا ولو قاله كاتون »

وكان كاتون يقوم بما يعتقد انه واجب عليه دون ان تأخذه رأفة او ناله رهبة .
وحاول ان يحكم على مورينا لانه انتاع اصوات الامة حتى اتخته قسلاً فراه تيسرون
وكان ادراك قسلاً بخطاب سحر فيه من فلسفة الرواقيين فقال كاتون « حقاً ان لنا
قسلاً محمكاً » واقترح قيصر في مسألة المشتركين في قتل كاتانينا ان يتأخر اعدامهم
لاهم رموا قضية فاستد كاتون على قيصر و اشار الى مجلس التيوخ ان يأمر باعدام الجناة
في الحال فلم يسع المجلس الا ان يقرر قتلهم .

ولما اقترح بومي سن قانون يسمح له بادخال جيشه الى رومية حلاً لما رسمه الدستور
استشاط كاتون غضباً في حدة مجلس التيوخ من المحامي متلوس الذي اقترح وضع
القانون وصرح بانه ما دام حياً لا يدخل بومي الى المدينة مسلحاً ولما جاء متلوس الى الساحة
في جيش من العبيد المسلحين الموافقة على القانون احترق كاتون صفوف الجماعة وقعد
بالقرب من متلوس ومنه من قراءة مشروعه فحاء العبيد ادراك سارحين يرمون بالحجارة
و يصرنون بالعصي فهرب الشعب وبني كاتون فاقضه مورينا بان جرد الى احد المعابد وعاد
الشعب وصعد كاتون على المنبر وحطب في سيئات هذا القانون فابى متلوس ان يعرضه وذهب
الى آسيا ليحقق ببومي

ولما اتم قيصر وبومي وكان قيصر قسلاً اقترح سن قانون فلم يجرأ غير كاتون على
قناله فانزله قيصر من المنبر بواسطة رجال الشرطة وبعث به الى السجن وظل كاتون يتكلم
في الطريق وقد تبعه جمهور من اعضاء مجلس التيوخ وعزم قيصر ان يحلي سبيله ولخلاص
مه ارسلته الحكومة الى قبرص ليطرد منها الملك بطيلموس دون ان يعطوه جيتاً واد كان
هذا الملك التجر لم يبق على كاتون الا ان ينظم قسماً بجحلف الملك من الكنوز فاتي الى رومية
تبلغ كبير واستقبله مجلس التيوخ احسن استقبال وتقدم للانتخاب قاضياً وكانت القبيلة
الاولى وافقت على انتخابه واد كان بومي رئيس المجلس لم يرداً من ان يدعي ان السماء
ترعد واعل بانقضاء الجلسة (والرعد طالع شؤم كما عرفت في بعض الفصول السابقة)
وعند ما اقترحوا ان يعطوا لقيصر جيشاً تقدم كاتون الى بومي ولطالما شغل الاول قتال
الثاني وحضه على الحذر من قيصر فبقي بومي عدواً لهذا . وهذا لم يمنع كاتون عند ما رأى

المنافسين في الحكومة يقتتلون في المدينة من معاهدة اقتراح المقترحين ان يعينوا بومبي وحده قنصلاً عند ما اترب احدها من صاحبه ولما زحف قيصر على رومية بحيثسه لفتح كاتون لمجلس التسويح ان يلبى الى بومبي بتقاليد الحكم باحومه قائلاً على من عمل الترش ان يتلاوه . وتبع بومبي ان خارج ايطاليا ومنذ داك العهد اطلق شعره ولحيته علامة على الحزن واتشار باطالة زمن الحرب وكان يحاف من عاقبة قتال يقتل فيه الرومانيون بعضهم بعضاً ولما بلغه هزيمة فارسال سافر الى مصر يريد الالتحاق ببومبي ووقف في افر بقية حيث كان لاحد اتباع بومبي جيش وتولى الدفاع عن مدينة اوتيكيا

واد هرم قيصر جيش افر بقية اقترح كاتون على الرومانيين المازابن في اوتيكيا ان يحاصروا وابوا فاطلق كاتون جميع اعضاء التسويح الذين لحوا اليه تم استم وتمعنى مع اصحابه واحذ يحوض في المباحث الفلسفية ولما حان وقت الموم طالع محاورة لافلاطون في حلود النفس والتمس سيفه الذي كان رعه انه عه معاصباً فاحصروه اليه لجعله على مقربة منه ونام فاستيقظ عند الفجر تم طعن نفسه في صدره وكان عمره ٤٨ سنة .

فارسال - لم يبق في الملاد بعد وفاة كراسوس عبر بومبي وقيصر وكلاهما يود الاستئثار بالسلطة وكان من تقدم بومبي على صاحبه انه كان في رومية . . . تولى أعلى ازمة مجلس التسويح وكان مع قيصر جيش عاليا المدرب على الحروب منذ تلامي سمين قصاها في الحملات . فاتخذ بومبي حطة المحوم واستصدر من مجلس التسويح امراً بان يترك قيصر جيشه ويحجى الى رومية فعقد قيصر اذ دال عزمه على اختيار حدود ولايته (وكان الحد هو نهر روبيكون) وزحف على رومية . ولم يكن عند بومبي جيش في ايطاليا للدواع فركن الى الفرار مع اكر التسويح من الساطي والآخر من بحر الادرياتيك وكان له عدة جيوش في اسبانيا واليونان وافر بقية شنت قيصر شملهم واحداً بعد الآخر فهرم جيش اسبانيا سنة ٤٨ تم جيش اليونان في فارسال سنة ٤٨ فحيت افر بقية سنة ٤٦ ولما علم بومبي في فارسال لحاً الى مصر فقله ملكها .

حكم قيصر - ولما رجع قيصر الى رومية عهد اليه بالامر لمدة عشر سمين فصار الحاكم الخلق تم حارب جيوش اتباع بومبي في افر بقية وساد جميع البلاد الخاضعة للرومان واحتل في رومية نظمه باربعة اعداء العالين والمصريين وملك بحر الحروري آسيا الصغرى وملك النوميديين حليف البومبيين في افر بقية (لم يكن من اللياقة بان يهاجر لتعلمه على جيش روماني) .

فقام مجلس الشيوخ لقيصر بالتشريفات الدينية فاعطاه اولاً كرسيًا اعلى من مقاعد

القنصل ولقبه بالاول تم حوله الحق ان يحمل تاحاً من العار (وكان ذلك من حق الارباب) ومجحه لقب « ابوالوطن » واتدع احتفالات والعايا اكراماً له واقام له تمثالاً خطوا فيه الفاظ التعظيم وعهدوا الى الكهنة للاحتفال بعبادة رب يوليوس قيصر . ومن الممكن ان يكون قيصر طمع في لقب ملك ومع هذا دعا نفسه بالامبراطور وقبل بان يلبس توناً ارجوانياً وان يجلس على عرش من ذهب ويرسم خوذته على النقود .

واحتفظ قيصر بمجلس الشيوخ وجميع المناصب وهو الذي كان يعين المرشحين الدين يقضى على الشعب التخابهم وهو الذي وضع قائمة بمجلس الشيوخ وكان هالك كسيرون من الشيوخ فبالغ عدد الاعضاء الى تسعمائة ومعظمهم من التجاره وكتيرون منهم من الغاليين ولم يقض في رومية عير خمسة عشر شهراً من حيث المجموع فما اتسع له الوقت ان يقوم بالاصلاحات التي كان ينويها (ما عدا تقويم السنين) تم قتله ندماً واؤه الدين كانوا يربعبون في اعادة حكومة مجلس الشيوخ (٤٤)

احد الحكام الملائمة --- اضطر الشعب الروماني وكان يحب قيصر رعيه قتله وهما روتوس وكاسيوس ان يهربا فلجيا الى الشرق حيث حيثاً عظيماً وظلّ العرب تحت حكم اطونيوس الذي اعتمد على جيش قيصر فحكم رومية حكماً استبدادياً وكان قيصر تبي ابن اخته او كتاف وعمره ثمانين سنة بومية اوصى بها فسمي بحسب العادة الرومانية باسم متببيه ودعا نفسه يوليوس قيصر الاوكتافي . فضم الى حزنه جند قيصر وعهد اليه مجلس الشيوخ ان يحارب اطونيوس واعد ان تغلب عليه آثر الاشتراك معه لاقتسام السلطة فاتحدا مع ببيدوس ودحلا بلائهم الى رومية واستولوا على الامر استيلاءً مطلقاً مدة خمس سنين تحت اسم الحكام الثلاثة المعهود اليهم تنظيم المسائل العامة . وشرعوا في حصرهم واعدائهم الخاصة (فامر اطونيوس بصرب عنق تيشرون) (٤٣) تم ذهبوا الى الشرق لتتيت جيوش التحالفين وبعد ذلك انقسموا المملكة بينهم . ولم يدم الوفاق بينهم طويلاً بل قاتل بعضهم بعضاً في ايطاليا حتى توسط جندهم في الامر واضطروهم الى العودة لما كانوا عليه من الاتفاق تم جرى تقسيم المملكة من جديد فاصبح اطويوس ملك الشرق واوكتاف ملك العرب (٣٩)

حرب الاكتيوم - دام السلم بضع سنين فاحد اطويوس يعيش عيش ملك شرقي مصاحباً لكلو بطرة ملكة مصر وشغل اوكتاف قتال ابن يوبي الذي كان تحت امره اسطوله يحرب به سواطيء ايطاليا . وانتهت الحال بهدين الملكين بانقطاع علائقهما فنشبت آخر حرب بينهما وكانت حراً بين الشرق والغرب تمت بحرب اكتيوم البحرية واسلم اسطول

كلو باطرة انطونيوس صاحبها فلحاً الى مصر وانحروني اوكتاف وحده صاحب المملكة المطلق (٢١) وكان قد انتهى امر حكومة مجلس السيوخ .

تقرير السلطة المطلقة - شكك الناس كلهم من هذه الحروب وكان سكان الولايات يؤحدون فداءً ويسبي الجنود معاماتهم ويقتلهم نقتيلاً يضطرونهم كل فريق من الحكام ان يحازوا اليه ويعاقبهم العالب على اتمامهم الى المألوب . وكان القواد يعدون الخند بان يكافئوهم باعطائهم اراضي يستعملونها فيطردون منها عامة سكان مدينة ليحل محلهم قدماء الاجناد . وكان اغنياء الرومان يحاطرون ترواتهم وحياتهم ومتى غالب حرمهم يصبحون العوبة في يد العالب يتصرف فيهم بما يتناه . فقد وضع سيلا مثلاً من المذابح المدبرة (٨١) وبعد اربعين سنة (٤٣) جدد انطونيوس اوكتاف امر القتل بدون محاكمة

واقدر كان شعب رومية نفسه يتكلم من سوء هذه الحالة فلا تصل الى رومية الحبوب التي هي مادة عدائه على طريقة مطردة بل كانت تقع في يد قرصان البحر او يهبها اسطول العدو فبعد ان مضى قرن على طريقة هذا الحكم لم يعد للجمييع من الروما وسكان الولايات والاعنياء والعقراء رغبة في غير السلام وعددها تقدم الى ذلك الشعب المنهوك بالفتن الاهلية وارت قيصر ابن احته اوكتاف احد الحكام الثلاثة - تقدم اليهم بعد ان تعلب على رصيعيه قال المؤرخ تاسيت وقبض بيده على جميع سلطات الامة ومجلس السيوخ والحكام . ولم تمض بضع سنين الا وقد اصبح سيداً على رومية وليس بعد هذا من لقب فلم يعد يفكر احد في مقاومته وقد اعلى معبد جانوس وبشر في العالم الوية السلام وهذا كان ما يطلبه العالم باجمعه وذلك لان حكومة الجمهورية بواسطة مجلس السيوخ لم تكن تمثل غير الشعب والحروب المدنية فكانت النفوس تظلم في رحل يكون من القوة بحيث يحول دون الحروب والمورات وعلى هذا الوجه أسست الامراطورية الرومانية .

اغسطس

نظيم الحكومة الملكية - يقضي نظام الحكم الحديد الذي وضعه وريت قيصر ان يكون الحكم المطلق بيد رحل واحد يدعى الامراطور اي الرحل المدر الامر وله الحق ان يتولى السلطات باسمها التي كانت مورعة بين الحكام القدماء فيرأس مجلس السيوخ ويجمع الجيوش كلها ويقودها ويضع قائمة باسما اعضاء السيوخ والفرسان والوزييين ويحجي الصرائب وهو القاضي الاكبر والخبير الاعظم وله سلطة القضاة . ولبيان ان هذه السلطة قد جعلته رجلاً فوق الرجال من البشر لقبوه بلقب ديبى وهواء طس او اعست ومعناه المحترم لم ننتظم شؤون المملكة بتورة انت على كل اصطلاح قديم ولم يبلغ اسم « جمهورية »

وانقضت ثلاثة قرون واعلام الحدود لا يزال يكتب عليها اربعة حروف من اول اربع كلمات S P. Q R ومعناها مجلس الشيوخ والتعب الروماني ولكن اجتمعت السلطة التي كان يقاسمها اتخااص كثير ون في يد واحد وبدلاً من ان يتولاها سمة فقط اصبح يتولاها طول حياته فالامبراطور هو الحاكم الفرد مدى حياته في الجمهورية وفيه يتجدد الشعب الروماني ولذلك كان مطلق التصرف .

مجلس الشيوخ والتعب — بقي مجلس الشيوخ الروماني على ما كان عليه قديماً مجلس اعيان الاعتياد . واكثر الوحوه حرمة في المملكة فكانت عضوية المجلس تعد من الشرف المرعوب فيه فاذا ارادوا ان يقولوا الاسرة الغلانية كبيرة يقولون هي اسرة شيوخ ولكن مجلس الشيوخ على حرمة لم تعد له سلطة لانه لا يتأقن ان امبراطور ان يستغني عنه ولم يرح مع هذا اول قوة حاكمة في الحكومة وان لم يكن المسيطر عليها وكان يتظاهر الامبراطور احياناً بانه يريد احد رأيه ولكنه لا يعمل بمشوراته .

فقد الشعب كل سلطة اد ألغيت محالسه مد عهد تير . واصبح جمهور الامة المردحم في رومية لا يتألف الا من بضعة الوف من كبار السادة مع عبدهم ومن حليط من التحالفين وكانت الحكومة قد تعهدت باطعامهم ودام الامبراطرة يوزعون عليهم الحطة ويرضون لهم شيء من القود فاعطى اعسطس سبعمائة فرنك عن كل رأس تسع مرات واعطى بيرون ٢٥٠ فرنكاً ثلاث مرات عن كل رأس .

نم ان الحكومة كانت تقيم مشاهد لتسلية هذا العواء . وكان عدد المشاهد المطامية ٦٦ يوماً في السنة على عهد الجمهورية وبلغت بعد قرن ونصف على عهد مارك اوريل ١٣٥ يوماً وفي القرن الخامس وصلت الى ١٧٥ يوماً دع عنك الايام الاضافية

وتدوم هذه المشاهد مد شروق الشمس الى غروبها فيتناول المنفرجون طعامهم في الساحات . وهذا ما كان الامبراطرة يتحدثون منه طريقة امينة لاشغال العامة . قال احد المملين لاعسطس . لئانك ياقيصر يعني الشعب بما . بل كانت هذه المشاهد واسطة لاستمالة قلوب الامة للامبراطور فكثيراً ما كان اقبج الامبراطرة اكثرهم حظوة عند العامة وكان بيرون الظالم يعبد لانه قام بالعباب لطيفة فلم يصدق العامة بانه مات وكان ينظر قدومه بعد ثلاثين سنة من موته .

وما كان العامة في رومية يجتثون عن تولي الامور بل عاية ما تطال اليهم نفوسهم ان يتسلوا او يأكلوا كما قال جوفينال في عبارة له « خرو والعباب الميدان »
التأليه — الامبراطور وحده سيد المملكة ما دام حياً لان الشعب الروماني يتحلى له

عن كل سلطة ومتى مات يبحث مجلس الشيوخ فيما اتاه في حياته ويحاكمه باسم الشعب فاذا حكم عليه تبطل جميع اعماله وتخطم تمثله ويمحي اسمه من المصانع والآثار (١) واذا اقر على اعماله (وهو ما يحدث غالباً) يقرر مجلس الشيوخ بان الامبراطور مات وقد ارتقى الى مصاف الارباب .

وقد عدا معظم الامبراطرة ارباباً بعد موتهم على هذه الصورة فكانت تقام لهم معابد وعهد الى كاهن ان يقيم لهم الشعائر الدينية وقد كان في جميع اجراء المملكة معابد رسمت باسم الرب اغسطس والربة رومية واشتر عن اختصاص انهم قاموا بوظائف كاهن للالهى كلود وللهى ميرازين وهذه العادة في تاليه الامبراطور المتوفى كانت تسمى «التاليه» والسكامة يونانية وانقلت عادتها من يونان الشرق على ما يظهر

ادارة الولايات - كان ثلثائة او اربعمائة أسرة شريفة في رومية تحكم البلاد وتستتر باقي المعمور منذ الفتح الروماني فحاء الامبراطور ينزع منهم الحكومة ويحدهم لسلطان ظلمه . حتى اصبح كتاب الرومان يشنون من فقد حريتهم المسلوقة ولم يكن لسكان الولايات ما يأملون عليه بل ظلوا رعايا ولكن بدلاً من ان يرأسهم عدة مئات من الرؤساء يتناوبون الحكومة على الدوام ويحيثونهم بنهمين للعبى اصبح لهم رئيس واحد وهو الامبراطور يهتم بالنظر في امرهم . واقد اوجرتير السياسة الامبراطورية بما يأتي «الراعي الصالح يجز صوف عمه ولا يتعمد» فمضى زهاء قرنين وقد اكتفى الامبراطرة بحز سكان مملكتهم يسلبون منهم كثيراً من الاموال واكثهم يحمونهم من العدو الخارجي بل من عمالهم انفسهم . وعند ما كان سكان الولايات يتكون من الفظائع ومن سرقات حكامهم كانوا يستعدون الامبراطور فيعديهم . وكان من المعروف عند القوم ان الامبراطور يقبل الشكوى على صراطه وهذا كان يكفي لادخال الرعب على قلوب الولاة الفاسدين وادخال الطمانينة على رعاباهم

الولايات كلها ملك الامبراطور (٢) . لانه يمثل الشعب الروماني فهو قائد جميع الخنود وسيد الناس طراً ومالك الاراضي كافة (قال الفقيه كايوس ليس لنا في اراضي الولايات الا التمتع بها والامبراطور وحده مالك لها) واذا كان من المتعذر ان يصب الامبراطور في كل ولاية عنه الوكلاء الذين يختارهم نفسه يرسل الى كل ولاية بصائط (يسمونه مندوب اغسطس لتولي بوظيفة القضاء) وهذا المندوب يحكم البلاد ويقود الجيش ويطوف في

(١) عثر على كتابات محي منها اسم دومنيسين على هذه الصورة

(٢) ترك اغسطس لمجلس الشيوخ بعض ولايات من اقل ولاياته مدولة ولكن ظل

فيها حاكماً محكماً مثل ولاياته الخاصة كأنه صاحبها

ولايته ليفض المصالح المهمة ويده الحياة والموت كالامبراطور . ويبعث الامبراطور ايضا بمحافظ لحجي الحراج وادخال المال في صندوق الامبراطور (ويسمونه نائب اغسطس)

فالصابط والمحافظ يتلان الامبراطور ويحكان على رعاياه ويقودان جنده ويثبتان ملكيته . ويختارهم الامبراطور اذ امن الطبقتين الشريفين في رومية يختار الصباط من مجلس الشيوخ والمحافظين من الفرسان وهو لاء العمال مراتب للسريف على نحو ما كان الحكام في رومية القديمة بتدرجون من ولاية الى اخرى ذاهبين من طرف المملكة الى طرفها (١) فمن سورية الى اسبانيا ومن انكترا الى اوريقية . واذك لنقرأ في الكتابات المكتوبة على قبور رجال ذاك العهد جميع المناصب التي شغلوها مبينة احسن سان . وكتابة قسورهم تكفي لبيان تراجعهم . ما تولد من اعمالهم

الحياة البلدية - وكان تحت هو لاء العمال الكبار الذين يملون الامبراطور وهم لا يسألون عما يفعلون اناس من العامة الخاضعين يديرون شؤون انفسهم بانفسهم وللامبراطور الحق في ان يتداخل في شؤونهم الداخلية الا انه لا يسيء في العادة استعمال هذا الحق . فيطلب اليهم فقط ان لا يجاروا وان يدفعوا على وتيرة واحدة ما يفرض عليهم من الاموال وان يحاكموا امام محكمة الوالي . وكان في كل ولاية كبير من الحكام المحكومين ويسمون اهل المدينة او البلديون ومن هنا حات كلمة الحكم البلدي والمجلس البلدي تحري كل مدينة خاضعة للامبراطورية في ترتيباتها على مثال رومية نفسها فيكون لها مجلس الشعب وتنتج حكامها لسنة ويقسمون الى فرق في كل فرقة عضوان ومجلس الشيوخ مؤلف من كبار ارباب الاملاك والاعبياء وارباب الاسر القديمة وفي الولايات كما في رومية لا يكون لمجلس الامة الا صورة والحكم لمجلس الشيوخ اي للاشراف

من العادة ان يكون مقر الولاية مدينة اي مثل مدينة رومية مصغرة ولها معاندها واقواس نصرها وحماتها العامة واحواضها ودور تتيها وميادين قتالها والعبسة فيها عيتة مصغرة من عيش رومية فتوزع الخنط . والدرهم على الفقراء وتولم الولاية العامة وتقام الحفلات الدينية الكرى والالعب الدموية . الا ان رومية تقوم بما يجب لذلك من النفقات تأخذه من مال الولايات اما في الولايات فان الاشراف يقومون بالانفاق على حكومتهم واعيادها . والحراج الذي يجبي لحساب الامبراطور يحمل كله اليه ولذلك

(١) قال الفيلسوف ابيكيت لا بقدر كبار الرجال ان يتأصلوا في الارض كالحيوانات

بل عليهم ان يسبحوا كسيرا لاطاعة اوامر الامبراطور

يقضى على اعياء كل مدينة ان يقوموا بما يقنضي من النفقات للاحتفال، بالالعب واحماء الحمامات وتبليط الشوارع وبناء الجسور والمجاري والساحات . قاموا بذلك مدة تزيد عن قرنين وانفقوا عن سعة شهدت بذلك المصانع المنبنة في ارض المماكة وألوف من المكتوبات على الاحجار

المستعمرات - تقيم رومية في البلاد التي تشك في خضوعها لها حيشاً صغيراً تسكنه فيها فيبني مدينة تكون حصناً حصيناً وتبعث اليه بأناس من الوطنيين الرومانيين يكونون حنذا وفلاحين في آن واحد ويجري الحيش الاراضي المجاورة الى حصص متساوية توزعها عليهم وهذا ما يسمونه مستعمرة

ويبقى المستعمرون وطنيين رومانيين ويحضعون لجميع ما تأمر به رومية . وتختلف المستعمرة الرومانية عن المستعمرة اليونانية - التي كانت كثيراً ما تشق عصا الطاعة حتى انها لتحارب آتينة نفسها - بان تكون ادا ابنة حاضعة لامها فليست المستعمرة الاحامية رومانية مرابطة بين الاعداء . وكانت اكثر هذه المحطات العسكرية في ايطاليا ولكن كان منها في مكان آخر مثل مستعمرة فاربون وايون وآرل فاما كانت مستعمرات رومانية .

حيت التحوم - لم يكن في المدن الداخلية جيش روماني لان سكان المملكة لا يرون الانقراض على الحكومة فلم يكن للمملكة اعداء الا على الحدود وكان الاجانب ابدآ على استعداد من مهاجمتها فالجرمان وراء سهري الرين والطونة ورحالة الصحراء وراء رمال افريقية ووراء الفرات جيوش المملكة الفارسية

ولدا كان من اللازم اللازم اقامة حند يكون على قدم الاستعداد على تلك التحوم المعرضة ابدآ للتهديد ادرك اعسطس ذلك فاتأ جيتاً دائماً فلم يكن جنود الامبراطورية من اصحاب الاراضي يؤخذون من حقوقهم ليخدموا في الجندية بعض حملات بل كانوا اناسا من الفقراء جعلوا الحرب صناعة لهم فيدخلون الجندية ليخدموا فيها ست عشرة سنة او عشرين سنة وربما جددوا هذه المدة

وعلى هذا كان للامبراطورية في رومية ثلاثون فرقة من الوطنيين اي ١٨٠ الفاهلهم بموجب العادة الرومانية مساعدون فيبلغ مجموعهم نحو ٤٠٠ الف رجل على التقريب وكان هذا الجيش قليلاً بالنسبة لعظم تلك المملكة

ولكل ولاية على الحدود جيش صغير بعيد في معسكر دائم يتبه قلعة يجيء الباعة ينزلون بقرها فلا يعتم المعسكر ان يصبح مدينة وهكذا يعسكر الجند نازاء العدو فيحفظون

شجاعتهم ودربتهم . مضت ثلاثة قرون والجند الروماني يدخل في كل حرب زبون مع الدرابرة المتوحشين ولا سيما على ضفاف الرين والبطونة في بلاد ندية فاحلة مفتاة بالغانات والمستنقعات . وربما بذل الجند الروماني في هذه الحروب التي لانتيجة لها من الشجاعة والشهامة اكثر مما بذل قدماء اليونان في فتح العالم

الآداب - لم يكن الرومان بالطبع امة فنون وقد أصبحوا كذلك فيما بعد مقتفين فيها اثر اليونان . فمن يراهم أخذوا نمودجاً من فاجعاتهم وقصصهم الهلالية وملاحمهم واناثيدهم وأتعارهم الفلسفية والعامية والتاريخية . واقتصر بعضهم على ترجمة الاصل اليوناني (كما فعل هوراس في اناثيده) وكلهم اقتبسوا من اليونان افكارهم ومناحيهم ومزجوها عند ما احتذوا مثالها بما عرف فيهم من صفات الصبر والشهامة حتى صارت بعض آثارهم غريبة الغرائب في أسلوبها

وانفق الرومان على ان العهد الذي أزهرت فيه الآداب اللاتينية حقيقة كانت الحمسين سنة التي قضاها اغسطس في الحكومة وهو الوقت الذي نبغ فيه فرجيل وهوراس واوفيد وتيبول وبروبرس وتيت ليف ولكن عصر اء طس (كما يسمونه) قد سبقه ولحقه قرنان ربما عادلاه في اخراج النوابع في الحيل الاول (القرن الاول قبل المسيح) ظهر الشاعر العربي المدهش لوكريس وقيصر رانير ناتر وشيرون اخطب حطيب وفي الجيل اللاحق كتب سيديك ولوكين وتاسيت وبلين وجوفنال ما كتبوا

وبعض هؤلاء المؤلفين العظماء فقط من أسرة رومانية ومعظمهم ايطاليون وكثيرون من الولايات مثل فرجيل من مانتو وتيت ليف من بادو (في االيا) وسيديك اسباني . وكان الفصاحة هي الفن الوطني حقاً في رومية فكان الرومان كالطليان في ابامنا يحبون الكلام علناً . وكان الخطباء يأتون الى ساحات الاجتماع حيث تلتئم مجالس الامة في أواخر عهد الجمهورية يخطبون ويكثرون من الحركات وسط دوي القوم وشيرون اعظم أولئك الخطباء وهو الوحيد الذي بقيت بعض قطع من خطبه

ولما سقطت الجمهورية انقضت أيام المجالس فقدت الفصاحة لقللة المادة

اللغة اللاتينية - انتفعت آداب اللغة اللاتينية بفتوحات رومية فنقلها الرومان مع لغتهم الى رعاياهم المتوحشين في الغرب فتناسى جميع شعوب ايطاليا وغاليا واسبانيا وفرنسية وضاف الطونة لغاتهم الخاصة وتعلموا اللغة اللاتينية . ولما لم يكن لهم آداب وطنية خاصة اقتبسوا آداب حاكميهم فتكلم اهل الامبراطورية اذ ذاك بلغتي الشعبين الكبيرين القديمين فظل الشرق يتكلم باليونانية واخذ العرب باجمعه يتكلم باللغة اللاتينية

فلم تكن اللاتينية اللغة الرسمية للوطنيين وكبار الرجال فقط كما هي الانكليزية لعهدنا في الهند بل ان الامة نفسها نتكلم بها ما امكن من الصحة بحيث ان القوم في اوربا بعد انقضاء ثمانية عشر قرناً ما برحوا يشككون الى اليوم بحمس لغات مشتقة من اللاتينية وهي الايطالية والاسبانية والبرتغالية والفرنسوية والرومانية

وانتشرت الآداب اللاتينية مع اللغة اللاتينية في عامة انحاء الغرب مما كانت تدرس في القرن الرابع في مدارس نوردو واوتون غير شعراء اللاتين وخطبائهم وظل الاساقفة والقسيديون بعد هجوم البرابرة يكتبون باللغة اللاتينية ونقلوا هذه العادة ايضاً الى شعوب انكلترا والمانيا الذين احتفظوا بلغتهم الجرمانية . وباللاتينية كتبت في القرون الوسطى السجلات والعقود والشرائع والتواريخ والكتب العلمية . وفي الاديار والمدارس لانقراً ولا ينسخ ولا تعتبر غير الكتب اللاتينية وما عدا كتب العبادة لم يعرف غير مؤلفي اللاتين امثال فرجيل وهوراس وشيسترون وبلين لجون وما كانت النهضة العنصرية الاوربية الا عبارة عن احياء ما فقد من آثار اقلام كتاب اللاتين واصح النسخ على منوالهم اكثر من دي قبل . فكما ان الرومان انتسوا لانفسهم آداباً خاصة لتقليدهم اليونان هكذا صار المحدثون من الاوربيين يسجون على مثال كتاب اللاتين . وليت شعري هل عاد ذلك بحيرام بشر؟ ومن يجراً ان يفوه بذلك؟ فما لاجدال فيه اذ ان لعائنا الرومانية الاصل هي بات اللاتينية وان آدانا طامحة بالافكار والمنازع الادبية الرومانية وان العالم العربي باسره مصبوع بصبغة الآداب اللاتينية .

الصناعات - عثر الباحثون بكثرة على تماثيل وصور بارزة رومانية اقتتها الايام من عهد تلك الحكومة منها ما نقل عن الآثار المصرية ويكاد يكون معظمها تقليداً لها ولكنها اقل من الاصل لطفاً وذوقاً . ومن اغرب الانمودجات الباقية النقوش البارزة والصور النصفية فالنقوش البارزة كانت تزدان بها المصانع (كالمعابد والعمد واقواس النصر) والقبور والنواويس تمل بها احسن تماثيل مشاهد حقيقية وحفلات ونذوراً وحر وناوماًم وكل ما يحينطما علماً بالحياة السالفة . وان النقوش البارزة التي جعلت حول اعمدة تراجان ومارك اوريل لتجعلانا كأننا نشاهد مشاهد حرومها العظيمة بتلك الرسوم نتمثل لك الجنود نقاتل البرابرة ويحاصرون قلاعهم ويأتون بالاسرى كما تشاهد النذور العامة والامبراطور يحطب شعبه والصور النصفية هي في الاكثر صور الامبراطرة وسائهم واولادهم واذ كترت تماثيلهم في اطراف المملكة باسرها عثر على كثير منها . حتى ان عند جميع المتاحف اليوم مجموعة من الصور النصفية الامبراطورية وهي صور حقيقية وربما كانت شبيهة باصحابها كل

التبهاذ يرى فيها سياء كل امبراطور واضحة اي وضوح وكثيراً ما تكون بتعة مستكرهة بحيث لم يحاول النقاشون ان يرينوها ويحفوا من سخنات المصورين

فعلم البناء هو الفس الروماني احقيتي لانه يقوم بحاجة عملية وفيه ايضاً قلد الرومان اليونان باتخاذ الاروقة والعمد ولكن كانت لهم طريقة لا يستعملها اليونان وهي العقود (الاقبية) اي فن وضع الاحجار المنحوتة تدعم بعضها بعضاً على شكل قوس مربع . فبالعقود تسمى لهم ان ينشئوا النية اوسع واكثر نفنتاً من انية اليونان

المصانع - اليك اهم انواع المصانع الرومانية منها «المعبد» وهو كثيراً ما يتسبه المعبد اليوناني وله دهليز متسع ويكون احياناً اكثر سعة تعلوه قبة . ومن هذا النوع معبد البانثيون الذي بي في رومية على عهد اغسطس . ومنها «الكنيسة الكبرى» وهي بناء مستطيل طويل يعلوه سقف وتحيط بها اارقة وفيها ينصدر الحاكم يحيط به نوانه وفيها يجتمع التجار ليتجادلوا في تمن البصائع فالكنيسة هي «بورصة» ومحكمة مما . وفي الكنائس الكبرى اقيمت بعد ذلك مجالس المسيحيين وظلت الكنائس النصرانية قرونًا محتفظة باسماء الكنائس الرومانية واتكالمها

ومنها المرازح (المرايح) ذات الدرجات «افنياتر» والملمب وهي مؤلفة من عدة طبقات واروقة وضعت بعضها فوق بعض تحيط بالملمب وكل طبقة من هذه الاروقة يعلوه عدة صفوف من الدريجات وذلك مثل الكوليرة في رومية وميادين ارل وبيم . ومنها قوس النصر وهو باب شرف له بعض سعة بحيث يكفي لمرور مركبة منه وهو مرين بعمد ومرحرف بنقوش كثيرة ومن هذا النوع قوس النصر في اوراج . ومنها الجسر وهو يبنى على صف من الحمايا وسط النهر . ومنها المجاري التي تجلب فيها المياه وكتيراً ما تكون على شكل جسر لتر فوق دار ومن هذا الضرب من المجاري القطعة من الجسر المسماة كارد

وقد كان الامبراطور اعسطس يفاحر بانه افصح في رومية رهاء تماين معبدا قال «لقد وجدت مدينة من القرهيد وهاء نذا اترك مدينة من الرحام» وعمل احلافه كلهم على زحرفة رومية وقد ازدحمت المصانع حوالى الفوروم (الميدان) خاصة واصبح الكاتول مع معبده المعروف بمعبد المتري اشبه تبيء بالا كروبول في آينة . وفي داك الحي ايضاً اشوا عدة ساحات ذات مصانع مثل ساحة قيصر وساحة اعسطس وساحة رفا ن ساحة تراجان وهي ازهاهن

استخدم الرومان (١) في ابنتهم الحجارة التي وقعت تحت ايديهم في البلاد يرففوها بملاط

(١) لا ينبغي ان يعرب عن الاذهان ان الصناعات الرومانية هي كالأداب الرومانية

متين صنع بالكس والرمل بحيث اتت عليه الف وتماثمة سنة وهو لم يتحت بما اصابه من الرطوبة . ولا نقرأ في مصانع الرومان تلك البهجة التي نتجلى على المصانع اليونانية بل انها متسعة متينة راسخة القواعد شأن افتح الروماني . وما زالت ارض البلاد الى يومنا هذا طالحة بانقراض تلك المصانع ولم يرح الباحثون يعثرون حتى في قفار افريقية والدهسة آخذة منهم على مصانع رومانية محفوظة سالمة . ولما أريد جلب الماء الى تونس لم يعملوا الا ان اصلحوا مجرى النهر الذي أنسيء في العهد الروماني .

التجارة — اصححت رومية اعظم مدينة في العالم (ويذهبون الى انه حاء عليها زمن كان فيها مليون نسمة) فكانت بالطبع مركز تجارة المملكة . ولقد مصت العصور القديمة والمتاجر لنقل في الماء اي في البحار وفي الانهار اكثر من الطرق التي يقنعني ها عمالات ثقيلة لنقل تلك المتاجر . فكانت المتاجر لنقل الى رومية من طريق البحر خاصة فنقلها السفن الى مرفأ اوستي عند مصب نهر التيبر ومنها توسق في قوارب تصعد النهر حتى تصل الى سفح جبل افنتين وتنزل تنحها في مرفأ رومية . وكانت البصائع الخاصة ببقية ايطاليا نرع في مرفأ بوزول في خليج نابولي ومن هناك يرسلونها في الطرق وادا تيسر لم يرسلوها في قوارب تسير على الساطيء او تجري صعداً في الانهار تجرها الخيول

وكانت رومية وايطاليا تصرفان اكثر مما يتحان فتجارتها خاصة تجارة واردات وكان تجار من الطليان يزلون في اهم مرافيء العالم يجمعون فيها حاصلات كل بلد ليبيعوا بها الى رومية . وكنت تجدد في كل بلد مركزاً للتجارة مثل البرمة في صقلية وقرطاجنة في افريقية والاسكندرية في مصر ومن هذه البلاد كانت تجلب الى رومية الحبوب والريت والفاكهة والبقول الناضفة ومن المراكز التجارية افير في آسيا الصغرى واطاكية في سورية ومنها كانوا يرسلون الاصواف والاقمشة والحنطة التي تجرحها البلاد الداخلية . ومن هذه المراكز اوابيا على ساطيء البحر الاسود واليه كانت تأتي حنطة روسيا . ومنها قادتس في اسبانيا كانت ترسل الى رومية فضة الملاح واو بار شتكيا (في الاندلس) ومن هذه المراكز نارون وارل في االيا كان يجلب اليهما في نهر الرون حلود بلاد العال واحسابها (اما مارسيليا فكانت سقطت منزلتها القديمة ومرسى فريجوس اصح ميناء حربية) .

وكان الرومانيون يجلبون ايضاً لصائع من خارج يبيعت اليهم الشرق بادوات الرينة والرفاهية كالعطور والابازير (الفلفل وجوز الطيب والرنيجيل) والنيلة والعاج والاحجار لم نبتأ بيد صناع من الرومان بل بيد اناس من سكان الولايات ربما كانوا من العبيد ولم يكن تمت روماني الا الرجل الذي يعملون له اعمالهم

الكريّة واقمشة الصوف والحريير والعبيد السود والحيوانات النادرة (ولاسيما القروذ) فكانت تجلب الى الاسكندرية من طريق البحر الاحمر او في النيل وتأتي الى انطاكية من طريق الخليج الفارسي ونادية الشام (مع القواصل) والى اولبيا من طريق بلاد فارس وبحر الحزر وكان الرومان يستخرجون من بلاد الشمال المواد التي لم تهذبها يد الصناعة مثل عنبر البلطيق وقصدير انكثرا وكان يأتي من طريق غاليا الجلود والاديم والشمع وشعور النساء والعبيد أغسطس — مات أغسطس ولم يخلف ورثا يرثه مباشرة خلفه ابن زوجته تيبس وهو الذي تبناه وصي نصف قرن والامبراطور ابدأ رجل من أسرة اغسطس وادرك الرومان منذ ذلك فساد هذه الطريقة

وكان للامبراطور مدة حياته سلطة مناهية لاحد لها فهو الحاكم على هواه في الاتخاص والاموال يحكم بالقتل وصادر الاموال ويهلك من يريد اهلاكه بدون رقيب لا يقف امام ارادته حاجر من نظام ولا قانون . حتى قال المسترعون الرومان : ان لامر الامبراطور قوة القانون . وبذلك عرفت رومية الاستبداد الذي لانهية له على نحو الاستبداد الذي كان يجري في المدن اليونانية استبداد لم ينحصر في سور ضيق من مدينة بل كان عظيماً كالمملكة . وكما كان في يونان ظالمون اهل حشمة ووقار كان في رومية امبراطرة حكام محتمسون ولكن قل في هؤلاء من لم يستهونهم دوار السلطة عند ما يرون اهم بلغوا ارقى رتبة يصل اليها انسان . ومن امبراطرة رومية من لم يستخدموا سلطتهم التي لم يسمع بتلها الا لترسل اسماؤهم كالاتال مصرب المثل نيرون وظله و بكلود حليفة تيبس وسخافته وكاليجولا وجنوبه المطبق وتقليده حصانه رتبة قنصل وتطاوله الى ان يعبد كالارباب . فكان الامبراطرة يصطهدون الاتراف خاصة ليحولهم عن كيد المسكايد ويضغطون على الاغنياء ليصادروا اموالهم

وكانت هذه السلطة المتناهية سيئة النظام وهي تتمثل كلها في شخص الامبراطور ومتى هلك يجمت فيما اتاه من الاعمال . كان القوم عارفين بان العالم لا يستغني عن سيد ولكن ليس في تريعة ولاعادة ما يستدل به على ماهية داك السيد . فكان من حق مجلس التيوخ وحده ان يعين الامبراطور ولكنه يختار ابدأ بالقوة من اختاره الامبراطور السالف أو رضي عنه الحند . ولقد عتر حراس القصر الامبراطوري بينا كانوا يجثون فيه عقيب وفاة الامبراطور كاليجولا على رجل احتبياً وراء العرش وهو ترتعد فرائضه فرأوا انه من انساب كاليجولا فعينه الحرس امبراطوراً وكان هو الامبراطور كلود

الحرس الامبراطوري — كان يحظر زمن الجمهوريات على القائد ان يأتي في جيشه الى المدينة فاصبح الامبراطور رئيس الجيوش كلها وله في رومية حرس عسكري مؤلف من نحو

عشرة آلاف رجل أقاموا منذ عهد تير في تكينة حصينة بالقرب من المدينة . وبتنخب هذا الحرس من قدماء الاجناد وتدر عليه الرواتب الكثيرة وتوالي عليه الاحسانات وبهؤلاء الجنود يعتز الامبراطور فلا يحاف باثقة تصيبه من الناقمين عليه من أهل رومية بيدان الخطر كان يأتي من الحرس نفسه واذ كانت الموة معهم اعتقدوا بانه يحل لهم ان يأثوا كل شيء وكان زعيمهم أوسع سلطة من الامراطور

التورات والحروب — استشاط أشراف الرومان عصباً مما أناه نيرون من الفطائع وضروب الجون فحدا سخطهم ببعض الولاية الى الانتقاض وحلح الطاعة فتعراذ ذلك مجلس الشيوخ بقوة يستند اليها فأعلن بان نيرون عدو عام فلم يسعه الا الهرب ثم الانتحار . وبعد موته (٦٨) وقع اختيار مجلس الشيوخ على والي اسبانيا المدعو غالبا فعينوه امبراطوراً ولكن الحرس الامبراطوري لم يره كريماً جواداً فذبحه ونصب مكانه أحد ندماء نيرون واسمه أتون . تم ان الجنود المرابطة في تحوم جرمانيا ارادت ان تنصب بنفسها امبراطوراً فدحلت فرق هر الرين الى ايطاليا فصادفوا الحرس الامبراطوري بالقرب من كرميون فقتلوا منهم مقتلة عظيمة في وقعة شعواء أجدت بطرفي الليل تم نصبوا الامبراطور الذي اختاره مجلس الشيوخ وهذا القائد فينليوس

وفي دالك الحين انتخب جيش سورية زعيمه فسباسين الذي قاتل فيتليوس وعين مكانه (٦٩) وهكذا اصبت رومية ثلاثه امراطرة في سنتين وأرل الجند ثلاثه امراطرة عن عروشهم . وفي خلال هذه الحروب نهب جنود حرمانيا مدينة وحرقت معبد الكاتول . الغالليون — نصب فسباسين امبراطوراً فوطد أركان السلم وكان ايطالياً وهو حفيد أحد الفلاحين حافظ على عادات له في الاقتصاد والادحاجة في عيشه . فرأى القسم الاعظم من مجلس الشيوخ قد ترق تعلمهم والاسرات القديمة قد بادت أو هلكت فاستعاض عنها بأسرات ايطالية أو من اهل الولايات ولما تجدد مجلس الشيوخ على هذه الصورة كف عن اداء العداء للامبراطور فخلف فسباسين أولاً (٧٩) انه تينوس الذي مات للحال تم ابنه دومنين (٨١) الذي كان قاسيا عداراً مثل ظلمة اليونان

الانطونيون — اشتهر الحمسة الامراطرة الآتون وهم نرفاوترا جان وادريان واطونين ومارل أوربل (٩٦ — ١٨٠) بالحمسة والحكمة و يدعونهم الانطونيين (وهذا الاسم لا يوافق في الحقيقة الا الآخرين منهم) ولم يكونوا من نسل البيوت القديمة في رومية بل كان تراجان وادرين اسبانيين وولد انطونين في نيم ولم يكونوا أمراء من أسرات امبراطورية حلقت لتولي رقاب الناس منذ ولادتها . وقد تولى الحكم اربعة امراطرة وهم عقيمون فلم

يتسنّ نقل الحكم بالوراثة . وكان الامبراطور يختار كل مرة من قواده وولاته أقدر رجل يحلفه ويتبناه ويعينه باختيار مجلس الشيوخ له وهكذا لم يبلغ عرش الامبراطورية الا اناس مخنكون يحلفون آباءهم في مركزهم بدون قال وقيل .

ولقد كان عصر الانطونيين اهدأ العصور التي عرفها العالم القديم والحروب تنشب بعيدة عن تحوم المملكة ولم يحدث في الداخلية تنقب عسكري بتاتاً ولا مظلمة ولا أحكام جائرة . فكبح الانطويون حماح الجند بتدريبتهم على النظام ونظموا المحاكم ومجلس الامبراطورية وهو مؤلف من الفقهاء والمشرعين واستعاضوا عمن حرروهم من العبيد الذين ظالما سخط الرومانيون عليهم على عهد الاتي عشر قيصرآ باناس من الموظفين النظاميين احتاروهم من أشرف الطبقة الثانية (يعني الفرسان) وما عاد الامبراطور ظالما يخدمه جند بل كان حقاً الحاكم الاول في الجمهورية لا يستعمل سلطته الا لما فيه نفع شعبه

حارب الانطويون حروناً كثيرة ليدفعوا الشعوب المحاربة التي كانت تحاول مهاجمة الامبراطور من ناحيتين . حاربوا في أسفل نهر الطونة الداسيين وهم شعب بربري سكن البلاد الجبلية ذات العانات التي اسميها الآن ترانسلفانيا كما حاربوا على الفرات حكومة البارتيين العسكرية الكبرى التي كانت جعلت المدائن عاصمتها قرب بابل وكانت مملكتهم تمتد على طول بلاد فارس .

ولقد حمل تراجان على الداسيين عدة حملات واجتاز الطونة ورجح في ثلاثة مواقع واستولى على عاصمة ملك الداسيين (١٠١ - ١٠٢) وتفضل عليهم بالصلح ولما عاود الداسيون الحرب عمد تراجان ان يأتى عليهم فانسأ على نهر الطونة جسراً من حجر وهاجم ولايتهم فضمها الى المملكة الرومانية (١٠٦) وأرسل فيها طواريء ومستعمرين أتتوا فيها مدناً وأصحت ولاية داسيا بلاداً رومانية تكلم اهلها باللاتينية وتخلقوا بالاخلاق الرومانية .

ولما اجملت الحيوس الرومانية في اواخر القرن الثالث كانت قد استحكمت اللغة اللاتينية من الداسيين وظلت شائعة في بلادهم خلال القرون الوسطى على الرغم من عارات برابرة الصقالبة . وقد اطلق على الشعب الذي يسكن اليوم السهول في شمالي الدانوب اسم رومية فيدعى الروماني ويتكلم بلغة مشتقة من اللاتينية كالفرنسية والاسبانية

حارب تراجان الباربيين ايضاً فحاز الفرات واستولى على « المدائن » وهي عاصمتهم وتوغل في احتساء البلاد الى فارس ودخل الى سوس واحذ منها عرش ملوك فارس المعمول من الذهب الاصم . وانشأ اسطولاً على دجلة ونزل في النهر حتى مصبه وابتجر في خليج فارس

واستخلص من البارتهين البلاد الواقعة بين بلاد المرات ودجلة وجعلها ولايتين روميتين بيد ان هاتين الولايتين انتقضتا بعد سفر الجيش الروماني .

اما الانطونيان الاحبران وهما انطوين ومارك اوريل فقد سرفا الامراطورية بنضائلها وكان كلاهما يعيش ببساطة كما يعيش الافراد على غناها دون ان يكون لهما ما يتببه قصرًا او سرايا وان يتعرا بانه كانت لهما سلطة وسيادة

واقدم لقب مارك اوريل على العرش بالحكيم وكان يحكم البلاد مدفوعاً بعامل الواجب على غير ارادته ومع انه كان يؤثر العلة قصى حياته في الحكم وقيادة الجيوش . وانك اترى فيما حطه في تذكرته البيئية من افكاره صورة الفيلسوف الرواقي الصالح الراهد العازف عن العالم وهو على جانب من اللطيف والحلم قال . « أحسن الاساليب في الانتقام من الاشقياء هو ان لا يعمل المرء عملهم والارباب المسمهم يعطفون على الاشقياء فلك ان نقندي بالارباب »

واقدم كان مارك اوريل يأخذ برأي مجلس التيوخ في عامة المسائل ويحصر جلساته بدون انقطاع . واقدم وقف في وجه كثير من التعوب البربرية الجرمانية يرد عاراتها ويدفع عاداتها تلك القبائل التي اجتازت الطونة على الحليد ودخل الى شمالي ايطاليا واقتضى له ان يؤلف جيشاً جند عبيداً وبرابرة (١٧٣) فاسحب الجرمانيون ولكن بينا كان مارك اوريل مستعولاً في سورية بقتال أحد القواد المتمردين عادوا على اعتقادهم وهاجموا الامبراطورية ومات مارك اوريل على ضفاف الطونة (١٨٠)

ولما وقفت الفتوح (بعد تراجان) كانت الامبراطورية تمتد على طول جنوبي اوربا كلها وعلى طول الشمال من افريقية والغرب من آسيا ولا يقف في سبيلها الا الحدود الطبيعية فمن العرب البحر المحيط ومن الشمال جبال ايكوسيا ونهر الرين والطونة وقافقاسيا ومن الشرق بوادي المرات وبلاد العرب ومن الجنوب سلاطات الليل والصحراء الكبيرة . فكانت الامبراطورية الرومانية عبارة عن البلاد التي تتألف منها اليوم كل من انكترا واسبانيا وايطاليا وفرنسا والبلجيك وسويسرا وبافيرا والنمسا والمجر والبلاد العثمانية في أوربا ومراكش والحزار وتونس ومصر وسورية وفلسطين والاناضول أي انها ضعفا مملكة الاسكندر .

السلم الروماني - ابطل الرومان الحروب في داخلية بلادهم باخضاع جميع التعوب لسلطتهم . فتوطد السلم الروماني الذي وصفه احد كتّاب اليونان بما يأتي: « لكل فرد ان يذهب حيث شاء فالرواقي غاصه بالسفن والجبال أمينة على ساكنيها أمن المدن لداكنيها

ولم يبق داع للخوف وقد طرحت الارض سلاحها الحديدى القديم. نجلت في نياب الاعياد .
 وها انتم أولاء قد حققتم قول هوميروس بان الارض ملك للجميع»
 فاصبح الناس في العرب للمرة الاولى في حل من اثناء بيوتهم وزرع حقولهم والاستمتاع
 باموالهم واوقاتهم دون ان يكونوا كل ساعة عرضة لمهدد يتهددهم باستلابها منهم او ان
 يذبحوا او يقادوا كالا سرى والعبيد . وهذا امان قلما نقدره قدره اذ قد تمتعنا به كلما منذ
 الصغر واكن الطائر انه كان يعد من حسنات الامور البارة عند القدماء
 * سهلت الرحلة في تلك الامبراطورية المسالمة وأتت الرومان طرقاً في كل مكان مع
 محطات ومواقف وصنعوا مصورات (خراائط) لطرق المملكة وكان كثير من ارباب
 الصاعات والتجار يرحلون من طرف الى طرف آخر من المملكة . ويرحل علماء البيان
 والفلسفة في بلاد الامبراطورية داهبين من مملكة الى أخرى . هم يلقون المحاصرات .
 وكان ينزل في كل ولاية أناس من اعل الولايات القاصية فقد دلت الكتابات على
 الاحجار انه كان في اسبانيا اساتدة ومصورون ونقاشون من اليونان وفي االيا صياغ وصناع
 آسيايون

وجميع هؤلاء كانوا ينقلون عاداتهم وصناعاتهم واديانهم ويمزجونها بما برونه عند الامم
 التي ينزلون عليها تم يعتادون بالتدريج على التكلم باللغة الرومانية وما ابلج بحر القرن
 الثالث عشر حتى عدت اللاتينية لغة بلاد الغرب المشتركة كما صحبت اليونانية لغة الشرق منذ
 قام حلفاء الاسكندر . فنشأت في رومية كما نشأت في الاسكندرية حضارة مشتركة
 سموها الحضارة الرومانية ولم تكن كذلك الا باسمها ولعتها واجتمعت حضارة العالم القديم في
 قبضة الامبراطور

الامبراطورية الرومانية في القرن الثالث

السيفيريون — بدأت الفن الاهلية بعد عهد الامبراطرة الاطونيين فذبح الحرس
 الامبراطوري سنة ٩٣ : الامبراطور برتيناكس ورأوا ان يضعوا المملكة في المراد فتقدم
 طالبان ي يدان ابتياعها احدهما سولبسين تقدم على ان يعطي كل جندي خمسة آلاف فرنك
 والثاني ديدبوس رفع ما يدفعه لكل جندي الى ستة آلاف فرنك فحمله الحرس الى مجلس
 الشيوخ وعينوه امراطوراً ثم لم يستطع القيام بما تعهد به فذبحوه

وفي حلال ذلك بويع بالملك ثلاثة قواد لثلاثة جيوش كبيرة وهما قائد برتانيا وقائد
 ايليريا وقائد سورية وسار هؤلاء الثلاثة المتنافسون الى رومية فوصلت فرق ايليريا قبل
 غيرها فعين مجلس الشيوخ القائد سبتيم سيفير امراطوراً على رومية فنشبت عندئذ حر بان

سالت فيهما الدماء انهاراً احداهما لمدافعة جيش سورية والاخرى لمدافعة جيش برتانيا وظلت لسيفير الكلمة النافذة مدة سنين وهو الذي اوجز سياسته في كلمتين فقال : « ايها الابناء ارضوا الجند واهروا بن نقي »

الفوضى والغارة — مضى قرن ولم يكن قاعدة في الحكومة غير ارادة الخند وكان في الامبراطورية ماخلا جيش الحرس الصعير في رومية عدة جيوش كبيرة على سهر الرين والطوبة والشرق وانكترا . وكل جيش يود ان يجعل قائده امبراطوراً او المتناهيون يتقاتلون حتى كتبت العملة لواحد محكم لصع سنين تم قتل (١) واذا اسعده الحط بنقل السلطة الى ابيه من بعده فالجيش يتمرّد على انه ذاته وتعود نار الحرب تستعر .

وفي ذلك الحين نشأ امبرطرة عرائ في اطوارهم فكان ايلاجابال كاهناً سورياً لبس ياب امرأة وترك امه توّلف مجلس سيوح من النساء (مجلس شيجات وعجائر) ومنهم الامبراطور ماكسيان وهو حندي بالعرض وحبّار قاس وسفاك كان يأكل على مايقال ٣٠ ليرة من اللحم ويترب عشريّن ليرة من الحمر . وحاء رمن على هذه المملكة والدين يدعون الامبراطورية ثلاثون امبراطوراً انقطع كل مهم الى ناحية من المملكة (٢٧٨-٣٦٠) وسمى نفسه امبرطوراً فدعي هؤلاء الثلاثون بالثلاثين ظالماً .

وبينا جند البلاد مشعولون نقتال بعضهم بعضاً كان يرى البرارة ان التحوم حالية من الحامية فيجنازون ارض الامبراطورية ويحربونها . وكان افليم عالياً خصوصاً هو الذي يقاسي الامر بن من هذه العارات في القرن الثالث فتجنارها عصانات من الحاربيين الجرمان كالامان وانفرنك واذ لم يجدوا فيها مدناً حصينة ولا حيوتاً هبوا المدن وحرقوها واحذوا ماشاؤها من اهلها اسرى معهم ودمجوا الباقين . وقرصان الكسون يحربون شواطي بحر المانش كان هذا القرن الذي انقضى في حروب قرن حرافات فكانت تجدي كل مكان اناساً يبدون ارناب المشرق مثل الرب ايزيس واوزيريس والرمة الكرى ولكن ميترًا وهو رب فارسي رب عام اكثر من الارباب قاطبة في الامبراطورية . وميترًا الشمس وهي مصورة في المصانع التي انتشت اكراماً لها وهي تصرع توراً وقد كتف عليه ما يأتي : « للشمس التي تغلب الرب ميترًا » وقد عتر على مثل هذه الرسوم في جميع اجراء الامبراطورية . وعبادة الشمس ملتبسة مهمة وهي احياناً اشبه بالتمعائر المصرية فيكون فيها عماد وولائم مقدسة ومسحة وتوبة وشموع ولا حل ان يقبل المرء في جملة اهل هذه العبادة يجب القيام باعمال من صوم ومحن مخوفة

(١) قدروا ان عدد الامبراطرة من القرن الاول الى الثالث ٤٥ مات منهم ٢٩ قتلاً

وقد كان دين ميتر في اواخر القرن الثالث الدين الرسمي في المملكة . ودان الامبراطرة والحيش بهذا الرب القهار ولهذا الرب في كل مكان معابد على شكل مغاور ذات مذابح ونقوش بارزة وكان في رومية ايضاً معبد فحيم انتسأ الامبراطور اورليان . وكان من اسد الحاجات الماسة في داك العهد البقاء مع الارباب على صلح ووثام فاخترعوا حفلات لتزكية النفس فيلبس المؤمن توناً ايض مرينا بالذهب ويقعد في اسفل هوة فيطبقةونها على رأسه بلوح من الحشب متقوب ويأتون بشور يقفونه على هذا اللوح فينخره الكاهن فيجري دمه من الثقب على انواب المؤمن ووجهه وشعره . وكانوا يمتقدون ان هذا التعمد بالدم يظهر المرء من السيئات كافة ومن يجري له يكون كيوم ولدته أمه في حياة جديدة ويخرج من الحفرة شمع الصورة ولكنه سعيداً مغبوطاً .

احتلاط الاديان — احدثت الاديان كلها في هذا القرن الذي تقدم فيه فوز النصرانية على غيرها بالاحتلاط فتعبد الشمس تحت اسماء منوعة اوهي الترية وهايوس وامل وايلكابال وميترا) وجميع هذه العبادات منسوخة بعضها عن بعض وكثيراً ما تجري على مثال العبادات النصرانية ومن اعظم الامثلة في هذا الاحتلاط الديني ما كان يتوفر عليه اسكندر سيفير الامبراطور المحتشم الطيب ذو الدمة فقد كان في قصره مصلى يعبد فيه المحسنين للانسانية وهم اراهيم واورفيه ويسوع وابولونيوس دي تيان .

ديوكسين — بعد مرور زمن في الحروب الاهلية قام امبراطرة تمكنوا من وضع حد للشعب وكانوا قساة عاملين وجنداً ترقوا في درجات الجندية حتى اصبحوا زعماء وقواداً ثم صاروا امبراطرة . ويكاد يكون مستأ معظم اولئك الامبراطرة من ولايات نصف متوحشة كولايات الطوبة وايلريا وبعضهم كانوا في طفولتهم رعاة او مرارعين . وكانوا في سذاجة اخلاقهم على مثال قدماء قواد الرومان ولما ظلت وفود ملك فارس ان يروا الامبراطور رويوس رأوه شجاعاً اصلع يلبس عباءة صوف ويضطجع على الارض وينناول حمصاً وتحم حنبرير وكانت هذه سيرة كور يوس دانه توس قبل خمسة قرون

واقدر كان هؤلاء الامبراطرة اسداء على الحند فاحدثوا في الحيش نظاماً وفي البلاد اماناً ولكن نتأت بحكم الصرورة بورة اصرم نيرانها الامبراطور ديوكسين الذي تدرج من الجندية الى تولي مقام الامبراطورية (٢٨٥) ونازل عن الملك بعد ان نظم شؤون الامبراطورية .

ولم يعد يكفي رجل واحد لتولي شؤون الحكم في تلك البلاد المتسعة والدفاع عنها فاتحد كل امبراطور له كما اتحد ديوكسين من انسيائه واصحابه اثنين او تلاته يوازرونه

وعهد الى كل واحد النظر في جزء من مملكته . وفي العادة ان يُدعوا باسم « قيصر »
ويحدث أحياناً ان يتولى امبراطوران متكافئان يدعى كلاهما باسم اعسطس ومتى هلك
احدهما يجلسه احد القياصرة اما الجيوش فلا تلتطاع ان تُنصب امبراطورة .
واتسعت الولايات اي اتساع حتى ادى ذلك نديوكسين الى تقسيمها فكان عددها
٤٨ ولاية في القرن التالي فاصححت زهاء ٩٠ ولاية (وعدت عاليا سبع عشرة ولاية بعدان
كانت سبعة) واسمى الحرس الامبراطوري في رومية حطراً على البلاد فاستعاض
الامبراطور ديوكسين عنه بفرقتين سماها فرقتي القصر .

المدنية الرومانية على عهد الامبراطورية

مدينة بومبي — ذكر بلين الفتي في كتاب له قصة توران بركان فروف (سنة ٧٩)
الذي هلك فيه حاله بلين القديم . وكان المعلوم ان هذا الركان اخرب مدينتين صغيرتين
رهتين وهما هر كولانوم وبومبي ولكن لم يعرف احد موقعهما . واكتشفت في القرن الثامن
عشر بالعرض مدينة هر كولانوم معتاة لطبقة من اللحم تم كسخت مدينة بومبي مدفونة تحت
طبقة من الرماد وحجر الكذا . وبديء بالبحث في هر كولانوم فعر فيها على تماثيل صغيرة
جميلة ومدارج مخطوطة محروقة توصل العلماء الى حل بعضها ولكن حالت صعوبة
العمل في اللحم فوق الباحثون عن التوفر على ما كانوا يدوؤا به . وآثروا ان يبحثوا في بومبي
حيث يسهل برع الرماد وقد مضى القرن التاسع عشر باجمعه والمهم متوفرة على برع الرماد
عن المدينة حتى كادت تظهر بأسرها الآن كما كانت .

ظهرت بومبي للاظار على ما كانت عليه قديماً وقد سقطت السقوف من ثقل الرماد
وفرَّ السكان من كثير من البيوت عند وقوع هذا البلاء تم عادوا يفتشون عن اهم الاعلاق
وانفس النفائس . وما رححت الحيطان قنمة ولم تمع منها الاعلانات المكتوبة بالحجرة بل ما
زلت ترى فيها الخطوط التي حطها المارة بانفهم وسلمت التوارع وبلاطها المحفور بسير المركبات
والعجلات . وقد وجدوا ايضاً على الرماد ما تركته تحت الدين هلكوا احتناقاً من الرسوم
وقد توصلوا بان جعلوا جيساً مائعاً في تلك الرسوم واحرجوها فكانت قوالب لتلك
الاجساد الميتة .

العيثة الرومانية — تصور بومبي للفكر كيف كانت العيشة في مدينة رومانية صغيرة
فقد كانت هذه المدينة حديثة البناء ذات شوارع مصفوفة مقطوعة الى زوايا قائمة ومبلطة
ببلاط محكم الاجزاء ولها ارضنة الا ان الشارع الاعظم كان معوجاً وبلغ من ضيقه ان
كان يتمدر على مركبتين ان تلتقيا في وسطه .

ولم يكن للمساكن غير نوافذ صغيرة وقليلة تطل على الشارع بل كانت للغرفة كلها نوافذ من وسط الدور يدخل اليها النور . وهذا عرفت ان الشوارع كانت محاطة بجيطان ما عدا الشوارع الرئيسة وعلى طولها صفوف من الحوانيت يستأجرها السوق والباعة . وساحة المدينة متوسطة الحجم تحيط بها المباني والمصانع مثل ديوان مجلس شيوخ المدينة ومعابد صغيرة ومحاكم وسوق مستوف ورواق ذو عمد وفيه كان يجتمع اهل البطالة وفيها داران للتشيل حفر القسم الاعظم من الكبير منهما في أكمة وهو يسع خمسة آلاف منفرج والصغير يسع ألفاً وحمسائة وفيها مشهد ذو درجات على شكل نصف دائرة « انفيثياتر » نقام فيه الالعب ويتصارع فيه المصارعون . وفيها بلاتة حمامات عامة (على الاقل) لاصغرها وهو الذي حفظ اكثر من غيره مقصورة للاستحمام واخرى للحمام السخن وتالته للبارد وصوان (محل التياب) وليس في الدور غير احونة ومقاعد ومناديق وسرر وتعمدانات وكثير من المصابيح اد لم يكن القدماء يكترون من الاتات . اما العرف فصغيرة ويجعلون الرينة كلها في قاعة الاستقبال الكبرى الا ان مصايغ اعني اعياء السكان مبلطة بالنسيغساء والحدران معتاة بصور جميلة فيها متاهد اساطير وتزينات من كاليل وازهار اما الحوانيت محالها تتعرب بضعف التجارة والحوانيت باعة المتروبات اشارات مصورة وقد صوّرت في احداها صورة باحوس (رب الكرمة) يعصر عنقوداً . وكتب على حانوت آخر : « هنا فندق بوجر عرفة ذات تلاتة سرر » وقد عثروا في تلك المدينة على مخبر فيه رحبان تداران باليد وعلى معمل لقصر التياب ودكان حلاق وبيت جراح وادواته من القلر (الحماس الاصفر) ومعمل نقش ودباعة .

المتشاهد — كان المتشاهد في حياة هذا الشعب العطل من الاعمال في رومية شأن يصعب علينا تصويره فكانت المتشاهد كما في يونان عبارة عن العاب اي حفلات دينية وتعاقب المتشاهد طول النهار وتعود من الايام التالية مدة اسبوع على الاقل . والمشهد عبارة عن موعد لتواعد اليه الامة الحرة باسرها وهماك كانت تقام المظاهرات في حلال الحروب المدينة سنة ١٩٦ احد المتفرجون لمسان واحد يهتفون : السلم . والمتشاهد (الفرجة) كان بحسب ما تميل اليه النفوس في ذلك الزمن فقد متل فيه ثلاثة امبراطرة فمثل كاليجولا في هيئة حودي ونبرون ممثلاً وكومود مصارعاً . وللمشاهد ثلاثة اصرب وهي المرزح او المسرح (المرشح) والملمب وشكل نصف الدائرة (انفيثياتر) وكان المرزح على الاسلوب اليوناني والمتملون يمارون وقد جعلوا اوجها مستعارة على وجوههم يتنخسون قصصاً اخذوها من اللغة اليونانية . وقلمما كان الرومان يقدرون مثل

هذه الروايات قدرها لانها تعلق عن عقولهم وكانوا يؤثرون الروايات المضحكة الجافة المعروفة بالميم ولا سيما « البانتوميم » التي يستخلصها الشخص دون ان يتكلم و يظهر عواطف الاتخاض الذين يمثلهم بحركاته وسكناته . تمتد بين اكميتين من جبل افانين وبالاتين ساحة للسباق تحيط بها اروقة علتها مراق وادراج . وهذا المكان هو الملعب الاعظم اصبح يسع منذوسعه نيرون ٢٥٠ الف متفرج . ثم وسع في القرن الرابع حتى صار صالحاً لاجلاس ٣٨٥ الف شخص وهناك كانوا يثلون الفرحة التي يجيها الشعب الروماني وهي سباق المركبات ذات الاربعة الحيول فالمركبة الواحدة تطوف الملعب من اقصاه الى اقصاه ثلاث مرات وعليها ان تقطع ٢٥ توطاً في اليوم الواحد . وسائقو المركبات تبع لشركات تراحم كل منها الاخرى و يلبسون لوثامن الالبسة خاصاً لشركتهم فكانت الشركات اربعاً باديء بدء تم استحداث تسين وهما الرقاه والحصره ولكليهما شهرة في تاريخ التمرد . ولقد اوع القوم في رومية بسباق المركبات كما يولع الناس اليوم اسباق الخيل حتى كان موضوع حديث النساء والاولاد ايضاً وكثيراً ما يتعصب الامبراطور لهريق دون آخر في السباق وتكون من النزاع بين الزرق والحضر مسألة سياسية

انتسأ الامبراطور فسبازين على ابواب رومية بناء الكوليزة وهي عمارة ضخمة ذات طبقتين تسع سبعين الف متفرج كانت عبارة عن ملعب مستدير حول ميدان يصطادون فيه ويتقاتلون فاذا ارادوا الصيد يجعلون الميدان غابة يطلقون فيها الوحوش الكاسرة فيجئ رجال مسلحون بحراب يصيدونها . وكانوا ينوعون المشهد بجعل الحيوانات الكثيرة في هذا المكان ولا سيما النادر منها كالاسود والفهود والفيلة والديبة والجواميس والكركدن والزرافة والتمور والتاسيح . وظهر في الالاعاب التي احتفل بها الامبراطور يومي ١٧ فيلاً و ٥٠٠ اسد في الميدان وكانت لبعض الامبراطرة دار لعرائب الوحوش . تم رأى القوم بدلاً من ان يجعلوا الرجال المسلحين امام الحيوانات ان يطلقوا الحيوانات على الرجال وهم عراة مقيدون . وشاعت العادة في جميع مدن الامبراطورية باستخدام المحكوم عليهم بالاعدام في هذه التسلية فاقرست الحيوانات ألوفاً من الناس من كل جنس و سن ومنهم كثير من شهداء المسيحيين على مرأى من الحضور .

المصارعون — كان قتال المصارعين (رجال بايديهم السيوف) من اجل المشاهدة الوطنية عند الرومانيين فينزل رجال مسلحون الى الميدان يتبارزون حتى يقتل بعضهم بعضاً وبلغ الحال بالرومانيين على عهد قيصران صاروا يقتلون ٣٢٠ زوجاً من المصارعين في آن

واحد وقد قتل اغسطس في حياته كلها عشرة آلاف رجل وقتل تراجان مثل ذلك في اربعة اشهر . وكان المغلوب يذبح في الحال الا اذا عفا الشعب عنه

وكثيراً ما يقاتون باناس من المحكوم عليهم في ميدان الصراع ولكن المتصارعين يكونون في الغالب من العبيد واسرى الحرب وكل انتصار يجلب الى ميدان الصراع عصابات من البرابرة يقتل بعضهم بعضاً ليتلذذ المتفرجون (١) وكان في رومية مصارعون من كل بلد فمنهم العاليون والجزبان والتراسيون وربما كان منهم الرنوج فيقتتلون بالسلمحة مختلفة عن اسلحتهم الوطنية عادة . وكان يحب الرومان ان يروا هذه المقاتلات في صور مصغرة .

وكنت ترى بين هؤلاء المقتتلين في الملعب اناساً من المتطوعة الاحرار حدا بهم حبهم للخطر ان يقدموا انفسهم للصراع وقواعد القاسية وان يقسموا لرعائهم بانهم يقدمون ليصربوا بالعتي ويحرقوا بالحديد المحمي ويقتلوا نقتيلاً . وقد تجدد غير واحد من اعضاء مجلس الشيوخ من هذه العصابات من العبيد والمشردين بل تجدد في زمريهم الامبراطور كومود وبل الى الميدان بذاته . ولا تقام هذه الالعب الخطرة في رومية فقط بل في جميع مدن ايطاليا وعاليا وافريقية (اما اليونان فقد استنكفوا من قبول هذه الالعب) واليك صورة كتبت على تمثال اقيم لاحد اعيان بلدة منتورن : « قد اظهر في اربعة ايام احد عشر زوجا من المصارعين ما برحوا يقتتلون حتى بعد ان سقط نصفهم في الميدان وصاد عشرة دبة هائلة ولا تلك انكم تذكرونه ايها الوطنيون الاشراف »

وكان الشعب يهوى اهراق الدماء على نحو ما يجري اليوم باسبانيا في سباق الثيران . وبنبغي للامبراطور كما ينبغي للملك اسبانيا ان يحضر هذه المجازر . ولقد فقد الامبراطور مارك اوريل ثقة العامة في رومية لانه اظهر مللا من مشاهدة تلك الالعب فكان يقرأ ويتكلم ويقابل الناس بدلاً من ان ينفرج . ولما صحب معه المصارعين لستخدمهم في قتال الدابة الذين هاجموا ايطاليا او شككت الغوعاء ان تترد وصرخوا قائلين : « انه يريد ان يسلبنا تسليتنا ليفطرنا الى التفلسف »

المدارس = لم يخطر للقدماء قط ان يعلموا الاولاد كلهم فليس العبيد وحدهم بل السواد الاعظم من سكان الامبراطورية لم يتعلموا القراءة . على انه لم يكن في المملكة (١) شكر احد الخطباء الامبراطور قسطنطين في خطاب رسمي القاها لانه قدم جيشاً برمته من الدابة الاسرى ليتصارع امام الجمهور ولانه استعمل قتل الناس لتسليمة الناس . قال وليت شعري اي ظفر اجمل من هذا ؟

غير مدارس للاغنياء وللوطنيين الرومانيين . وقلما نعرف المدارس التي يتعلم فيها ابناء الوطنيين والاجناد القراءة والكتابة . وقد كانت راتب معلم المدرسة قليلاً جداً وآباء الاولاد هم الذين يؤدون اليه راتبه . وطريقة التعليم عبارة عن ضرب الاولاد بقرة او بالعصي . وقد مَثَلوا في صورة وجدت في مدينة بومبي ولدآً يسكه اترانه بينما كان المعلم يضربه بالسوط .

وتعلم الأسرات الغنية اولادها على مؤدب عبد يكون رومياً في الغالب فيعلمهم النحو واللغة اليونانية . والمدارس العامة تقبل التبان الاغنياء خاصة يرسلهم آباؤهم اليها ليتعلموا فيها الخطابة . والعاء المناير لم ينزع من الناس دوقهم في الخطابة ومراهم عليها . وعلى ذلك العهد بدأ المفوهون او الخطباء يكتبون ويعلمون الناس كيفية الاداء فافتتحوا منذ القرن الاول في رومية مدارس يقبلون فيها الفتيان الاغنياء . وكان بعضهم يرن تلاميذه على انشاء المرافعات في موضوعات خيالية في الخطابة وقد حمظ لنا الخليب سيديان عدة من هذه الدروس الخطابية وموضوعها اولاد مخطوفون ولصوص ومتشردون على اساليب مختلفة أسست على الولا مدارس من هذا الطرار في جميع اقطار المملكة وكان في االيا مدرسة قديمة في مدينة مارسيليا اليونانية يقصدها الطلاب من ايطاليا . واصبحت مدرسة اوتون منذ زمن اعسطس عامرة اكثر من غيرها بالطلاب وهي التي بقيت عامرة الى آخر ايام الامبراطورية .

ثم أنشئت مدارس من هذا النوع في الشمال منها مدرسة في ريمس واخرى في تريف . وكات في الجنوب لعدة مدن مدارس من مثل هذه واشهرها هي التي اصبحت مدرسة بورردو بعد ذلك .

تنفق المدن على هذه المدارس فتعين لها الاساتذة وتدفع لهم اجورهم والمقصد الاول منها تعليم ابناء الأسرات الغنية التكلم باللاتينية واليونانية وان يكتبوا فيهما ليتمكنوا من ان يكونوا موظفين . ويعلم فيها النحو والبيان خاصة . وكان اشهر استاذ في مدرسة اوتون في القرن الرابع الخطيب اومين ارسله الامبراطور قسطنطين وكان مدحه . واعظم رجل في مدرسة بورردو هو اوزون مرني ابن الامبراطور (٢٦٩) ومؤلف عدة مقاطيع شعرية لاتينية متكلفة .^١

الاشراف — دثرت الأسرات القديمة الغنية في رومية الا قليلاً ولكن قام غيرها من الأسر الحديثة التي اغنتت بالصيرفة والتجارة والتزام الجباية واستنثار الاراضي المفتوحة . وكما تمكن غني من ارباب الاملاك من ان يعينه الامبراطور حاكماً تشرف أسرته وبذلك شرفت

جميع الأسرات العمية في ايطاليا والولايات (حتى لم يبق في اواخر القرن الثالث اناس من الفرسان العاديين) وكان كل عظيم من كبراء هؤلاء المللك يعيش بين عبيده ملكاً صغيراً لا عمل له الا اتباع الشهوات وداره في رومية اشبه بقصر تفص غرفة التشريفات (الانريوم) كل صباح ناناس من الربن (الرونات) وهم اناس من الوطنيين يختلفون اليه لا مورطيفة صباح كل يوم يسلمون عليه بالسيادة ويسارون موكبه في الشارع . لان الاصطلاح يطلب ان لا يظهر العبي ادأ امام الجمهور الا ويحيط به جماعة . وقد ضحك هوراس من احد القضاة لمروره بتوارع تيبور في خمسة من العبيد فقط . وللكبراء خارج رومية مصايف هجة على سواطيء البحر او في الجبال ينقلون فيها لا عمل لهم والضجر آخذ منهم

ولم تكن واجهات لبيوت هؤلاء الاغنياء من الرومانيين على العكس من بيوتنا الحديثة بل كانت كلها دائرة من داخل اما من الخارج فلم تكن سوى حيطان عارية لا شيء فيها والغرف صغيرة وفرشها قليل وهي مظلمة لا يدخلها الضوء الا من قاعة التشريفات وهي في وسط البيت وفيها نصبت تماثيل الاجداد وفيها يستقبل الروار ويدخل اليها النور من شق في السقف ووراءها البير يستيد وهي حديقة محاطة بصفوف من العمد وعليها تطل عرف الطعام مزينة انحرزينة وفيها سرر لحلوس الضيوف ويتناولون فيها الطعام لان ذلك كان من عادة اغنياء الرومان كما كان من عادة اليونان في آسيا . وكثيراً ما يكون بلاط الدار معمولاً بالفسيفاء .

الاخلاق — وصف سينيك في رسائله وجوفنال في اهاجيه الرجال والنساء في عهدها وصفاً مزعجاً حتى اصبح فساد رومية القياصرة مثلاً سائراً في الغابرين . على ان هذا ناشيء من دوام اضطرابات القرون الاخيرة للجمهورية مثل بذح الاغنياء الغليظ وقسوة السادة مع عبيدهم وطيش النساء المزوج محنون . فلم يأت الشر من طريقة الحكم الامبراطورية بل من الافراط في جمع تروات العالم اجمع بيد بضعة الوف من الاشراف او اذعياء الشرف وتحتهم بضع مئات من الاحرار يعيشون عيشاً سافلاً وملايين من العبيد يظلمون ظلماً هائلاً وكانت الامرة الكبرى تندتر بسرعة حتى هال الامراطور اعطس ما رأى من نقص عدد الرجال الاحرار فسن قوانين لحمل الناس على الزواج والعقاب على العزوبة واذ كان تأثير هذه القوانين يحتاج الى زمن لم ننجح اصلاً . ولقد كثر عدد الاعزاب من الاغنياء حتى غدت مداهنتهم من الصناعات الراجحة وذلك ليوصي لهم من يدهنون لهم بشيء من المال يأخذونه بعدهم . ومن حسن التدبير ان لا يرزق الغني ولدأ فيكون محاطاً بالمرائين والمتقربين . قال احد القصصيين الروحانيين : « ينقسم الناس في هذه المدينة الى طبقتين

منهم من يصطاد ومنهم من يصاد» وقال سينيك : « ان في جرمان الاولاد زيادة نفوذ المرء » .

الطبقات النازلة — فقد اتميز بين الوطنيين الرومانيين والغرباء موقعه ومكانته اذ لم يعد في رومية انتخابات وشمل حق التملك على التدرج سكان الولايات . وجاء زمن على عهد كاراكالا (سنة ٢١٢) صدر فيه امر بمنح حق الوطنية لجميع سكان الامبراطورية ولم يشعر بهذا الامر كثيراً لان العمل كان جارياً عليه من قبل بالفعل . ويمتاز الرجل امتيازاً خاصاً بتروته التي يملكها ويقسم الناس الى طبقتين : الاغنياء ويدعون اشرف الشرفاء وهم اعضاء مجلس السيوخ والفرسان واطباء مجالس السيوخ في المدن وتؤلف منهم طبقة قواد العشرة اما بقية الشعب وهم العامة يتألف منهم الفقراء المدقون والسوقة الحقيرون .

فاشرف الاشراف وخدمهم يحسبون في المجتمع وهم يقومون بعامة الوظائف المدنية وجميع موظفي الامبراطور من طبقة اعضاء السيوخ او طبقة الفرسان وجميع حكام المدن من قواد العشرة . ولم يكن لهم امتيازات رسمية ومحال خاصة بهم في دور التمثيل وحضور الحفلات واذا حكم عليهم بالاعدام لا يصابون ولا ياتي بهم للوحوش في المالب لان هذه العقوبات المخزية كانت خاصة بالغوغاء والعامة .

ولقد عاش الفقراء في هذا المجتمع الارستوكراسي عيشة ضئيلة فيعيش فقراء رومية من الصدقات العامة او بالاحتلاف الى الاغنياء ومداهنتهم وهذه العيشة كانت صراً مسنوراً من التحاذه . ويصبح الفقراء في القرى مستعمرين في اراضي كبار ارباب الاملاك الذين يعاملونهم معاملة تقرب من معاملة العبيد وترى الفقراء في المدن صناعات او مرتقة ومنزلهم منزلة المعتق من العبيد . واذا حسنت حال المدينة يكون لهم نصيب وافر بوزعه الحكام من الصدقات ويدخلون بدون اجرة الى مشاهد التمثيل والالعب والحمامات العمومية وكنت ترى في جميع المدن حمامات حارة مؤلفة من مقاصير للاستحمام ذات احواض تأتياها الحرارة من موقد جعل تحت الارض . والحمامات في مدينة رومية كحال الرياضة في المدينة اليونانية هي مكان اجتماع من لا عمل لهم . بل كانت الحمامات في مدن الرومان اعظم من مجال الرياضة عند جيرانهم اليونان مئات من المقاصير على اختلاف اجناسها من مقصورة باردة الى فاترة الى حارة الى صوان للثياب ومقصورة لذلك البدن بالزيت ومحل للحادثة ومقاصير للرياضة وحدائق يحيط بكل ذلك سور عظيم . وقد تغلت حرائب حمامات كاراكالا بالقرب من رومية مساحة عظيمة من الارض .

العبيد - وتأتي تحت طبقة الاحرار الفقراء الطبقة الاخيرة وهي طبقة العبيد الذين هم في بعض البلاد معظم السكان . والسادة من الرومانيين كالتسرفيين لهدنا كانوا يجبون ان يحيط بهم جمهور من العبيد . في البيت الكبير الروماني يعيش مئات من العبيد ينقسمون بحسب الخدم التي يتولونها فمنهم الموكلون بالفرس وتعهد الاواني الفضية والاعلاق والتحف ومنهم حفظة للتياب ومنهم وصائف ووصيفات ومنهم القيمون على المطبخ والحمام ومنهم رئيس المتكلم ومعاونوه ومنهم عبيد الموكب الذي يرافق سيد البيت وسيدته في التوارع ومنهم حملة المحفة (المحارة) ومنهم الحوذيون والسواس ومنهم أمناء السر والقراء والنساخ والاطباء والمربون والممتلون والموسيقيون وارباب الصناعات من كل صنف لانهم في كل بيت كبير يطحنون الدقيق ويحكيكون الصوف وينسجون التياب . ومن هؤلاء العبيد من حبسوا انفسهم في المعامل يصنعون اشياء يبيعها سادتهم ويكون ربحها لهم ومنهم من يؤجرهم اصحابهم الى الخارج على انهم بناؤون او بحارة فقد كان لكراسوس خمسمائة عبد من المهندسين . وكل هؤلاء يدعون عبيد المدن .

عبيد الريف - كل ملك (نفتيش) كبير يتوفر على زراعته عصاة من العبيد فهم الحراتون والرعاة وانكرامون والبسانتيون والصيادون يجعلون شراذم تؤلف كل شردمة من عشرة اشخاص . ويلاحظهم وكيل منهم يهيم عليهم . ويرى صاحب الملك ان من دواعي اعجاباه ان تخرج ارضه كل شيء فهو لا يبتاع شيئاً وكل حاجياته نبتت في ارضه وهذا مما يجعلونه من جملة التناء على الاغنياء فصاحب الارض يؤوي اليه عدداً عظيماً من عبيد الريف كما يسموهم والملك الروماني اتبه ترقية ويسمى مصيفاً (فيلا) وقد بقي اسمها فاطلق عليه اسم مدينة (فيل) بمد القرون الوسطى وهو الملك الروماني القديم مكبراً

معاملة العبيد - يعامل العبيد بحسب احلاق سيدهم فمن السادة النورين الذين اشتهروا بالانسانية سيدهم ون وسيدك وبلين فقد كانوا يطعمون عبيدهم طعاماً جيداً او يجادونهم وربما اجلسوهم معهم على موائدهم ويسمجون ان يكون لهم اسرة وثروة صغيرة . وهناك سادة على العكس من هؤلاء عاملوا عبيدهم معاملة الحيوانات وعاقبوهم اتد العقوبات بل ربما قتلوهم لهوى في النفس . والامثلة على ذلك كثيرة . فقد كان مويوس بوليوب عتيق اغسطس يطعم السلور البحري (سمك مريضة) في بركته فكسر له احد عبيده آنية على غير قصد فما هو الا ان القاه في البركة ليكبر طعاماً لسمكه

وصف الفيلسوف سينيكا فظائع السادات بهذه العبارة : « اذا سعل أحد العبيد أو عطس خلال المأدبة أو طرد الذباب متهاوناً أو رمى مفتاحاً وسمع له صوت نكلب في

الاقتصاص منه وأي كلب فادا اجاب رافعاً صوته قليلاً ودلت تلاميح وجهه على سوء خلق أيجق لنا ان نصر به بالسياط؟ وكثيراً ما نبالغ في الصرب ونقطع له عصواً ونقلع سنناً» وهكذا رأينا الفيلسوف ايبكتيت وكان عبداً كسر مولاه ساقه . اما النساء فلم يكن أيضاً على شيء من الشفقة واليكم كيف امتدح ادفيد احدى العقائل قال . «مشطوا رأسها امامي مرات وماقط غرزت الابرة في ذراع العبد الذي يمتطها»

وما كان الرأي العام ليحول دون هذه الفظائع فقد مثل جوفال عقيلة غضبي على أحد عبيدها وهي نقول أصلبوه - وأي جريمة أتاها العبد حتى استحق هذا العذاب؟ ما انحسه ودل العبد من البشر؟ وسواء أتى امرأاً اداً ام لم يأت ناني أريد غنابه وأمر به وارادتي هي الحجة في هذا الباب

اما الشريعة فلم تكن الطف من الاحلاق فكانت في القرن الاول قبل المسيح توجب بان صاحب البيت اذا ذبحان يقتل عبيده كلهم به . ولما أريد الغاء هذا القانون خطب ترازيا أحد معتبري الفلاسفة في مجلس السيوخ مطالباً ببقاء هذا القانون .

والعبيد مطبق تحت الارض يدخله النور من نوافذ ضيقة بعيدة بحيث لا يتيسر الوصول اليها فاذا اتوا ما يغضب ساداتهم يسجنونهم فيه بالليل وفي النهار يعثون بهم ليستغلواهم قيدياً بسلاسل من حديد ثقيلة . وكثير منهم من سميت وجوههم بحديدة محماة

لم يعرف القدماء المطاحن الميكانيكية بل كانوا يطحنون الخنطة بمطاحن باليد يديرها العبيد وكان ذلك من اسقى الاعمال يندبون اليها عقوبة لهم في العادة . وكانت مطحنة قديماً مثل محبس (لومان) وقال بلوت «كان يبكي أشتقاء العبيد الذين يطعمون البولانتا (سويق من دقيق الدرة) وهناك يرندوي الاسواط وقمعة السلاسل والاعلال» وبعد ثلاثة قرون أي في القرن الثاني بعد المسيح وصف القصصي اوليه داخل مطحنة بقوله: «ايها الارباب ما انعس هؤلاء المساكين من البشر فقد اسودت جلودهم وتبرقتت من ضرب السياط ولا تستر ابدانهم غير خرق من قيص مدموعة جباههم مخلوقة رؤوسهم مقيدة ارجلهم مشوهة ابدانهم من النيران مقروضة جفونهم من الدخان وقد علام غبار الدقيق»

ولم يكن العبيد يكتبون ولذلك لانعرف ما هو رأيهم انفسهم في معاملة ساداتهم لهم . الا ان المواي انفسهم كانوا يشعرون بحقد عبيدهم عليهم . ولما انتهى الى بلين لجون ما اصاب احد ارباب الاملاك من ذبحه في حمام بيد عبيده قال ملاحظاً : «هوذا الخطر الذي يتهددنا كائنا» . وقال كاتب آخر: «اصبح كثير من الرومان عرضة لحقد عبيدهم أكثر من حقد الظالمين»

الشركات — كان في جميع بلاد الامبراطورية في الشرق اليوناني أكثر من الغرب اللاتيني عدد كبير من الشركات مختلفة الضروب والاشكال . فمنها شركات لارباب الصناعة الواحدة وشركات للممثلين والمصارعين وشركات اديبة وشركات لاجتماع السكرين على الشراب ولبعض هذه الشركات أعضاء من الرجال الاغنياء مثل جمعيات الجبابة وكان اعضاؤها يلتزمون الاموال الامبرية . ومثل جمعيات التجار الذين يتجرون بين ايطاليا وعليا ولكن معظم تلك الجمعيات كان مؤلفاً من صعاليك القوم .

ولقد طال منع الحكومة الرومانية لهذه الجمعيات والشركات ثم تسامحت بها حتى اذا كان القرن الثالث اخذت تمد اليها يد مساعدتها ولكن الحكومة لم تمنع قط الجمعيات لدفن الموتى وكانت هذه الجمعيات ثألف من اناس مساكين لا يستطيعون ان يقتنوا ارضاً لتكون لهم قبرا فكانوا يشتركون ويدفعون اقساطا للحصول على سرب يكون مشتركاً بينهم ليدفنوا فيه امواتهم . فالمغارة او السرب المعدة لدفن الموتى هو عبارة عن بناء مقبب وفيه صفوف كثيرة من المقاصير يجعل في كل واحدة منها رفات ميت ويسمونها برج الحمام بسبب شكلها .

وعلى هذا كان اعضاء جمعية الموتى على تقية من الحصول على مدفن لائق بعد موتهم وقبر دائم لهم على الدهر وهو ما كان القدماء يحرصون عليه كل الحرص ويسمون هذه الشركات لا بأسماء حرن لثلا تكون شؤماً بل يسمونها باسماء ارباب ويسمونها شركات الصغار وكان يدخل فيها كثير من العبيد وتجعل جميع الشركات الا قليلا تحت حماية احد الارباب ليحميها (مثل جمعيات الاطباء التي اطلقوا عليها اسم اسكولاب) وما كان لكثير من هذه الشركات من عاية الا ان يتعبدوا كلهم جماعة . والحكومة لاتدر الارزاق الا على المعابد والكهنة وبعض التعائر الرسمية . وجميع الاديان الاخرى كانت منظمة على هيئة جمعيات . ولاهلهما صندوقهم وكهنتهم ومصلاهم ومذبحهم وحفلاتهم . وكانت الكنائس النصرانية اولاً شركات من هذا النوع .

واهم الشركات شركات ارباب الصناعات فكان منها في عامة المدن حتى ان العواصم كان فيها عدة شركات من نوعها واعضاؤها في العادة من ارباب الصناعة الواحدة وتسمى كل شركة باسماء صناعات اعضائها فقد كان في افيز شركة حلاجي الصوف وفي جنيف شركة الملاحين وفي ليون شركة عملة البناء . ونقبل كل شركة في اعضائها اناساً من اهل صناعة اخرى . ومن العادة ان يكون لكل شركة عبادة فتعبدوا رباً ونقيم عيداً للاحتفال به يحملون فيه علمه (ودامت هذه العادة في القرون الوسطى في شركات الصانع المسيحيين) وهذه

الشركة تقوم بدفن أعضائها متى ماتوا في مدافن لائقة . ولكل شركة مديران يختاران من المعلمين ويكونان في العادة وكيلًا وامين صندوق ينتخبهما الاعضاء كلهم الا انه لم يكن لها ادنى سلطة على ارباب الصناعة وما كان يكره احد على الدخول معهم

الحقوق الرومانية

دين البيوت — يعبد اعضاء كل امرة باجمعهم اجدادهم ويجتمعون حول مزار واحد دار باهم واحدة ولم وحدهم ان ينظروا اليها ولا يحق لاحد ان يعبد اجداد أسرة الا اذا كان من فرع اولئك الجدود . ويقام المزار الذي يجعل فيه ارباب البيت في مكان منفرد من الدار لا يقرب منه غريب . والاسرة الرومانية اتبته بكيسة صغيرة لها دينها وعبادتها لا يقبل فيهما احد غير اعضائها ولذلك تختلف كثيراً عن الاسرة الحديثة لان نظامها ديني .
الزواج — اخذ الرواج الروماني يصير احتفالاً دينياً فيسلم الاب انته المخطوبة الى خارج الدار فتحمل في موكب الى دار زوجها والناس يرددون كلمة مقدسة وهي : «العرس ايتها العروس» حتى اذا جاؤا بها الى دار زوجها يقدمون لها الماء والنار وهناك يقسم الزوجان بحضور ارباب الاسرة قطعة من الحلواء معمولة من الحوارى وكان يسمى الزواج اذ ذاك شركة الحلواء .

وتد اخترع الرومان منذ الزمن الاطول ضرباً من الزواج يسوغ للطبقة الوسطى فقط وهو اما ان يبيع المخطوبة احد اوليائها واقربائها بحضور شهود من قبل زوجها ويصرح هذا بانه ابتاعها على ان تكون زوجته وهذا زواج البيع واما ان تجيء الزوج فتساكن زوجها ومتى قضيا سنة معاً يعتبران متزوجين وهذا الزواج بالعادة

الرومان كاليونان يرون الزواج فرضاً دينياً والدين يأمر بان لا ندرت الاسر . وعند ما يتزوج الروماني يصرح بانه اتخذ زوجته ليكون له منها اولاد . وقد طلق احد اشرف الاعنياء زوجته وكان يحبها حباً جماً لانه لم يرزق منها اولاداً .

المرأة — ليست المرأة الرومانية حرة اصلاً فهي في شبيبتها ملك ابها يختار لها زوجاً واذا تزوجت يصير امرها بيد بعلمها ويقول الفقهاء انها في يده وانها مثل انتته . وبالجملة فللمرأة سيد على الدوام بيده موتها وحياتها .

ومع هذا لم يعاملوا المرأة قط معاملة الرقيق بل هي مساوية في المكانة لزوجها ويدعونها أم الاسرة كما يدعون الرجل أبا الاسرة فهي سيدة في البيت كزوجها تسيطر على النساء الرقيقات فتكلفهن بجميع الاعمال الساقية كطحن الحب وخبز الخبز وعجنه . وتجلس في قاعة التشريفات من الدار تنسج وتحميك وتوزع الاعمال بين الاماء وتلاحظ الاولاد وتدبير

شؤون البيت . وايست المرأة الرومانية كالمرأة اليونانية بميدة عن الرجال بل لتناول الطعام على المائدة مع زوجها وتستقبل الزائرين وتذهب لتناول الطعام في المدينة وتظهر امام الناس في الحفلات وفي دور التمثيل وامام المحكمة . الا انها في العادة تكون جاهلة امية وذلك لان الرومانيين لا يهتمون بتعليم بناتهم . واهم صفة يعتبرونها في المرأة ان تكون زاهدة فاذا ماتت يكتبون على قبرها اشارة الى مدحها : « انها التزمت بيتها ولم تخرج منه وعرات الصوف »

الاولاد — الولد الروماني لاييه بمثابة ملك له وللوالد الحق في ان يعرضه في الشارع فاذا اخذه يرنيه في بيته اولاً والبنات يقين في البيت ريثا يتزوجن وهن يغزلن ويحكن تحت ملاحظة امهاتهن والبنون يعملون في الحقول مع آباءهم ويتمرنون على استعمال السلاح ليس الرومان شعباً مفضلاً في الصناعات وغاية امانهم ان يعرف ابناؤهم القراءة والكتابة والحساب وهم لا يطلبون على ذلك مزيداً فلا يعلمونهم الموسيقى ولا الشعر وبلقنونهم القناعة والصحمت والحشمة في ما تبيهم والطاعة في منازعهم .

ابو العائلة — ان من يطلق عليه اسم سيد البيت يدعو الرومان ابا الاسرة . فابو الاسرة مالك للاملاك وكاهن في عبادة الاجداد وسلطان الاسرة فهو الحاكم المتحكم في بيته يحق له ان يطلق زوجته ويطرد ابناؤه وان يبيعهم ويزوجهم بدون ان يأخذ رأيهم . ويحق له ان يستأثر بما يملكونه لنفسه بل وكل ما تحمله اليه زوجه وكل ما يكسبه اولاده . اذ لا يدوخ للمرأة ولا لاولادها ان يملكوا شيئاً وبالجملة فيبيده حياتهم ومماتهم اي انه قاضيهم الوحيد . ان ارتكبوا جريمة قرب الاسرة يحكم عليهم لا الحاكم .

اصدر مجلس الشيوخ (١٨٦) الروماني امره ذات يوم باعدام جميع من اشتركوا في الاحتفال بعبادة باحوس فنفذ الحكم على الرجال . اما النساء اللاتي اشتركن في الحفلة مع المجرمين فعمد المجلس الى آباء الاسرات في امرهن وهم الذين اعدموا نساءهم وبناتهم . كان الشيخ كاتون يقول « ان الزوج قاضي امرأته له ان يعمل بها ما يشاء فاذا ارتكبت غلطاً يعاقبها واذا تناولت خمرأ يحكم عليها بالاعدام واذا حانت يقتلها » ولما كان كاتالينا يكيد المكاييد لمجلس الشيوخ لاحظ احداهم ان ابنه اشترك في المكيدة فاوقفه وحاكمه فحكم عليه بالموت . وتدوم سلطة ابي الاسرة بدوام حياته والابن لا يخلص من عبوديته له حتى انه اذا اصبح فنصلاً يظل خاضعاً لسلطة ابيه . ومتى مات الاب يصبح الاولاد اصحاب بيوت اما امرأته فلا تكون حرة اصلاً بل تكون تحت سيطرة وريث زوجها بل تخضع لابنها نفسه التملك = كانت الثروة في القرون الاولى لرومية عبارة عن ماشية وعبيد خصوصاً واللفظ الذي دل على بعد على الدراهم معناه قطع . ويسمى المالك رب الاسرة . ومن المحتمل

ان الارض لم تكن تنتقل بالارث لان لفظة ارت عندهم تدل على ارض مساحتها فدانان وهو المكان الذي يكفي لانشاء بيت وحديقة . ولم يلبث الرومانيون ان قبلوا عادة اعتبار المالك لحقل صاحباً له وعندئذ وضع حق التملك للماشية والعبيد والاراضي والبيوت وكانوا يعرفونه بانه حق الانتفاع والتحريب (الاستعمال وسوء الاستعمال)

تم صار لهذا الحق ان يتناول كل شيء من الحاجات والافات والدرهم والعقود والديون وحقوق الاستمتاع . ويجب على من اراد ان يملك شيئاً ان يملكه على الصورة التي عينتها العادة . واليك ملاماً كيف تحري صفقة المبيع : يضع البائع امام خمسة من الوطنيين ينوبون عن مجمع ومعهم سادس يمد . الميزان بيديه قطعة من الححاس في هذا الميزان تعادل ثمن المبيع . فاذا كان هذا حيواناً او عبداً يمسكه البائع بيده ويقول . هذا لي بموجب القانون الروماني ابتعته بهذا الححاس الموزون وزناً حسناً .

ثم ابتدعوا طرقاً اسهل لنقل الملك من يد الى يد فصاروا يكتبون بدفع المبيع الى المتباع . وهذه الطرق لا تملك تملكاً رسمياً بل يكون المقتني للملك ممتعاً به ولكن هذا التمتع يحوله نفس الحقوق كما لو كان ملكاً رسمياً له .

ولصاحب الملك الحق في ان يعطي املاكه بعده لمن يشاء واذا لم يوص بشيء من هذا القبيل يقتسم اولاده تروته واذا اراد ان يغير نظام الوراثة يكتب وصيته . وكان يجري ذلك بمخفل امام مجلس الامة زمناً طويلاً ثم اصطلحوا على صورة متكلفة في البيع كأن يبيع المالك ماله لمن يريد ان يجعله وريثاً له وانتهت الحال بان اصبحوا يكتبون بوصية مسطورة وكان يحق لصاحب الملك خلال القرون الاولى ان يوصي لمن يشاء وان لا يترك شيئاً لاولاده ثم اكره القضاة آباء الاسر بالتدريج على ان يوصوا لكل واحد من اولادهم بقسم من تروتهم فاخذ ينال كل ولد قسماً من الارث .

الواح الوصايا الاثنتا عشرة = لم يكن عند الرومان في مبداء امرهم كسائر الشعوب القديمة شرائع مكتوبة بل كانوا يجرون على عادات الاحداد اي ان كل جيل يجري في كل شأن من شؤونه كما جرى الجيل السالف . وقد سنّ حوالي سنة ٤٥٠ عشرة احكام منتخبين شرائع كتبوها في اثني عشرة لوحة من الحجر . وكانت هذه شريعة الاثني عشرة لوحة أنشئت احكاماً موجزة شديدة قطعية وما هي الا ثقتين جاف قاس مثل الشعب النصف البربري الذي وضع له . فموجب هذه الشريعة يعاقب الساحر اذا تلا كلمات سحرية ومر على حقله بغلة جاره . واليك حكم هذا القانون في المدين الذي لم يؤد ما عليه من دين : « اذا لم يدفع يرفع امره الى القضاء واذا عاقه المرض او السن عن الحضور يركب حصاناً او

محفة ويمهل ثلاثين يوماً فاذا لم يوف ما عليه يربطه الدائن بسيور او سلاسل وزنها ١٥ ليرة و بعد ستين يوماً يبيعه فيما وراء نهر التيبر وللدائنين اذا تعددوا ان يقطعوا المدين ارباً ارباً ولا غبن اذا قطعوا منه قليلاً او كثيراً قال شيشرون كانت شريعة الاثني عشرة لوحة منبع التقنين الروماني باسره وكان الاولاد في المدارس يستظهرونها بعد اربعة قرون من وضعها .

الاشارات في الدعاوي — لا يكفي بموجب هذا القانون الروماني القديم اتفاق الانتخاب في مسائل البيع والشراء والارت فلا يكفي لاجل احد حكم المحكمة الرومانية ان يعرض الانسان قضية بل يجب عليه ان يلفظ عدة كلمات ويقوم ببعض اشارات تقضي بها العادة وكل قضية تقام امام المحكمة يجري تمثيلها بالاشارات . فللمطالبة بشيء يمسه المدعي بيده وللاحتجاج على حار رفع حائطه على جاره يرمون بحجر على هذا الحائط . وهاك ما يجري اذا اختلف اثنان في ملكية حقل . يأخذ الحصان بايديهما كأنهما يريدان ان يتضاربا ثم يفترقان ويقول كل منهما : « اصرح بان هذا الحقل لي بموجب حقوق الرومانيين فانا ادعوك باسم محكمة القاضي الى مكان الحقل ليفصل فيه بيننا » فيأمرها القاضي ان يذها الى الحقل قائلاً لها : اذها فهذا طريقكما امام الشهود الحاضرين . فيخطو المتخاصمان بضع خطوات كأنهما ذهبا وفي ذلك رمز الى ذهابهما . فيقول لها احد الشهود : ارجعا . وبذلك اشارة الى انها ذهبا الى الحقل فيقدم كل من الخصمين مدرة من التراب وهي اشارة للحقل . وهكذا تبدأ الدعوى وعندئذ يستمع القاضي للمتخاصمين . والرومانيون كسائر الشعوب القديمة لا يحسنون فهم غير ما يقع تحت انظارهم فبالمديات يمتثلون الحق الذي لا يرى .

واقدر كان الرومان يحترمون هذه الاشكال القديمة من الاحكام من وراء الغاية فكانوا في القضاء كما هم في الدين يطيعون نص القانون دون ان يهتموا بالبحث عن معناه وعندهم ان كل دستور مقدس تجب المبالغة في تنفيذه ومن الحكم الجارية في قضاياهم ان كل ما يفوه به اللسان يكون حقاً . فاذا غلط صاحب الدعوى في ايراد مدعاه يخسر قضيته واذا اقام رجل فضيته على جاره لانه قطع له كرمه يجب ان تكون الصورة التي يوردها امام المحكمة حاوية لكلمة « شجرة » فاذا استعاض عنها بكلمة « كرم » لا يحكم له .

واحترام هذه المراسيم على اطلاقها فتح للرومانيين سبيل الوفاق الغريب في امور كثيرة فالشريعة تقول ان الاب اذا اباع ابنه ثلاث مرات يحرر الولد من سلطة ابيه ومتى اراد روماني تحرير ابنه يبيعه ثلاث مرات متوالية وهذا العمل المضحك في بيعه يكفي لتحريره .

وكانت الشريعة تقضي قبل البداءة بحرب ان يرسل مناد ينادي بها على تخوم العدو . ولما أرادت رومية اعلان الحرب على بيروس ملك ابير الذي كانت مملكته في عبرالادرياتيكا رأت الحكومة الرومانية للقيام بهذه المصطلحات ان يتناح احد رعايا بيروس وربما كان من الآبقين من الجندي حقلًا من رومية واوهموا بان هذا الحقل اصبح ارضًا من بلاد ابير وراح المنادي بلقي فيها حربا ويدعو فيها للحرب علنًا . وكان الرومانيون مثل جميع الامم الفتية يعتقدون باطلاً ان للراسيم المقدسة فضيلة سحرية

الفقه — كانت شريعة الاثني عشرة لوحة والشرائع التي وضعت بعد موجرة ناقصة فكانت تعرض مسائل كثيرة لاجل لها في قانون من القوانين الموضوعة . ففي مثل هذه الاحوال الصعبة كانت العادة متبعة ان يعتمد الى الاحذ برأي بعض اتخاص استهروا بمعرفتهم في مسائل الحقوق . وكانوا من اهل الاعتبار ومنهم قناصل قداما او احبار فيكتبون آراءهم كتابة وتسمى فتاويهم اجوبة العقلاء . ومن العادة ان يكون لهذه الاجوبة شأن وقيمة لان استحبابها للحكام على جانب من الاعتبار والحرمة . وقد زاد الامبراطور اغسطس بان عين بعض هؤلاء الحكماء وقرر ان تكون اجوبتهم قانونًا يعمل به . وعلى هذا صار الحقوق علمًا وعلماء الحقوق او الفقهاء المشرعون يضعون القواعد الجديدة التي أصبحت سارية فنتسأ بذلك علم الفقه

أمر القاضي — دعت الحال في رومية الى نصب حاكم اعلى لينفذ قواعد الحقوق المقدسة وللقنصل أو القاضي فقط ان يدير شؤون محكمة او يحقان الحقوق . واذ كان القناصل يعنون بقيادة الحيوس فهم يمهدون في العادة بالنظر في الحقوق الى القضاة . وكان في رومية قاضيان حاكمان على الاقل يفصل احدهما في المسائل التي تحدث بين الوطنيين ويسمى قاضي المدينة وينظر الآخر في الدعاوي التي تنشأ بين الوطنيين والاجانب ويسمى قاضي الاجانب وهناك محكمتان لان الغريب لا يحاكم امام محكمة الوطنيين .

وهذان القاضيان بالنظر لما لها من السلطة المطلقة يفصلان القضايا على ما يترادى لهما . بل ان قاضي الاجانب لم يكن مقيدًا بقانون لان الشرائع الرومانية لم توضع الا للوطنيين الرومانيين . ولما كان كل قاض يتولى منصبه في القضاء سنة واحدة فهو يكتب عند دخوله أمرًا يبين فيه القواعد التي ينوي اتباعها في الاحكام ويسمون هذا الامر امر القاضي . وبعد سنة عند ما تنتهي مدة القاضي يسقط قانونه فيحق خلفه ان يسن قانونًا مخالفًا لقانون سلفه جملة واحدة ولكن جرت العادة ان يحتفظ كل قاض بما صدر عن اسلافه من الاوامر فيدخل فيها بعض التبديلات ويضيف اليها بعض زيادات . وهكذا تجتمعت أوامر القاضي

قرونًا . ثم انتأ الامبراطور هاردن في القرن الثاني « براءة القاضي » وجعلها قانونًا مرعي الاجراء .

واذ كان هناك محكمةان منفصلتان احداها عن الاخرى وضعت قاعدتان متباينتان وقانونان مختلفان فتتألف من القواعد المتبعة التي يجري عليها قاضي المدينة في مسائل الوطنيين الحقوق المدنية أي حقوق المدينة ومن القواعد التي يجري عليها قاضي الاجانب لتألف حقوق الناس اي الشعوب (العربية عن رومية) فادرك القوم اذ ذاك ان عدل هذه القواعد في الحقوق وابسطها واعقلها و بالاجمال افضلها الحقوق الاجنبية وان حقوق الوطنيين المأخوذة من قواعد محصورة عن قدماء الرومان كان فيها خشونة وقواعد بربرية . اما حقوق الناس (الاجانب) فكان اساسها على العكس عادات التجار وعادات أناس من بلاد مختلفة نزلوا رومية وهي عادات سالمة من كل سائبة و وهم وطني أخذت بكرور الايام واقراها الاحتبار قرونًا كثيرة . ورأى القوم كيف كانت الحقوق القديمة مخالفة للعقل . فقد جاء في بعض الامثال الرومانية « ان الحق الناصع هو الذي نفضه ساطة عليا ظالمة » وعلى هذا أنسأ قصاة الوطنيين يصححون القانون القديم ويحكمون باحكام العدل حتى بلغوا بالتدريج ان ينعذوا في الوطنيين نفس القواعد التي كان قاضي الاجانب يجري عليها في محكمته .

مثال ذلك ان القانون الروماني يقضي ان يرت الاقارب من الذكور فقط الا ان القاضي دعا الاقارب من النساء ان يشتركن في الارت . ويقضي القانون القديم بان لا يكون المرء صاحب ملك الا اذا قام بالاحتفال في المبيع فاعترف القاضي بانه يكفى المبتاع ان ينقد البائع تمن ما ابتاعه وان يصع يده على الملك حتى يعد مالكا . وانت ترى ان حقوق الاجانب تعلبت على الحقوق المدنية وأبطالتها

القانون المسطر — أنشئت الحقوق الرومانية على عهد الامبراطرة خاصة فاصدر الامبراطرة الاطونيون كثيرًا من الاوامر واللوائح وكانت هذه رسائل تصدر عن الامبراطور جوابًا عن الموظفين الذين يستطلعون طلع آرائهم فيساعدهم على القيام بهذا الاصلاح القضائي اناس من المتشريعين عندهم وظل بعض التشريعيين في أوائل القرن الثالث زمن من حسنت سيرتهم او ساءت من الامبراطرة يضعون القوانين الجديدة في الحقوق ويصلحون ما وجدوه منها قديمًا . ومن أشهرهم بائنين واولبين ومودسنين و بولس فان تأليفهم هي التي كانت أساسًا للحقوق الرومانية بعد

وهذه الحقوق التي نظمت في القرن الثالث لاشبه بينها وبين الحقوق الرومانية القديمة بحال من الاحوال اذ القديمة لم تكن ترحم الضعفاء فاقتبس المتشرعون افكار فلاسفة اليونان

ولا سيما الرواقيين منهم وذهبوا الى ان الحرية حق طبيعي لكل من يولد حرًا أي ان العبودية مخالفة للطبيعة ولذلك رأوا انه يحق للعبد ان يطلب انصافه حتى من سيده وان هذا اذا قتل عبده يجب ان يعاقب عقاب القاتل وكذلك حموا الولد من ظلم ابيه وهذا القانون الجديد هو الذي سموه بعد بالقانون المـسطور وهو في الحقيقة قانون جروافيه مع الفلسفة على نحو ما يأمر به العقل الباس كافة ولدا لم يبق فيه اثر للقانون الحائر المعروف بقانون الاثني عشرة لوحة . فليس القانون الروماني الذي حكمت به بلاد الامبراطورية باسرها زماً طويلاً ذلك القانون الذي لم يرح بعضه داخلاً في قوانيننا بل هو قانون قدماء الرومان وضع بحسب عادات جميع الشعوب القديمة ونسخ فيه على مثال الحكم المأثورة عن حكماء اليونان ثم مزج كل ذلك مزيجاً واحداً وكتبه اناس من الحكماء والفقهاء الرومانيين قروناً طويلة

النصرانية

تعليم المسيح (عليه السلام) = كان الاسرائيليون ينتظرون المسيح من نسل داود ملكاً لهم ومخلصاً فظهر عيسى في الناصرة في ولاية صبرى، من الشمال اسمها الجليل لا تكاد تعرف بانها يهودية . ولد من اسرة وضيعة تحترف بالجمارة . فسماه اتباعه من الروم المسيح اي الممسوح يعنون الملك الممسوح بالرب المقدس كما دعي السيد والرب والمخلص . كلنا نعرف الديانة المسيحية . فيكفي اذ ان بين ماهي التعاليم الجديدة التي نشرتها في العالم . فقد اوصى المسيح اولاً بالحببة فقال « انك تحب الرب الهك من كل جوارحك وفكرك وستحب قريبك كما تحب نفسك فجماع الشريعة وتعاليم الانبياء داخله في هاتين الوصيتين » فمن الواجب محبة الغير واسعاهم ومتى قضى الله بين عبادته يجعل على يمينه من اطعموا الجياع وسقوا العطاس وكسوا العراة . ويقول المسيح لمن يريد اتباعه اولاً : « اذهب فبيع مالك وادفعه للفقراء ولقد كان القدماء يعتبرون للشريف والغني والشجاع هو الرجل الصالح الا ان هذا الاسم تغير معناه منذ جاء المسيح فاصبح الرجل الصالح هو الذي يحب غيره . فعمل الخير هو محبة الغير والسعي في نفعهم . والاحسان (وهو باللاتينية مرادف للحب) اساس التقوى . وغدت لفظة محب مرادفة للفضة محسن . وضع المسيح تعليمه في الاحسان بدلاً من التعليم الاسرائيلي القديم في الانتقام فقال « عرفتم بانه قيل العين بالعين والسن بالسن اما الآن فاقول لكم اذا ضربكم احد على خدكم الايمن فقدموا له الايسر . وقيل احبوا قريبكم وابغضوا عدوكم اما انا فاقول لكم احبوا اعداءكم وافعلوا الخير مع من يبغضونكم وباركوا لمن يضطهدونكم لتكونوا ابناء الذي في السماء الذي ينزل المطر على العادلين والظالمين

حتى ان المسيح وهو على الصليب استغفر لجلاديه فقال : اعف عنهم يارب فانهم لا يعرفون ما هم فاعلون .»

احب المسيح الناس قاطبة . ومات لا من اجل شعب واحد بل من اجل الانسانية كلها . وما قط ميز بين الاتحاص فكلمهم سواء امام الله . ولقد كانت الاديان القديمة حتى دين اسرائيل دين شعب يحتفظ به ويكتمه بعناية احتفاظه بكنزتمين دون ان تحده نفسه في تبليغه شعباً آخر فقال المسيح لتلاميذه اذهبوا اذا وعلوا جميع الامم .

وبعد ذلك قام بولس احد الحواريين وقرر تعليم المساواة النصرانية بقوله : « لم يبق اولون ولا آخرون كما لم يبق روم ولا يهود ولا مطهرون ولا قلم ولا برابرة ولا عبيد ولا احرار فقد اصبح المسيح هو الكل في الكل .»

كان القدماء يذهبون الى ان التروة تعلي شأن الانسان وينظرون الى ان الكبر عاطفة شريفة فقال المسيح : « طوبى للفقراء فان لهم ملكوت السموات » « من لم يتنازل عما يملكه لا يكون تلميذاً لي » حتى انه هو ايضاً كان يتنقل من مدينة الى مدينة ولا سبد له ولا لبد وعند ما كان تلاميذه يهتمون للمستقبل كان يقول لهم « لا تقلقوا لما تأكلون ولا لما تلبسون والقوا بانظاركم الى الطيور في السماء فهي لا تزرع ولا تحصد ومع هذا فان انا كم السماوي متكفل برزقها »

وعلى المسيحي ان يحتقر التروة وان يشتد في الازدراء بالعظمة . كان تلاميذه يتنازعون ذات يوم فبين يكون له المقام الاول في السماء فقال . « ان اعظمتكم هو الذي يخدم غيرد لان من يرتفع يسقط ومن يسقط يرتفع » وما زال البابا الى اليوم وهو خليفة القديس بولس يدعى بخدام حدمة المولى . كان المسيح بوأتران يجتذب اليه المساكين والمرضى والنساء والاولاد بل والضعاف والمحر ومين واحتار حواريه من عامة الناس وكان يكرر على مسامعهم « تلطفوا وألینوا قلوبكم »

ملكوت الله — كان المسيح يقول انه جاء الى الارض ليؤسس ملكوت الله . فظن اعداؤه انه طامع في ملك وعنده ما صلب كتبت على صليبه هذه العبارة : « يسوع الناصرة ملك اليهود » وهذا كان خلاف ما يقصده . فقد صرح المسيح نفسه بان ملكوتي ليس في هذا الارض . فلم يجيء ليقلب الحكومات ولا ليصلح المجتمع واجاب من سأله فيما اذا كان يجب اداء الجزية للرومانيين بقوله : « ادفع ما تقصير لقيصر وأد ما لله لله . ولذا رضي المسيح بما رآه موجوداً وعمل على تهذيب نفسه وتكميلها لا على اصلاح المجتمع ولاجل ان يفوز المسيحي بمرضاة الله ويكون اهلاً لبلوغ ملكوته لا يقتضي له ان يقدم

النذور ويقف عند حد ما رسمته الشريعة كما فعل الفريسيون اليهود او عبدة الارباب القديمة « فان المتعبدين الحقيقيين يعبدون اباهم بالفكر والحقيقة » وكلمة المسيح هي جماع آدابهم وهي : « كونوا كاملين مثل ابيكم الذي في السموات فانه كامل »

الحواريون — عهد الى الاثني عشر حوارياً الذين كانوا ملتفين حول المسيح ان يبشروا بتعاليمه في الامم باسرها . فدعوا بالحواريين (المرسلين) سكن معظمهم القدس ودعوا الى دينهم في ارض اليهودية . وكان المنتصرة الاول من الاسرائيليين .

وكان شاول اول من دان بالنصرانية وحف يحمل تعاليم هذا الدين الى امم الشرق فقضى بولس (هو الاسم الذي اتخذه) حياته يطوف المدن اليونانية في آسيا الصغرى وبلاد اليونان ومكدونية داعياً الى الدين الجديد لا الاسرائيليين فقط بل ابناء الامم الاخرى قائلاً كنتم فيما سبق بدون المسيح بعبيدين عن المحالقات والوعود وها قد النأم تتماكم بدم المسيح لانه هو لا يميز بين الشعبين وينظر اليهما كأنهما شعب واحد . ولم يعد من حاجة ان يكون المرء اسرائيلياً حتى يتحمل النصرانية فان الامم الاخرى التي نبذتها شريعة موسى قد تقاربت فيما بينها بفضل شريعة المسيح . وهذا الامتزاج هو بصنع القديس بولس ولدا سمي رسول الامم .

كان المنتحلون للنصرانية باديء بدء من يونان آسيا الصغرى تم نصر كثيرين في جميع المدن الكبرى واتى زمن طويل والطائفة المسيحية في رومية ايضاً مؤلفة من ابناء يونان . فانتشر دين المسيح اولاً ببطء على نحو ما نشر بذلك المسيح بقوله : « يتبه ملكوت الله حبة من الخردل فهي اصغر الحبوب ومع هذا ينبت منها نبات اطول من جميع البقول فتؤوي طيور السماء الى ظلها » .

الكنيسة الاصلية — كان المسيحيون في جميع البلاد التي زلواها يجتمعون للصلاة جماعة وانتاد امامدح المولى والاحتفال بالعتاء السري وهي اكلة يتناولونها بالاشتراك تذكراً لآحر اكلة للمسيح وتسمى اجتماعاتهم الكنيسة (المجلس)

ومن العادة ان يعامل المسيحيون في كنيسة واحدة بعضهم بعضاً معاملة الاخوة ويأتون بالعطايا لينفقوها على الارامل والفتراء والمرضى . واكثر رجالهم احتراماً بينهم الرهبان ومعنى ذلك القدماء يديرون شؤون الطائفة ويقومون بالفروض الدينية . ويتولى آحرون النظر في املاك الطائفة وكانوا يدعون الشامسة (الملاحظون) تم كثرت اعمال الكنيسة حتى انقسم سواد المسيحيين الى فرقتين احدهما جماعة المكلفين بالنظر في وظائف الطائفة وسموهم رجال الكهنوت (اي خدمة الرب) والباقون هم جمهور المؤمنين وسموهم العامة (العلمانيين)

كان لكل مدينة كنيسة مستقلة فيقولون كنيسة الطاكية وكنيسة كورنت وكنيسة رومية وكلها في الحقيقة كنيسة واحدة وهي كنيسة المسيح حيث كان يربط الجميع الاعتقاد بايمان واحد . فالاعتقاد العام او الكاتوليكي كان هو المعمول عليه دون سواه اما الآراء الخاصة (الهرطقات والاحاد) فكان يحكم عليها بانها اوهام واعلاط .

وبقي الكتاب المقدس عند اليهود اي العهد القديم مقدساً عند المسيحيين وصار لهؤلاء كتب اخرى سمعتها الكنيسة في مصحف واحد وسمتها العهد الجديد . فالانجيل الاربعة نقص حياة المسيح والبشارة بما حمله من السلام . واعمال المرسل تذكر كيف انتشرت هذه البشارة في العالم . ورسائل الرسل هي رسائل ارسلها الخواريون الى مسيحيي العهد الاول والابوكاليبسيس (رؤيا القديس يوحنا الانجيلي او الحليان) هو ما اوحاه القديس يوحنا الى السبع كنائس في آسيا . كتبت جميع كتابات العهد الجديد باليونانية وهي اللغة التي كانت لغة المسيحيين الى اواخر القرن الثاني وقد انتشر بين المسيحيين كثير من الكتب زعموا انها مقدسة وروعتها الكنيسة كلها وسموها المزورة

الاضطهادات - اضطهدت الديانة المسيحية منذ ظهورها فكان اليهود اعداءها الاول اضطروا الحاكم الروماني في بلادهم الى صلب المسيح ورجعوا القديس اتين (الشهيد الاول) وانتدوا في طلب القديس بولس وكانوا يقتلونهم ثم وقع الاضطهاد على النصرانية من الرومان فان هؤلاء كانوا ينساقون مع جميع اديان الشرق لان عبدة اوزيريس وميترا والربة الصالحة كانوا يعترفون بالاديان الرومانية مع اربابهم الا ان المسيحيين عبدة الله الحي كانوا يزدرون بالمعبودات الصغيرة القديمة بل ان الحرمة الكبرى التي تعد على المسيحيين في نظر الرومانيين انهم كانوا يابون عبادة الامبراطور كما يعبد رب وان يحرقوا الجور على مذبح ربة رومية

وقد اصدر كثير من الامبراطرة اوامر الى ولايتهم بأمر ونهم بالقبض على المسيحيين واعدامهم . وقد كتب بلين وكان والياً في آسيا الى الامبراطور تراجان كتاباً يدل على الطريقة التي كان يعامل بها المسيحيون قال : «جريت الآن مع من اتهموا بانهم نصارى على الطريقة الآتية وهو اني أسألهم عما اذا كانوا مسيحيين فاذا اقرؤا أُعيد عليهم السؤال ثانية وبالته مهدداً اياهم بالقتل فان اصرؤا أنفذ عقوبة الاعدام عليهم مقتنعاً بان عطفهم الذي يعترفون به مما كانت فظاعته وان عنادهم الشديد وعدم طاعتهم يستحقان العقوبة . وقد وجهت الشكوى الى كثيرين بكتب لم تذيل باسماء اصحابها فانكروا بانهم نصارى وكرروا الصلاة على الارباب الذين ذكرت اسماءها امامهم وقدموا الخمر والجور لتمثال

اتيت به عمداً مع تماثيل الارباب بل انهم شتموا المسيح . ويقال ان من الصعب اكرامه
النصارى الحقيقيين . ومنهم من اعترفوا بانهم نصارى ولكنهم كانوا يتنتون بان حرمتهم
وحطأهم معصوران في انهم اجتمعوا بعض ايام قبل طلوع الشمس على عبادة المسيح على انه
رب وعلى استاد الاناسيد اكراماً له وتعاهدوا بينهم مقسمين الايمانات لاعلى ارتكاب جريمة
بل على ان لا يسرقوا ولا يقتلوا ولا يزنوا ويوفوا بعهودهم . ورأيت من الصرورة للوقوف على
الحقيقة ان أعذب امرأتين أمتين دعوها حادتي الكنيحة بيد اي لم اقف على شيء اللهم
الاما كان من خرافة سخيفة مبالغ فيها»

وعلى هذا فقد كانت الحكومة هي المصطهدة (١) الا ان العامة في المدن الكبرى كانوا
أكثر اضطهاداً للمسيحيين فلم يكونوا يتسامحون مع هؤلاء الذين يعبدون الها آخر غيرار بانهم
ويحتقر هذه الارباب ويرون ان انكار المسيحيين لما يعبد الرومان يجلب على العالم غضب
هذه الارباب . وكنت تسمع القوم ادا وقع فحط ومحاعة ووناة يهتفون هتافهم الذي انتهر
امره «النصارى للاسود» والتعب يكره الحكام على المحت عن المسيحيين ومطاردتهم .

التهداء — هلك الوف من المسيحيين في حلال قرنين ووصف بالهم فيها الاضطهاد في
طول المملكة الرومانية وعرضها وكان الهاكون من كل سن وجس وطبقة . فالوذنيون
الرومايون تضرب اعناقهم كما جرى للقديس بولس والباقون يصلبون ويحرقون وكثيراً ما
يلقون للوحوش الكاسرة نهنهم . وادا بقوا عليهم يبعثون بهم الى الاعمال الشاقة في المناجم
وكثيراً ما كانوا يبالعون في عقاب النصارى بايجاد وسائل لاهلاكهم من كل نوع . وفي
المقتلة العظمى التي وقعت في ليون سنة ١٧٧ احذ المسيحيون بعد ان عدوا وسحقوا في مطبق
ضيق الى الملعب فاحذت الحيوانات الكاسرة تمزق اوصالهم ولا تقتلهم ثم اجلسوهم على كراسي
من حديد محماة بالنار . واذ قاومت فتاة من الاكرماء اسمها بلاندين ان تعذب على هذه
الصورة جعلوها في شبكة ووضعوها امام تور عضبان .

وكان المسيحيون يتلقون بسرور هذا التعذيب الذي يفتح لهم ابواب السموات ويرون
فيه وسيلة الى الاستشهاد علناً في حب المسيح ولذلك كانوا يسمون انفسهم بالتهداء (اي
الشهود) لا بالمتكويرين وعقوباتهم شهادة . بل انهم كانوا ينظرون الى تعذيبهم نظراً الى
قتال الالهاب الاولية ويرون انهم كالمصارع الظاهر يذون الفخار والتاج . وما برحوا حتى
اليوم يحتفلون بعيد الشهداء واعيادهم موافقة الايام التي قتلوا فيها وكثيراً ما كان احد من

(١) نقول الكنيسة ان اضطهدوا مرات الاولى على عهد يرون (٦٤) والثانية

على عهد ديوكلايين (٣٠٣)

يحضرون تعذيب احد الشهداء يكتب قصته وكيفية توقيفه واسنطاقه وتعذيبه وعقوبته وهذه الكتابات على احتصارها طائفة بالعبارة وكانت تسمى اعمال الشهداء ونشرت حتى بين الطوائف العبيدة من اقصى المملكة الى اقصاها وما هي الا مرددة للمحد الذي احرزه المعترفون بالايمان الصحيح وداعية الى التعريب في الحري على مثالهم

واقف حدا حب الشهادة بالوف من المسيحيين ان يعلنوا امرهم بانفسهم ويطلبوا بالحكم عليهم وامر احد حكام آسيادات يوم بالقاء القبض على بعض المسيحيين فجاء جميع متنصرة المدينة يتقدمون للمحكمة طالبين اليها محاسنهم . فاستنطاقوا الى غضباً فقتل بعضهم وطرده الآخريين قائلاً : «ارحموا اليها الاسافل ان كنتم تحرصون كثيراً على الموت فهل عندكم قبور تسعكم وحبال نقيدمكم » وكان بعض المسيحيين يدخلون المعابد ويقبلون فيها اصنام الارباب ليكوبوا على رقة من انهم يشنقون حتى قضت الحال ان تمنع الكنيسة مرات تعرض النصرارى لليل الشهادة

الدياميس — كان المسيحيون ينكرون العادة القديمة في احراق الموتى فاحذوا يدفنون موتاهم كاليهود في نواويس بعد ان يكفنوهم في اكفان فاحتاجوا الى قبور . واذ كانت الارض غالية الثمن حداً برل المسيحيون الى تحت الارض وحفروا في الارض الرحوه التي كانت رومية قائمة عليها دهالير طويلة وعرفاً ارضية وهناك كان المسيحيون في مقاصير احتفر وهاعلى طول الحواجز يدفنون موتاهم واداحد كل حيل يحتفر لنفسه دهالير جديدة صارت تحت الارض مع الرمن مدينة ارضية سموها الدياميس . ومثل هذه الدياميس كان في نابولي وميلان والاسكندرية الا ان اشهرها دياميس رومية . وقد فتحت في ايامنا فرأوا فيها الوفاً من القبور والكتابات المصرية وما اكتشف هذا العالم المدفون تحت الارض اشأ فرع جديد من فروع العلوم التاريخية وهو علم الكتابات والآثار المصرية . وقد سوهذ ان قاعات المدافن في الدياميس منقوشة برسوم بسيطة وصور ولكنها تمثل مشاهد واحدة الا قليلاً وهي اما ان تصور المؤمنين من المسيحيين في الصلاة او الراعي الصالح وهو رمز للمسيح . وكانت بعض هذه القاعات اتسبه بالمعابد وفيها دفنوا جثث القديسين الشهداء والمؤمنين الذين رغبوا في ان يدفنوا في جوارهم وكانوا يأتون كل سنة لتناول الاسرار . وكثيراً ما التجأ المسيحيون في رومية خلال اضطهادات القرن الثالث الى هذه الكنائس الارضية للقيام بصلواتهم او للفرار من الطلب عليهم .

قسطنطين

تغلب النصرانية — مضي القرنان الاولان للميلاد والمسيحيون ضعاف التأت في

الامبراطورية الرومانية وجمهورهم من السوقة والعمللة والعبيد المعتقين والعبيد ممن يضيعون في عمار الناس بالمدن الكبرى وقد مضى زمن والطبقة العالية تُنكر وجودهم حتى ان سويتون في القرن السامي لما تكلم في تاريخ القياصرة على المسيح قال انه رجل اسمه كريستوس يلبي الاضطراب بين سكان رومية . ولما اخذ الاغنياء والادباء يُبنون بامر الدين الجديد لم يكن ذلك منهم الا ليبرواً به ولا يدكرونه الا انه دين فقراء وجهلة . واذ جاءت النصرانية لمساكين هذا العالم بان وعدتهم الحراء عن هذه الحياة في الآخرة كتر اتياعها والقائلون بالتدين بها ولم تحل الاضطهادات دون انتشارها بل قوتها وبعثت كتبها فقد كان المسيحيون يقولون ان دم الشهداء نذر للمسيحيين وقد ظل الاهتداء الى النصرانية ينتشر خلال القرن الثالث كله بين رجال الاسرات الكبرى لا بين الفقراء فقط وما جاءت اوائل القرن الرابع الا وقد اصبح التترق كله اي البلاد التي نتكلم باللغة اليونانية مسيحياً ناسره وكانت هيلانة ام الامبراطور قسطنطين مسيحية جمعائتها الكنيسية في مصاف القديسات ولما زحف هذا الامبراطور على مراحمه ملك رومية وضع على علمه شارة الصليب وشعار المسيح وكانت العلبة التي كتبت له علبة للنصرانية فسمح للنصارى ان يقوموا بتعمائر دينهم دون ان يعارضهم احد (ناسره الصادر سنة ٣١٣) ثم اخذ يعطف عليهم حجاراً . ومع هذا لم يتخل عن الدين القديم (الوثنية) . فبينما كنت تراه يرأس مجلس اساقفة المسيحيين الاعلى كان يلقب بلقب الحبر الاعظم ويحمل على حودته مسماراً من الصليب الحقيقي وقوده منقوش عليها صورة رب الشمس . وقد اتسأ في مدينة القسطنطينية كنيسة نصرانية كما اتسأ معبداً تذكراً لهذه العلبة . ومضى نصف قرن كان فيه من الصعب معرفة دين المملكة الرسمي في الامبراطورية .

نظيم الكنيسة -- لم يحظر في نال المسيحيين حتي في الارمان التي نالهم فيها الاضطهاد ان يقابوا كيان الامبراطورية ومذ نطل اضطهادهم اصبح اساقفتهم حلفاء الامبراطور وعندها انتظمت حالة الكنيسة المسيحية بصورة قطعية على الصورة التي بقيت عليها الى يومنا هذا . فصار اكل مدينة اسقف يقيم في الحاصرة ويحكم على المسيحيين التابعين لها وتسمى الارض الحاضرة لاسقف ابرشية . وكان في اقطار الامبراطورية الرومانية ابرشيات واساقفة على قدر ما فيها من مدن وهذا هو السبب الذي من اجله كان الاساقفة كتيرين والابرشيات صغيرة في التترق وفي ايطاليا حيث كتر عدد المدن . وعلى العكس في مدن غالباً فانه لم يكن بين الرين والبيريه سوى ١٢٠ ابرشية ومعظمها ما عدا ابرشيات الجنوب في الامة كلاً .

اصبحت كل ولاية مقاطعة كنائسية وسمي اسقف الماسمة اسقف المركز بعد رئيس الاساقمة . وكثيراً ما ينظر الى اسقف اعظم مدينة في بقعة باه ارقى الاساقفة في تلك الارحاء وكان اساقفة المدن الرئيسة بالترق في القدس وانطاكية والاسكندرية والاستانة يدعون بالبطاركة ووقههم كلهم البابا اسقف رومية وهو الرئيس الاعظم في الكنيسة . وفي هذا القرن انتشت المجامع الدينية الكبرى فكان في آسيا الصغرى اولاً مجامع خاصة يجتمع فيها اساقفة ناحية من النواحي وكهناتها . وفي سنة ٣٢٤ دعا قسطنطين للمرة الاولى مجعاً دينياً عاماً من اهل الارض الى مدينة بيقية في آسيا الصغرى محضره ٣١٨ رجلاً من رجال الكنيسة فتناقشوا في المسائل اللاهوتية واتسوا الاعتراف بايمان الكاتوليك الذي سموه قانون نيقية وما زال المسيحيون يتدونه الى اليوم في قداس كل احد . تم كتب الامراطور الى عامة الكنائس ان تمتل ارادة المولى التي تجلت فيما اجمع عليه المجمع العام وكان هذا هو المجمع المسكوني الاول . واصبحت القرارات التي نقرها المجمع سريعة يجب على المسيحيين قاطبة ان يعملوا بها وسموها القوانين او القواعد . ويتألف من مجموع هذه القواعد القوانين الكنائسية .

الملاحدة (الهرطقة) - نشأ منذ القرن الثاني بين المسيحيين ملاحدة يخالفون في آرائهم السواد الاعظم من اساء الكنيسة . وكثيراً ما اجتمع الاساقفة في بلد ليعلنوا المؤمنين بان المذهب الجديد باطل ويكرهوا مبتدعه على الرجوع منه وادا ابي يجرؤونه من الوحدة المسيحية . وقد يستحيش صاحب البدعة اعواناً يقتنعون بصحة دعوته فلا يروى الرجوع عما وافقره عليه ويظلمون يدينون بما حكم المجمع برده من الآراء . ومن هنا نشأت العداوات والفتن الشديدة بينهم وبين المسيحيين المتعلقين برأي الكنيسة (الارثودكس) واد كان المسيحيون ضعافاً ومضطهدين لم يتنازعوا بينهم الا بالكلام والكتابة ولكن لما اصحت البلاد مسيحية كلها استحتمل البراع بين المسيحيين والمخالفين منهم في بعض الآراء الى اصطهاد الملاحدة وكثيراً ما انتسب منه حروب اهلية .

وتكاد نشأ جميع البدع في ذلك العهد بين يوزن آسيا وهمصر على بدائس من الازكيا والسفسطائيين والمجادلين وقد نشأت تلك البدع في العادة من محاولة فهم اسرار التثليت والتجسد . وكادت بدعة آريوس اقوى جميع البدع فمن مذهبه ان الله الآب خالق المسيح وليس هو مثله فحكم المجمع النيقى بتبديعه . لكن مذهبه انتشر في بلاد الشرق عامة . ومذ ذلك العهد ظل الكاتوليك والآريوسيون يتنازعون بينهم ايهم يستأثر بالسلطة في الكنيسة والحرب الاقوى يعزل وينفى ويحبس واحياناً يذبح زعماء الحزب المخالف . ومضى زمن

والقوة للآريوسيين وقد تحزب لقولهم عدة من الامبراطرة تم ان الآريوسية كانت تقوى
كثرة دخول البرابرة في الامبراطورية وتمذهبهم بهذا المذهب ومعاضدتهم لاساقفته .
وقضى الكاتوليك زهاء مائتي سنة حتى قضوا على هذا المذهب المبتدع .

اواخر ايام الامبراطورية

لما ذبح الجنود احوة قسطنطين وابناء اخته سنة ٣٣٨ املت منهم طفل في السادسة
من عمره اسمه جولين فجعله الامبراطور نسيبه في اقصي آسيا الصغرى ورباه على يد
قسيسين مسيحيين فبعث به هؤلاء الى قبر الشهداء بستد المرامير وبتلو الكتاب المقدس
امام الشعب ولما سب رحص له بالقدوم الى الاستانة فانتأ يدرس كتب علماء الروم
وفلاسفتهم واولع باحد الفلاسفة الافلاطونيين فانصرفت نفسه عن المصراية . واتم دروسه
في آثينا وتعلم فيها اسرار معبد الوزير سم جاهر انه من اشباع الدين القديم علماً واخذ
يحتفل بعبادة الارباب فلقبه المسيحيون بالمرتد .

كان جولين آخر من بقي حياً من الاسرة الامبراطورية واد لم يكن للامبراطور قسطنطين
وارث يرثه غير هذا اجمع امره على ان يلقبه باسم قيصر وبعث به قائداً على جيش عاليا
(٣٥٥) وكانت البرابرة قد هاجمت هذه البلاد وحاصرت عصابة من الالمانيين على مقربة من
مدينة اوتون . واذ لم يكن لجولين خبرة بالحرب انصرفت همته الى درس الفللفة فصرف
شغلاً بطوله في تعلم صماعة الكر والفر وانتأ يرض نفسه ويتمرن ويتلو سيرة مشاهيرة القراءة
فلما تم له ذلك حمل على الالمان في جيش صغير من المشاة الرومانيين والفرسان البرابرة
فكشبت له الطفر في الحملة الثانية في سهل بالقرب من مدينة ستراسبورج وركب اكتاف
الالمان ورجعوا يجتازون نهر الرين (٣٥٧) وقضى جولين في عاليا ثلاث سنين اخرى وجعل
مشتاه في بلدة لوتيس حاضرة الشعب الباريزي وهي منية في جزيرة من جزر السين وكان
يدعوها « لوتيس المحبوبة » وهو اول من وصفها .

وفي هذه المدينة اتاه امر الامبراطور ان يبعث اليه بقسم من جيشه الى الشرق ليقاتل
البارتيين الذين داهموا بلاد الامبراطورية فلم ير الجند ان يتعدوا عن بلادهم الى مثل تلك
القاصية وابوا ان يقاتلوا تم اخذوا جولين ورفعوه على ترس (وكان هذا الاسلوب هو الذي يجري
عليه المحاربون الجرمانيون في مبايعة ملوكهم) وحملوه وهم ينادون «جولين اعسطس» (٣٦٠)
فكشبت جولين ان الامبراطور يريد على ان يرتضيه رصيفاً له فابى قسطنطين عليه
ذلك فرحف جولين في جيشه على القسطنطينية وكان قسطنطين قضى نحبه قبل وصوله (٣٦١)
ولما خلا الجو لجولين واصبح امبراطوراً وحده اقام في الشرق وحاول ان يعيد الدين

القديم (الوننية) فارجع الى الكهنة املاكهم ومناصبهم واعاد تقديم النذور الارباب بل اصدر امره الى المسيحيين بان يرجعوا المعابد التي كانوا حولوها الى كنائس وانتأ يناهض النصرانية مباشرة واني ان يعين المسيحيين في الوظائف وطرده المعلمين المسيحيين من المدارس قائلاً انه لا يحق لهم ان يدرسوا كتباً يذكر فيها اسم الارباب وهم لا يعنقدون فيها . وسعى الى اعادة الدين القديم الى حاله بان عهد الى الكهنة ان يقرؤا على العامة مواعظ ودروساً دينية الا ان الرمن حانه فساخر في حملة على الباربيين وعلبهم واصيب بسهم في احدى المعارك . وقيل انه صرح وهو يجود بنفسه «لقد علبت يا عالي !» القضاء على الوننية — لم يقض على دين السوقة القديم لاول مرة فقد اهتدى الترق في الحال اما في الغرب فلم يبق مسيحيون الا في المدن بل ان الامة ظلت هنا أيضاً تعبد الاصنام وذلك لان الامبراطرة الاول المسيحيين لم يريدوا ان يقصوا القضاء الاخير على دين المملكة القديم بل كانوا يحمون القسوس المسيحيين كما يحمون كهنة الارباب يرأسون المحامع الدينية وبقون اخباراً عظاماً . وكان الامبراطور فراسين سنة ٣٨٤ اول من ابنى ان يلعب بالحبر الاعظم واذ عم التسامح في ذلك القرن بدى باضطهاد الدين الروماني منذ عدا غير رسمي . واطبىء الموقد المقدس الذي كان يشتعل في رومية منذ احد عشر قرناً وطرده الكاهنات اللاتي كن في معبد وستا بوقدن النار كما خمدت . واحتفل آخر مرة بالالعب الاوابية في بلاد يونان سنة ٣٩٤ . وعندئذ خرج النساك في مصر من الصحراء لينقصوا مدايح الارباب المرورة ويجعلوا بقاياها في قبور انوبيس وسيرايس . وقام وارسل الاسقف السوري في مقدمة عصاة من الحند والمتعوذين محرب معبد المستري في اومية وانتأ يجوب البلاد ويحرب المزارات فقله الفلاحون محملته الكنيسة من القديسين فما هو الا قليل حتى لم يبق عبدة اوتان الا في القرى ياوون اليها فراراً من المراقبة وهم فلاحون ممن تقوا يهدون الاتجار المقدسة والينايع ويجتمعون في المزارات البعيدة . واخذ المسيحيون يطلقون اسم الوتنيين (الفلاحين) على من كانوا سموهم الى ذلك العهد بالظرفاء وبقي ذلك الاسم يطلق عليهم . وهكذا استتدت الحال على الوننية في ايطاليا وغاليا واسبانيا الى اواخر القرن الرابع وطوي بساطها تحت طي السكوت .

التنظيم الجديد في الامبراطورية

رومية والقسطنطينية — حرب الغرب وقل سكانه في القرن الثالث بما تواتر عليه من الحروب والغارات فاصبح الشرق اليوناني القسم المهم من الامبراطورية . وكان ديوكسين قد تحلى عن رومية وجعل عاصمته في نيكوميديا في آسيا الصغرى . اما قسطنطين فتوسع

في الامر أكثر من ذلك فانتأ رومية جديدة في الشرق وكانت القسطنطينية على رأس من البحر في محل لا يفصل اوربا عن آسيا غير خليج البوسفور الضيق في ارض كثيرة الكروم والغلات وتحت سماء صافية الاديومواشاً طواري من الروم مدينة بيزانس وكان لها من الآكام ما يجعلها سهلة على الدفاع ومرواً وها المعروف قرن الذهب من احسن مرافىء العالم يؤوي ١٢٠٠ سفينة ويمكن سده سلسلة طولها ٢٥٠ مترًا ثلاثاً تخطاه اساطيل العدو . فهناك ألساً قسطنطين مدينه الجديدة القسطنطينية (مدينة قسطنطين) وجعل في اطراف السواراً عالية وانتأ فيها ساحتين اثربتين تحيط بهما الروقة . وانتأ فيها قصرًا وملعباً ودور تمثيل واقنية وحمامات ومعابد وكنيسة مسيحية

وزع قسطنطين من المدن الاخرى ما كان فيها من التمايل والقوتس البارزة المشهورة ليزين بها مدينته ولاجل اسكانها نقل اليها سكان المدن المجاورة بالقوة وقدر مكافآت والقاب تشريف للأسر الكرى التي ستقل اليها وقرر كما كان الحال في رومية توزيع الخنطة والحمر والریت على الناس وتوفير المتاهد والفرج لهم فكان تأسيس تلك العاصمة من السرعة العريية على نحو ما يجب القوم في الشرق مداً العمل بذلك في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) سنة ٣٢٦ واحتفل بافتتاحها في ١١ ايار (مايو) سنة ٣٣٠ وأكن است بحيت تبق على الدهر فقد صرت القسطنطينية على هجمات المهاجمين عشرة قرون وبقيت بمقام عاصمة ابدًا والمملكة الرومانية ترق ولا تزال الى اليوم اول مدينة في الشرق

ولما ترك الامبراطور رومية لم تعد مقرًا للحكومة وظل فيها مجلس اعيانها وان لم تعد له سلطة وبقية مزاراتها احتفالاتها كما بقيت الى اواخر القرن الرابع مركز الحزب الديني القديم . القصر - اخذ الامبراطرة الدين رلوا الشرق في التمود بعاداته (١) وانتأ يلبسون ياباً ضافية من الحرير والقصب ويجعلون على رؤوسهم تاجاً مرصعاً باللؤلؤ ويتحجبون في قصورهم حيث كانوا يحلون على عرش من ذهب يحف بهم وزراؤهم ويفصلهم عن الناس جمهور من الحشم والخدم والموظفين والحرس . وعلى من ينال شرف الخطة من (١) كثيراً ما يتولى الامبراطورية اثنا احدما في الشرق والاخر في العرب وان تكن المملكة واحدة . فالامبراطوران وان كان احدهما ينزل الاستانة والاخر ايطاليا كانا يعنيتان بان يكونا كشخص واحد . فكان القوم اذا خاطبوا احدهما يخاطبونه بالجمع فيقولون له انتم كأنهم يخاطبون الامبراطورين كليهما وهكذا انتأ عادة الخطاب بالجمع المفرد لان الناس في القديم كانوا يخاطبون بصيغة المفرد «انت» حتى الملوك والامبراطرة

مواجهتهم ان يسجد امامهم ويمرغ وجهه في الارض علامة العبادة والخضوع و يطأون عليهم القاب «المولى» و«الجلالة» ويماملونهم معاملة الارباب وكل مايمس اشخاصهم مقدس فيقولون القصر المقدس والغرفة المقدسة . ومجلس الامبراطورية المقدس والحزاة المقدسة .

فكان عيش الامبراطور في الامبراطورية العربية (ايطاليا) من القرن الاول الى الثالث اتسبه بحياة حاكم او قائد اما قصر الامبراطور في الامبراطورية الشرقية (القسطنطينية) فهو اتسبه بقصر ملك فارس . وقد أطلق على طريقة الحكم في الامبراطورية الشرقية اسم الامبراطورية الواطئة معارضة لطريقة الحكم السالفة في القرون الثلاثة التي لقبوها بالامبراطورية العاوية .

الموظفون — اصبح الموظفون اكثر عدداً مما كانوا ويحجب بالامبراطور جيش صغير من الخاصة يحرسون قصره وهناك حرس وقرنائه وكلاء وخدم ومجلس عال وحجاب وسعاة وامناء سريينقسمون الى اربعة مكاتب . واصبح الموظفون في الولايات اكثر سواداً ايضاً اذ رأى الامبراطور ديوكلسين الولايات متسعة فقسمها الى عدة قطع في عاليها متلاً قسم ولاية ليون الى اربع واكتين الى ثلاث . وبعد ان كان في الامبراطورية ٤٦ والياً اصبح فيها ١١٧ تم وصلوا الوظائف لعمالوا مع الولاة والوكلاء قواداً عسكريين من دوقات وكننتية في الولايات الواقعة على التجوم .

واصح جميع الموظفين لا تصلهم اوامر الامبراطور مباشرة فلا يحاطبون الا كبار الموظفين رؤساءهم . فيضع الولاة لقائدي حرس القيعر والموظفون في الاشغال العمومية لحرس المدينة وحباة الاموال الى الكونت الذي يتولى الاعطيات المقدسة . والوكلاء للكونت المشرف على الاملاك والصباط الى موالي الاجناد وجميع موظفي التعرير يرجعون الى مولى التشريفات وخدمة القصر الى رئيس العرفة المقدسة . وهو لاء الرؤساء كالوزراء وهذه الطريقة لا يصعب علينا فهمها فقد اعتدنا ان يرى موظفين وقضاة وقواداً وجباة ومهندسين على احتلاف في اعمالهم التي يتولونها ولكل واحد عمله الخاص ويرجع امرهم الى ناظر هو رئيس ديوانه . بل ان عندنا من النظارات اكثر مما في الاستانة . الا ان هذه الاداة الادارية التي ألفناها لانا نعرفها منذ الطفولة ليس فيها التباس ولا خروج عن حد الطبيعة . فقد كانت الامبراطورية الشرقية انموذجاً في هذا الباب واحفظت به المملكة البيزنطية ومن ذلك العهد حاولت جميع الحكومات المطلقة ان تنسج على منوالها لان في ذلك من التسهيل في العمل ما ينتفع به من يتولون اعمال الحكم .

المجتمع في الامبراطورية الشرقية — كانت هذه الامبراطورية هي الحد الفاصل

في تاريخ الحضارة اجتمعت فيها سلطة الحاكم الروماني المطلقة مع ففحة ملوك الشرق يتألف منها سلطة لم يكن بها عهد الى ذلك العهد . وهذه السلطة التي لم يسمع بثبوتها تأتي على كل شيء في يدها فلم يعد سكان الامبراطورية وطينيين رومانيين منذ القرن الرابع بل صاروا يدعون باللاتينية الرعايا (الخاضعون) وبالرومية « العبيد » فكانوا كلهم من تم عبيد الامبراطورية واكنهم يحتلفون في المقام وهم درجات في الشرف الذي يوليهم اياه مولاهم ويورتونه اناءهم واليك تلك المناصب بحسب درجاتها .

- (١) اشرف الاشراف وهم الاسرة الامبراطورية
- (٢) المشاهير وهم وزراء رؤساء الدواوين
- (٣) المعترون وهم كبار ارباب المناصب
- (٤) المحمدون وهم كبار الموظفين (ويدعون الاعيان)
- (٥) اهل الكمال

ولكل صاحب شأن مقامه ولقبه ووظائفه . واكثر الناس احتراماً الندماء والموظفون حتى صح ان يدعى ذلك العهد عهد الالقاب والتشريفات . وماقت شوهد الى اي حد تبلى السلطة المطلقة اذا دعمها الخنوف في الالقاب والميل الى ترتيب كل امر بالاكتار من القوانين وعليه فقد كانت الامبراطورية الشرقية متالاً تماماً لمجتمع يدار بالآلة الصماء والحكومة فنيت في ارادة فيصيرها محازت اقصى ما يتطال اليه حتى اليوم اصار السلطة المطلقة وسيكافح بعد اتباع الحرية زمناً طويلاً تلك التقاليد التي انقبتها امبراطورية الشرق .

حكومة المدينة — لم يعتن الرومان بحماية اموال الرعايا بانفسهم بل كان الامبراطور يكتبي بيان الخراج المطلوب من كل ولاية (وذلك كل خمس سنين في العالب) ويحدده كما يريد . ويعلم الوالي كل مدينة ما يجب عليها اداؤه . لحكومة المدينة هي التي تقدم الملغ المطلوب . وما دامت المدينة عنيفة يجبي الوالي حراجها موزعاً له بين السكان فاذا عجزوا عن الدفع يتحتم على من تولوا الخراج ان يسدوا العجز لانهم مسئولون عن الخراج وحرانة الامبراطورية لاننازل عن حقوقها .

واقدر كان منصب الحماية حتى القرن الثالث مرعوناً فيه كأنه من أسباب الشرف ويعد الخابي في مدينته كعضو التيوخ في رومية . واذا انتقرت البلاد يعود منصب الحماية من المناصب التي تكسر متوليها فتزهدق النفوس في توليها . ورأى الامبراطرة ان يسوا قانوناً لعقاب من يأبى جباية الخراج وصر الخابي يتولى ذلك رعم أنه ويجب على كل من يملك خمسة وعشرين فدائاً من الارض ان يكون احد الجباة طوعاً أو

كرهاً . وكثير من الحياة كانوا يؤثرون ان يحرقوا عما يملكون من الاراضي ويهربوا ويدخلوا في سلك الرهبنة والحورية او الاستخدام والحداثة . وأصدر الامبراطرة اوامرهم بالبحث عن هؤلاء الفارين وان يعادوا الى مدينتهم بالقوة . وقد جاء في احد القوانين المسماة اسم عبيد الامبراطورية

وكانت الحكومة تحاول ان تسي محاسن التبوح في المدن على هذه الكيفية واد كانت تحرب بيوتهم بحراحتها اصح عدد الحياة اذاً في قلة . وكان مجلس التيوخ يتألف على عهد الامبراطورية العربية من مئة عضو . وفي القرن الرابع سببت قن في احدى الولايات وأمر احد الامبراطرة ان يأتيه رؤوس ثلاثة من الحياة من كل مدينة فكتب اليه الوالي « ليسع حلمكم ان يقرر ما الذي يجب ان نعمله في المدينة التي ليس فيها ثلاثة من الحياة » المستعمرون -- وقع في الامبراطورية الرومانية مثل ما وقع في عامة المجتمعات القديمة مثل اسبارطة ويونان وايطاليا وهوان يصحح الاحرار ويجلبهم العبيد ولم يبق في القرى ما يكفيها من الحرايين . لاحرم ان المدينة الرومانية لم تحرب بل كانت آحدة بالماء . وقد كان عدد الوطيين في القرن الاول رها . مليون نسمة وفي القرن الثالث (٢١٢) وقد صدر أمر الامبراطور بمنح جميع سكان الامبراطور به حق الوطية وصار الوطيين الرومانيون يعدون بالملايين (١) وسموا اسحلال سائر سكان العالم بيد ان الحكم الروماني كان سبياً في اسحلال شعوب المماكة كما اسحلال به من قبل اهل ايطاليا وكان يقصيه له كثير من الخنود وكثير من العبيد

وهذا الحكم يلع الاغنياء ويصعب على صغار ارباب الاملاك ان يقفوا امام الكبراء فيستخدمون في الحداثة او يجربون بيوتهم بأيديهم . ويقضي صاحب الاملاك الواسعه اراضيهم حتى أقر من لم يبق في بعض البلاد غير املاك واسعة يجرتها العبيد . وهؤلاء السكان من العبيد لا تجددون فاذا عرض عارض من العوارض المألوفة اذ ذلك من مثل ونا و حرب وعارة برارة وهالك جمهور من الحرايين في احدى الاملاك تسمى الارض نورا

خلت القرى على التدرج ولا سيما ما كان منها على التحوم من الناس ولم يبق سكان الا في المدن بل صار في عدة أنحاء من المماكة قفار حقيقية حلت من السكان والعمران

(١) كان سكان المماكة يدعون كلهم بالرومانيين منذ ذلك العهد ولما دخل البرارة الى عالما لم يحدوا فيها العالين بل رومانيين حتى كان الشعب في الشرق حيث كان السكان يتكلمون اليونانية يدعى الى عهد الفتح العثماني بالشعب الروماني وما رالت الى اليوم بلاد الاستانة تدعى روم ايلي

باشأ الامبراطرة يسكنون فيها عصابات من البربر ممن صربوهم وأسروهم ليحيوا بهم
موات تلك القرى . الا ان هؤلاء البرابرة لا يملكون الاراضي بل يستعمرونها فقط مثل
الهيلوثيين في اسبارطة ويقصى عليهم ان يبقوا في الارض التي أرسلوا فيها لا يفارقونها ولا
اولادهم بحال يؤدون الى صاحب الارض مالا مقررا ثم نم كانوا مستأجرين الى الابد
بالقوة . وليس هذا النظام جديدا بل كان في ايطاليا على عهد الامبراطورية الشرقية
أناس من الطواريء من الاحرار الفقراء قيدوا انفسهم في خدمة صاحب ملك عظيم
لينالوا منه أرضا يررعونها . وراذ سواد هؤلاء الطواريء زيادة كبرى لما صموا اليهم
الاسرى من البربر

وهذه الطريقة الشديدة لم تكف في احياء امة لان اولئك الحرايين كانوا يفرون
او يهلكون وفي القرن الخامس بعد مرور الحيوش العظمى من المحربين (دا كير واتيلا)
كان في اراضي المملكة فراع كبير تعذر على الامبراطرة ان يسدوه . وبقي في االيا
وابانيا وايطاليا وفي العرب كله حيز من الاراضي نورا اقلية العاملين فيها واقمرت ولايات
التحوم وقد اصحح التعم الروماني في جميع حوض الطونة من سويسرا الى البلقان منذ
القرن السادس فلم يكن في تلك البلاد الا اأم حرمائية اوسلافية . حتى ان الفرنك لم
يجدوا في اللحيك غير قفر .

الدرارة في الحيش الروماني — هذه الاراضي الحالية تستدعي سكانا جديدا وكان
الدرارة يحاولون على الدوام ان تحطوها وما دام للحكومة الرومانية بعض حيش لا يصعب
عليها ان تردهم على اعتابهم . الا ان الامر في التحميد صار الى الصعوبة كايحاد المال . وألف
سكان الامبراطورية حياة السكون ولم يعودوا يهتدون بخدمه الحديدية . حتى اضطرت
الحكومة ان تطلب حندا من كبار ارباب الاملاك فبأحد هؤلاء بعض الطواريء الذين
يعملون في اراضيهم وكان هؤلاء المساكين المأخوذين بالقوة من وراء محاربتهم حندا
غير كفون للقتال . وعندت الحمود منذ القرن الرابع من الصعف بحيث لا تستطيع حمل
الدروع واستعاضت عن الحمود القمعات

واصبح القواد يؤثرون ان يستعملوا الخاربين من البربر لانهم يقاتلون بشدة على الاقل
وقد جندت الامبراطورية في خدمتها مدد من حمودا من الجرمايين يتناولون جرايات
ويقاتلون بأسلحتهم وكان اكثرهم من الفرسان واحد امبراطرة الرومان في القرن الرابع
يخدمون منهم عصابات رمتها يدرلون مع سائهم واولادهم وخدمتهم في اراض يهبونهم اياها
على سبيل الجراية . ويحتفظ هؤلاء المحاربون انارلون في ارض رومانية بلعتم وعاداتهم

وسلاحهم وزعمائهم ويدعون «المخالفين» وبلغ بالامبراطور انه اخذ يقبل منهم في جيشه
تعبوياً برمتها مثل الوز يغوت والبور عند وكانوا اجتازوا التحوم بالقوة احياناً ثم آتروا ان
يكونوا في خدمته على ان يقاتلوه . فأصحت اد داك جهوش رومانية مؤلفة من شعوب بربرية
يقودها قائد بربري . ولقد كان الجيش الروماني الذي رد غارة اتيلا سنة ٤٥١ مؤلفاً من
الوريغوت والفرنك والبورتمندوسار كثير من القواد الرومان منذ القرن الرابع (سيلفانوس
وار يوكاست) ومعظمهم في القرن الخامس (مثل ستياكون ورسيمير وادواكر) من اصل بربري
ولم تعد الامبراطورية الرومانية محمية الا أناس من المحاربين من الداربرة فاحتلها بعد اناء جنسهم

